



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر باتنة - 1



كلية اللغة و الأدب العربي والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

الخطابة العربية في العصر الأموي بين المقصدية والتأويل مقاربة تداولية

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم
تخصص : لسانيات الخطاب

إشراف :

أ.د / إسماعيل زردومي

إعداد الطالب :

حسين بوبلوطة

أمام اللجنة:

الإسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
عبد الله العشي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
إسماعيل زردومي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا ومقررا
يحيى بن مخلوف	أستاذ محاضر "أ"	جامعة باتنة 1	عضوا
صالح خديش	أستاذ التعليم العالي	جامعة خنشلة	عضوا
الأمين ملاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	عضوا
رابح بن خويا	أستاذ محاضر "أ"	جامعة برج بوعرييج	عضوا

السنة الجامعية : 2017 _ 2018



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الحاج لخضر باتنة - 1



كلية اللغة و الأدب العربي والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

الخطابة العربية في العصر الأموي بين المقصدية والتأويل مقاربة تداولية

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم
تخصص : لسانيات الخطاب

إشراف :

أ.د / إسماعيل زردومي

إعداد الطالب :

حسين بوبلوطة

أمام اللجنة:

الإسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
عبد الله العشي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
إسماعيل زردومي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا ومقررا
يحيى بن مخلوف	أستاذ محاضر "أ"	جامعة باتنة 1	عضوا
صالح خديش	أستاذ التعليم العالي	جامعة خنشلة	عضوا
الأمين ملاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	عضوا
رابح بن خويا	أستاذ محاضر "أ"	جامعة برج بوعرييج	عضوا

السنة الجامعية : 2017 _ 2018

إهداء

إلى الوالدين الكريمين،
أطال الله عمرهما
إلى جميع الأهل والأحباب
والأصدقاء
إلى كل من جعل العلم محبة
وقبلة

تشكر

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان والتقدير
إلى أستاذي الفاضل الدكتور: إسماعيل
زردوهي، الذي تكرم على إشرافه هذا
البحث، فلقد وجدت في آرائه خير مرشد
فيما سلكت، حتى استوت على صورتها
الهاضرة، فجزاه الله عني الجزاء الأوفى،
راجيا له من الله تعالى السداد والرشاد
في الفكر والقول والعمل.

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تعد الخطابة في العصر الأموي من بين الفنون الأكثر أهمية حينئذ، وقد وصلت إلى أوج ازدهارها مقارنة بالعصور التي سبقتها والعصور التي تلتها. ولهذا يمكن اعتبارها في هذه الفترة نموذجاً مكتملاً للخطابة العربية على مر العصور.

وقد كان من أبرز خصائصها ظاهرة التخصص لدى أهلها، سواء عند الخلفاء أو عند من هم دون مرتبتهم من الأمراء والقضاة والقواد والدعاة...، وتوزعت موضوعاتها بين سياسية ودينية وقضائية واجتماعية، وتنوعت بحسب الأغراض التي تسعى إلى تحقيقها.

وتمثلت أبرز دواعي الخطابة الأموية في جملة من المسببات، أهمها: الفتن والصراعات السياسية، والمواظب الدينية، والحض على الغزوات، والتهاني والتأبينات...

أما عن خصائصها الداخلية، فقد تميزت بأسلوبها الخطابي اللغوي، الذي يختاره الخطيب من خلال انتقاء الألفاظ والمعاني الملائمة لموضوع الخطبة وغرضها ومقامها وحال الجمهور المتلقي. هذا، وقد حظيت الخطبة الأموية عند المهتمين بالدراسات التراثية العربية بالعناية الفائقة. فنظروا إليها من وجهات نظر مختلفة، وعالجوها بمناهج وآليات متنوعة.

غير أنهم لم يوفوها حقها من الدراسة اللغوية، وإن كانت، فبوسائل بحثية تقليدية لا ترقى إلى ثراء الخطبة كمدونة لغوية مغلقة تحمل دلالات محددة، أو كخطاب قصدي فاعل؛ تسهم عدة عناصر في تشكيله وإنتاجه، والتداول به في سياقات اجتماعية معينة، بحيث تستدعي الخطبة في حالتها التداولية، تأويلات متباينة بتباين المواقف وطبقات الجمهور المتلقي، وتباين مقاصد الخطيب.

ولأن فعل القصد والتأويل عمليتان لغويتان مرتبطتان بالجانب الذهني والتواصلية لكل من الخطيب والجمهور، فإن دراسته تقتضي الانتقال من الدراسة البنوية التقليدية لتحليل المستويات اللغوية، إلى توظيف آليات البحث التداولي الحديث، التي تحاول الكشف عن طريقة الخطيب في تشفير مقاصده، من جهة. وعن طريقة المتلقي في تأويلها، من جهة أخرى.

ونتيجة للتقصير الذي لاحظناه في الدراسات السابقة التي تناولت الخطبة الأموية موضوعاتيا أو لسانيا أو فنيا، ارتأينا أن نخصصها ببحث يعالجها تداوليا من حيث عمليتي القصد والتأويل، وقد جاء بعنوان: "الخطابة العربية في العصر الأموي بين المقصدية والتأويل مقارنة تداولية"

ويندرج هذا البحث في سياق استثمار آليات البحث اللغوي الحديث، وتطبيقها على مدونة خطابية تراثية، تبحث في مضمون الخطبة ومضمراتها، ولا تكتفي بالجوانب الشكلية والدلالية.

ويعود سبب اختيارنا لهذا النوع من البحوث إلى أهمية الخطبة الأموية من حيث زخمها اللغوي والدلالي، ومن حيث الظروف والسياقات التي أنتجت فيها، وبلاغة الخطيب الأموي وبراعته في تبليغ مقاصده وتمييزها بين جمهوره، ومن حيث - كذلك - قدرة الجمهور المتلقي على ممارسة فعل التأويل.

واختيارنا لتوظيف التداولية على المدونة كان نتيجة لما تكتسيه آلياتها من مرونة وفعالية على كشف المعاني الصريحة والضمنية في الخطبة، وقدرتها على تأويل المقاصد. كذلك إلى ندرة ما كتب في هذا الموضوع، باعتباره محاولة جديدة في الدراسات التداولية، يتمثل في تطبيق آليات القصد والتأويل على مدونة تراثية.

وتدور إشكالية البحث حول التساؤلات التالية :

- ما هي أبرز خصوصيات الخطابة الأموية؟ وما هي أهم العناصر الفاعلة في تكوينها؟
- فيما تتمثل أبعاد الخطابة، تداوليا؟
- ما هي أهم الخصائص التي يتميز بها القصد والتأويل في المجال التداولي؟
- وما أهمية القصد والتأويل باعتبارهما من الآليات التداولية المطبقة في التحليل الخطابي؟
- ما مدى حضور مظاهر القصد والتأويل في الخطب الأموية بأنواعها المختلفة؟
- كيف تجلت الأبعاد الحجاجية التداولية من خلال عنصري القصد والتأويل في الخطب الأموية؟

- هل تتوفر الخطابة الأموية على عنصري القصد والتأويل في جميع المحاور التداولية؟

ومن أبرز الأهداف التي يسعى البحث إلى تحقيقها نذكر مايلي :

- الوقوف على أهم خصوصيات الخطابة الأموية في مظهرها اللغوي والتداولي.
- محاولة التحديد المفهومي والإجرائي لمصطلحي القصد والتأويل في الدرس الفلسفي واللغوي والتداولي.

- إبراز مظاهر القصد والتأويل في الخطابة الأموية في جانبها التخاطبي.

- اختبار آليات المنهج التداولي على مدونة تراثية.

- الكشف عن بلاغة الخطيب الإقناعية أمام جمهوره.

- محاولة التوصل إلى معرفة طرق الجمهور المتلقي في الوصول إلى كشف متضمنات القول في الخطبة.

- التفريق بين الخطب الأموية من حيث الموضوع والغرض وظروف الإنتاج.

ولتحقيق هذه الأهداف كنا في مسيس الحاجة إلى توظيف المنهج الوصفي؛ لتمييزه بالقدرة على تحليل الظاهرة اللغوية ووصف دلالاتها الصريحة.

كما استعنا بآليات تداولية غربية حديثة من أجل استخراج المقاصد والمعاني المضمرة المسكوت عنها في الخطبة، مستنيرين ببعض ما جاءت به الدراسات التراثية العربية.

وتعد هذه الدراسة من البحوث النادرة في الساحة المعرفية، وهي محاولة تطبيق آليتي القصد والتأويل التداولية على الخطابة الأموية، التي حاولت إبراز أنواع المقاصد التي استعان بها الخطيب في جوانب مختلفة، لغوية، وبلاغية، وفلسفية، ومدى تأويلات الجمهور لها، بالاستعانة بالظروف السياقية والكفاءات التأويلية المتعددة.

أما عن الدراسات السابقة التي اهتمت بدراسة الخطابة الأموية بين القصد والتأويل التداولي، فقد كانت - حسب اجتهادنا في البحث - نادرة جداً، إن لم نقل منعدمة، إذ لم نتوصل إلا إلى دراستين وقد كانتا في نظرية الحجاج:

- إحداهما رسالة دكتوراه (لم نستطع الحصول على محتواها) أنجزها الباحث عصام أحمد أبو السعود بحيري، بعنوان " الحجاج في الخطابة الأموية، دراسة بلاغية لوسائل الإقناع " بإشراف الدكتور : عيد بلبع، ناقشها بكلية الآداب جامعة المنوفية سنة 2010 .

- والأخرى رسالة ماجستير، أنجزتها الباحثة خديجة محفوظي تحت عنوان " بنية الملفوظ الحجاجي للخطبة في العصر الأموي " بإشراف الدكتور : صالح خديش، وناقشتها بجامعة قسنطينة سنة 2006 - 2007 . استهلتها الباحثة بضبط بعض المصطلحات الأساسية، كالخطابة والملفوظ، والحجاج، ثم بينت الجوانب التاريخية للخطابة الأموية، كما وقفت على معالم الحجاج عند العرب القدماء، والغرب المحدثين. أما في الجانب الإجرائي فقد اقتصرته الباحثة على تحليل بنية الملفوظ الحجاجي لغويا وبلاغيا، في أربع خطب.

أما بحثنا فقد تميز بتخصيص جوانب نظرية للتأسيس لأهم المصطلحات الواردة في البحث، ومن ثم حاولنا تطبيق مظاهر القصد والتأويل في الخطب السياسية، والدينية، والاجتماعية.

وقد تكون بحثنا في بنيته الإجمالية من بابين، تقدمتها مقدمة عامة، وتلتها خاتمة جمعت أهم نتائج البحث.

. الباب الأول: دراسة نظرية لمفاهيم مصطلحات البحث الأساسية: الخطابة، التداولية القصد، التأويل .

ويندرج ضمن هذا الباب ثلاثة فصول

- جاء الفصل الأول بعنوان: الخطابة الأموية واللسانيات التداولية: في الجهاز المفاهيمي والخصائص، تناول هذا الفصل أهم مفاهيم وخصائص الخطبة الأموية من حيث مفهومها وأنواعها وموضوعاتها وأغراضها وفواعلها التخاطبية المتمثلة في الخطيب والجمهور والخطبة والمقام، كذلك التطرق إلى الخصائص اللغوية للأسلوب الخطابي مطبقا نماذج من كل ذلك، كما وقف على أهم مفاهيم التداولية، وحاول إبراز العلاقة بين الخطبة وأبعادها التداولية.

- وورد الفصل الثاني بعنوان: القصدية المهاد النظري والاشتغال التداولي، درسنا فيه أبرز مفاهيم القصد والمصطلحات المرادفة له، ثم انتقل إلى البحث عن قضاياها في الدرس النحوي والبلاغي والشرعي والفلسفي، مركزين على إظهار انعكساته على الدرس التداولي. ومن ثم تناول القصدية واشتغالها التداولي.

- أما الفصل الثالث فعنون بـ "التأويل: التداخلات المصطلحية والمفهومية ومظاهره التداولية" تطرقنا فيه إلى كشف أهم المفاهيم الأساسية لمصطلح التأويل وتداخله في الثقافتين العربية والغربية، وأهم الحقول المعرفية التي ورد فيها. ومن ثم ركز على مظاهر التأويل في اللسانيات التداولية، كدور السياق والكفاءات التي يلجأ إليها المؤول لتأويل الخطاب.

. الباب الثاني: معنون بـ " مظاهر وآليات القصد والتأويل التداولية في الخطب الأموية"

ويندرج ضمن هذا البحث ثلاثة فصول.

- الفصل الأول فقد كان تطبيقياً، بعنوان: مظاهر القصد والتأويل التداولية في الخطب السياسية .

حللنا في هذا الفصل نماذج من الخطب السياسية لبعض الخلفاء والولاة، وركزنا في تحليلها على استخراج بعض الحالات القصدية وتأويلاتها المختلفة، كالمقاصد العقلية، ومقاصد افتتاح الخطاب، وبعض المقاصد اللغوية، كالتكرار، والروابط مثل " الواو"، والأداء اللفظي، ومقصدية الفعل الكلامي وركزنا خصوصاً على تصنيف "سيرل" وبعض ما جادت به الدراسات التراثية.

- وجاء الفصل الثاني بعنوان: القصد والتأويل في الخطب الدينية، دراسة تداولية حجاجية. ويسعى هذا الفصل إلى تطبيق آليتي القصد والتأويل في بعض النماذج من الخطب الدينية في جانبها التداولي والحجاجي، واعتمدنا في التحليل على استخراج ظواهر بلاغية مختلفة، من البيان (كالاستعارة، التشبيه...) ومن البديع (كالمقابلة، الطباق، السجع)، ومن علم المعاني (كالخبر والإنشاء)، وبيننا مدى توظيفها من قبل الخطيب توظيفا قصديا، حيث وظف أنواع كثيرة من القصد، كالقصد التخاطبي، والقصد الضمني، والمستقبلي... إضافة إلى القصد الحجاجي الذي يفضله يحاول أن يستميل الجمهور ويقنعه. والجمهور السامع يؤول هذه المقاصد مستندا إلى الظروف السياقية، والمعرفة المشتركة...، واعتمدنا في تحديد تلك المقاصد التداولية على بعض التصنيفات التي وردت في أعمال بعض الغربيين والعرب.

- أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان: آليات الإضمار التداولي وبعده التأويلي في الخطب الاجتماعية.

يسعى هذا الفصل إلى تطبيق مختلف المضمرات التداولية وأبعادها التأويلية في نماذج من الخطب الاجتماعية، وتبيين مدى تجاوز الخطيب الملفوظات اللسانية إلى توليد مضمرات تداولية، تتم عن طريق عملية التأويل التداولي من قبل الجمهور السامع، بالاستعانة بظروف الإنتاج المختلفة.

واعتمدنا على ما جاء به جون سيرل في المضمرات الإنجازية، أما في المضمرات الاستلزامية استعنا بما جاء به " غرايس " وبخاصة مبدأ التعاون والخروقات التي نتجت عنه.

أما أهم المراجع التي عول عليها البحث، فقد توزعت بين تراثية وحديثة، وانقسمت بدورها إلى نوعين من حيث المحتوى :

- المراجع التراثية مثل : مفتاح العلوم للسكاكي، والبيان والتبيين للجاحظ ، والصناعتين للعسكري، والبرهان للزكشي، ودلائل الإعجاز للجرجاني.

- والمراجع الحديثة مثل : أهم كتب جون سيرل، المتمثلة في كتاب القصدية بحث في فلسفة العقل، وكتاب العقل واللغة والمجتمع، وكتاب الأعمال اللغوية، وكتاب فلسفة اللغة والذهن لريكاني، وكتاب النص والسياق لفان دايك، وكتاب اللسان والميزان لطفه عبد الرحمان، وكتاب دروس البلاغة العربية للأزهر الزناد، وتداوليات القصد لإدريس مقبول....

وقد اعترضني في أثناء إنجاز هذا البحث بعض الصعوبات، تمثلت أبرزها في ندرة المراجع والبحوث المهمة بدراسة الخطابة الأموية من وجهة نظر تداولية، وانعدامها، تقريبا، في مباحث القصد والتأويل. كما تعود صعوبة البحث إلى جدة موضوع القصدية والتأويل في الدرس التداولي، باعتبارهما من أصول فلسفة اللغة، التي تعد بدورها تخصصا طارئا في أقسام اللغة العربية وأدائها.

وفي الختام، أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور : إسماعيل زردومي، الذي تكرم بموافقته على تأطير هذه الرسالة منذ بدايتها حتى نهايتها، فلم يدخر أي جهد في تصويبها وتعديلها، كما كان له الفضل في تيسير كل ما تعسر علي. فله مني الجزاء الأوفى، راجيا له من الله السداد في الفكر والقول والعمل.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكاترة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم على قراءة البحث وتصويبه وتقويمه.

والحمد لله من قبل ومن بعد

الباب الأول

دراسة نظرية لمفاهيم مصطلحات البحث الأساسية

:الخطابة، التداولية، القصد، التأويل

الفصل الأول

الخطابة الأموية واللسانيات التداولية :

في الجهاز المفاهيمي والخصائص

مقدمة الفصل:

تناول هذا الفصل بالدراسة أهم مفاهيم وخصائص الخطابة الأموية، واللسانيات التداولية، فشرع معرّفاً للخطابة وأهم مميزات وأقسامها، ومن ثم حدد الفواعل الأساسية في العملية التخاطبية، مشيراً إلى أهم الأساليب التي تضمنها الخطب بالتمثيل ببعض النماذج من الخطب الأموية. ثم انتقل إلى اللسانيات التداولية، راصداً تأصيلاتها الفلسفية واللسانية، وأهم مفاهيمها، ثم أشار إلى المحاور الكبرى لها، مثل نظرية أفعال الكلام، والحجاج، والاستلزام التخاطبي.

أولاً : الخطابة الأموية

1 - الخطابة المفاهيم والمميزات :

قبل الخوض في استكشاف أهم مفاهيم ومميزات الخطابة الأموية ،وجب علينا الإحاطة بأهم المفاهيم والمعايير التي تقوم عليها الخطبة ،سواء عند الغربيين أو عند العرب ،باعتبارها مفاهيم وخصائص يمكن إسقاطها على أي خطبة وفي أي عصر.

1.1 - المدلول اللغوي : تعدد المدلول اللغوي للخطابة بتعدد وتنوع المعاجم التي تناولته

بالتعريف حيث ورد فيها بمعنى¹:

- المواجهة بالكلام ،أو مراجعة الكلام

- والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة ،والخطب اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب ،فيوضع موضع المصدر.

- ورجل خطيب ،حسن الخطبة ،وجمع الخطيب خطباء ،وخطب بالضم خطابة بالفتح صار خطيباً.

وقد فصل " ابن وهب " في مفهوم الخطبة بقوله : " إن الخطابة مأخوذة من خطبت أخطب خطابة ...، واشتق ذلك من الخطب وهو الأمر الجليل ،لأنه إنما يقام بالخطب في الأمور التي تجل وتعظم والاسم منها خاطب ، إذ جعل وصفا لازما قبل الخطيب ...والخطبة الكلام المخطوب به ، وجمعها خطب ... أما المخاطبة فيقال منها خاطبت أخاطب مخاطبة ، والاسم الخطاب ...والخطابة والخطاب اشتقا من الخطب ، والمخاطبة لأنهما مسموعان"²

¹ - ينظر الزخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (مادة خطب) وينظر ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، مادة (خطب)، وينظر ابن فارس: مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، مادة (خطب)

² - أبي الحسين إسحاق بن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تحقيق، جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، ص 151

2.1. المدلول الإصطلاحي :

تعددت المفاهيم الاصطلاحية لمفهوم الخطابة، و لكن تهدف في رمتها إلى الإقناع والتأثير والاستمالة، ومشافهة الجمهور .

ولعل أبرز مفهوم للخطابة ما قدمه " أرسطو " في قوله : " الريطورية قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"¹

فالخطابة حسبها هي التأثير في المخاطب ،بأفعال إرادية في أي جزء من أجزائها.

وهي أيضا"كلام يحاول به إقناع أصناف السامعين بصحة غرض يقصده المتكلم لفعله أو الانفعال به"² فهي تقوم على الإقناع بحسب ما يقصده المتكلم.

وهي كذلك " مشافهة المستمعين، أي أن الخطيب هو الذي يتكلم بينما الجميع يستمعون"³ وعليه تقوم الخطابة - حسب المفاهيم السابقة الذكر- على مايلي:⁴

- أن يكون الحديث مخاطبة لجمهور من الناس.
- أن يكون بطريقة إلقائية ،وهذا يعني جهازة الصوت ، وتكييفه باختلاف نبراته.
- يحاول به إقناع السامعين ،بحيث يشمل على أدلة وبراهين تثبت صحة الفكرة التي يدعو إليها الحديث.
- صحة الغرض الذي يقصده الخطيب : وهو كل غرض تصدى الخطيب لترويجه سواء أكان المراد حمل الناس على فعله ؛ كالحث على طلب العلم... أم إرضاء الناس بأمر واقع.

¹ - أرسطو طاليس: الخطابة، تحقيق، عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص9

² - محمد الطاهر بن عاشور: أصول الإنشاء والخطابة ، تحقيق، ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، 1433، ص 118

³ - محمود محمد رسلان: الخطابة نشأتها ومبادئها، كيف تكون خطيبا مفوها وبرلمانيا ناجحا، دار التقوى للنشر والتوزيع القاهرة، ط3، 2006، ص 21

⁴ - ينظر عبد الجليل عبده شلي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1981، ص 13،

وينظر الطاهر بن عاشور : أصول الإنشاء والخطابة ، ص 118 ، 119

- لفعله أو الانفعال به، إشارة إلى غاية الخطيب من الخطابة، وهي إما فعل المخاطبين شيئاً يريد، وإما اعتقادهم شيئاً يعلمهم إياه. كما تتوفر على عنصر الاستمالة، وهذا يعني توجيه عواطف السامعين واستجابتهم للرأي الذي تدعو إليه الخطبة.
- أما عن فائدتها فيرى "العسكري" أن "الخطابة لها الحظ الأوفر من الدين، لأن الخطبة شرط الصلاة التي هي عماد الدين في الأعياد والجمعات والجماعات، وتشتمل على ذكر المواعظ التي يجب أن يتعهد بها الإمام رعيته... إلى غير ذلك من منافع الخطب"¹
- يربط "العسكري" الخطابة بالجانب الديني، الذي هو أساس الأمة الإسلامية، بالإضافة إلى منافع أخرى، فهي تقطع الخصومات، وهي التي تهدي النفوس الثائرة، وهي التي تثير الحماسة، كما ترفع الحق، وتخفض الباطل، وتقيم العدل، وترد المظالم، وهي لسان الهداية...²
- 3.1 - أجزاءها وأركانها:

تبنى الخطابة على أجزاء أو أركان لا يمكن تجاهلها في أي خطبة من الخطب، قصيرة كانت أم طويلة، فمن أجزاءها مايلي :

- الإيجاد: فالخطيب لا بد له من "إعمال الفكر لاستنباط الوسائل التي من شأنها إقناع السامع واجتذابه، وإثارة حماسه إلى ما يدعو إليه المتكلم"³

يجب على الخطيب استعمال فكره في اختيار أفضل الوسائل التي من شأنها أن تثير الجمهور، وإقناعه بما يحاول الدفاع عنه أو الدعوة إليه.

¹ - أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد الجاوي، محمد

أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 125

² - ينظر محمود محمد رسلان: الخطابة نشأتها ومبادئها، ص 23

³ - محمد أبو زهرة: الخطابة، أصولها تاريخها في أزهي عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، ص22

- الترتيب والتنسيق: وهو من الأركان الجوهرية في الخطبة، إن لم يكن أهمها، وهو مدى تنظيمها وتنسيق أقوالها وكيف يحاول الخطيب، إيجاد المعاني والألفاظ التي تخدمها، يقول "أرسطو": "إن اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن على مجرى الصناعة فثلاث: إحداهن الإخبار من أي شيء تكون التصديقات، والثانية ذكر التي تستعمل في الألفاظ، والثالثة كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول"¹

يشير "أرسطو" في هذا القول إلى كيفية نسج الخطيب خطبته، بدءاً من إيجاد المعاني، إلى الألفاظ التي تعبر عنها، وصولاً إلى تركيب كل ما سبق في شكل منظم ومتسق ومنسق. فهو يشير إلى ما أصبح يعرف حديثاً في مجال علم النص، بالاتساق النصي الذي هو مفهوم دلالي، يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص التي تحدده كنص.² وحتى يكون النص نصاً يجب أن يتوفر على أهم عنصر فيه وهو الاتساق، حيث يرى "هاليداي" أن الجمل المترابطة والمتناسقة - بوجود أدوات الاتساق - تشكل لنا نصاً، والعكس فالجمل غير المترابطة لا تشكل لنا نصاً.³ وهذا يتجلى بكل حيثياته على الخطابة انطلاقاً من قول "أرسطو" ترتيب أجزاء القول.

- الديباجة: وهي فاتحة الخطبة المشتملة على حمد وثناء على الله، ويستحسن فيها الإيجاز، والارتباط بالمقصود، وتكون خصوصاً في الخطب العربية الإسلامية.⁴

- الاستهلال (المقدمة): وهو الكلام الذي يقصد منه تهيئة نفوس السامعين، وهو أن يأتي الخطيب بمقدمات تتطابق مع مقادير انفعالهم، وتختلف باختلاف الطبقات، ففيه يتم تنبيه السامعين إلى موضوع الخطبة، وإعداد أذهانهم إلى الاقتناع، وللخطباء مذاهب شتى في افتتاحهم، ولا نستطيع حصر طرقها، لأن أفضل مناهجها مرجعه إلى حسن تصرف الخطيب، وإلى العمود

¹ - أرسطو: الخطابة، ص 180

² - ينظر محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006، ص 15

³ - ينظر المرجع نفسه، ص 12

⁴ - ينظر الطاهر بن عاشور: أصول الإنشاء والخطابة، ص 118

الذي قصد إليه ، لذلك فمن الخطباء من يبتدئ خطبته بحكمة أو مثل سائر ، أو آية كريمة أو حديث شريف ...¹

- العرض: وهو موضوع الخطبة وغرضها، هو " العرض المفصل لما تم اختصاره في الافتتاح"² فهو يمثل جوهر أي خطبة ففيه " بيان الغرض، إما بالاستدلال، أو التمثيل أو الاستطراد أو الإشارة"³، فلا يمكن الاستغناء عن العرض، لأنه لا يمكن للخطابة أن تقوم بدونه.

- الأدلة : فالاستهلال يحدد غرض الخطيب من الخطبة ، والعرض هو جوهرها، وتفصيل أفكارها، أما الدليل فهو " ما يتوصل به إلى بيان صحة الحكم سلبا أو إيجابا والأدلة الخطابية لا يلزم أن تكون قطعية موجبة لليقين، بل يصح أن تكون ظنية، توجب في ذاتها الظن، ولكن بما يستخدمه الخطيب من وسائل يرفع ذلك الظن في نفوس السامعين إلى مرتبة اليقين"⁴

- الخاتمة : ويحسن فيها أن تكون كلاما جامعا لما تقدمه، أو إشارة إلى أنه أتى على المقصود وانتهى منه.⁵

فهذه الأجزاء التي ذكرناها مهمة في كل خطبة مهما كان نوعها، وهي تحقق لها نمطها وشكلها وتنظيمها المتعارف عليه، ويمكن إسقاط هذه الأجزاء على مختلف أنواع النصوص والخطابات.

ما تقدم عرضه هو بعض المفاهيم والمميزات والخصائص التي تقوم عليها الخطابة عموما، وهناك خصائص أخرى تتفرد بها الخطابة الأموية سنحددها في موضعها من البحث.

¹ - ينظر الطاهر بن عاشور: نفس المرجع، ص 146، وينظر كمال الزماني : حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 1 ، 2012 ، ص 153، وينظر محمد أبو زهرة : الخطابة أصولها . تاريخها، ص 80، 81

² - كمال الزماني: حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي، ص 154

³ - الطاهر بن عاشور : أصول الإنشاء والخطابة ، ص 148

⁴ - محمد أبو زهرة : الخطابة أصولها . تاريخها ، ص 23

⁵ - الطاهر بن عاشور : أصول الإنشاء والخطابة ، ص 149

2 - الخطابة الأموية الدواعي والتقسيمات:

قبل الخوض في الحديث عن الخطابة الأموية وجب علينا الوقوف ولو بإيجاز إلى مراحل تطورها في العصرين الجاهلي و صدر الإسلام؛ ففي العصر الجاهلي اعتمدها العرب في المواقف التي تتطلب ذلك، واستخدموها في ميادين مختلفة ولأغراض متنوعة، كالصلح والمفاخرات والمنافرات، والدعوة إلى الوحدة العربية، والنزاعات والخصومات بينهم، والمجالس والأسواق... ولعل أبرز لون في الخطابة الجاهلية المحفلية، لأنهم لم يعرفوا ضرباً أخرى، كالسياسية، والدينية...¹

وبعد مجيء الإسلام قامت الخطابة في تبليغ الرسالة، ونشر مبادئ الدين وكان ذلك سبباً قويا في نهضتها، وظهر عدد كبير من الخطباء، فأولى الدعاوي للخطابة هي الدعوة المحمدية "إذ اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم أداة للدعوة إلى الدين الحنيف طوال مقامه بمكة قبل الهجرة... وهو في أثناء ذلك يخطب في الناس داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة"²

فقد ناداهم بأبلغ القول وخاطبهم بأروع الكلام، لينشر رسالته على أوسع نطاق، فالرسول الكريم، كان أفصح وأخطب الخطباء، ومن خطبه المشهورة، خطبة حجة الوداع.

كما كثرت في عهد الخلفاء الراشدين المواقف التي استخدموا فيها الخطابة فضلاً عن خطب الجمع والأعياد والمواقف التي تجلت فيها براعة هؤلاء... ثم خطب الفتوح حين خطب أبو بكر الصديق يحث على الجهاد ونشر الدين الحنيف في أطباق الأرض.³

¹ - ينظر محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها - تاريخها، ص 180 وما بعدها

² - شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، دار المعارف، مصر، ط7، دت، ص 106

³ - ينظر المرجع نفسه، ص 108

أما في العصر الأموي* فيمكن اعتبارها من بين الفنون الأكثر أهمية، وقد وصلت إلى أوج ازدهارها لهذا "يصح اعتبارها في تلك الفترة نموذجاً مكتملاً للخطابة العربية في العصور السابقة"¹ وتأثرت بإيقاعات جديدة، وهو التزام حزبي يختلف عن دوائر الالتزام المطروح في مسلك الرسول الكريم والخلفاء الراشدين، الذي كان الخطيب يجمع في خطبة بين دوائر متعددة سياسية واجتماعية واقتصادية...، فالأمر اختلف مع بني أمية الذي ظهر جانب من التخصص لدى أهلها، سواء من الخلفاء أو ممن هم دون مرتبتهم، فتوزعت بين سياسية ودينية...²

1.2. دواعي الخطابة في العصر الأموي: فمن دواعيها نذكر مايلي:³

- الفتن: تأججت نيران الفتن بعد موت معاوية وتولى يزيد الحكم، فانقسم المسلمون إلى أحزاب، شيعة وخوارج، وزبيريين... والكل يدعو إلى فكرته وتأييد دعوته.
- السياسة: كان الخلفاء والولاة في أشد الحاجة لأيبينوا للناس سياستهم من أجل الأخذ بها... وكان الترهيب أظهر في البلاد التي نشبت فيها الفتن.
- الفتوحات الإسلامية: لم تنقطع في العصر الإسلامي، ولعل الأمويين وجدوا فيها شاغلاً للعرب.
- الوفاة: كثرت الوفاة على الخلفاء والأمراء، لرفع شكوى أو إعلان النظرة والتأييد، وقد يدعو الخليفة بعض الوفود إليه، ليسدي لهم يدا...

* امتد العصر الأموي من 41 هـ - 132 هـ، بوع معاوية بن أبي سفيان بالخلافة في بيت المقدس من قبل أهل الشام، ودعي بأمر المؤمنين... تحرك معاوية باتجاه العراق، وبلغ ذلك الحسن، فخرج في جيش بقيادة قيس بن سعد الأنصاري، ومعهم عبد الله بن عباس... فخاف الحسن من الفتنة، وفضل سياسة المفاوضات، بهدف حقن الدماء، وبفضل المفاوضات خلع الحسن نفسه من الخلافة، وسلم معاوية أمر المسلمين...، دخل معاوية الكوفة، على إثر الصلح، وبايعه الحسن والحسين، واجتمع عليه الناس، وسمي عام الجماعة لاجتماع الأمة على خليفة واحد، باستثناء الخوارج الذين امتنعوا عن مبايعته...، دار حكمها 91 عام هجري، تولى الخلافة 14 خليفة، أولهم معاوية وآخرهم مروان بن محمد الجعدي، ينظر محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط7، 2010، ص 14، 15، 25

1 - أحمد محمد الحوي: فن الخطابة، نضمة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص 209

2 - ينظر مي يوسف خليف: النشر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي، دراسة تحليلية، دار قباء، القاهرة، ص 165، 166

3 - ينظر محمد علي شعيب، عبد البصير علي علي: دراسات في الخطابة، دار الكتب، القاهرة، ط1، 2005، ص 36-39

- المدح والتهنئة والعزاء: كانت الخطابة في هذا العصر تقال في بعض الموضوعات، فكان من الخطباء من تكون كل خطبهم مدحا في خليفة، أو تهنئة بولاية...
- الوعظ الديني: فسيطرة الدين على بعض النفوس دفعتهم لأن ينصرفوا إلى العبادة والنسك، والتقوى والإرشاد والدعوة إلى الله، ومنهم من عكف على مناقشة الخارجين على الإسلام.
- مجالس المباراة في الخطابة: كانت تعقد مجالس للمباراة، والسبق فيها، وكان كثيرا ما يدعى الشخص ليختبر مقدار بيانه وحضور بديهته...

2.2. تقسيمات الخطب في العصر الأموي :

تعددت أنواع الخطب في العصر الأموي، واختلفت موضوعاتها، وتعددت غاياتها، إلا أنها طبعت بالطابع الديني " فأنت تلقى الطابع الديني في الخطب الاجتماعية كما تلقاه في الخطب السياسية، ويطالعك في الموضوعات الكلية، كما يطالعك في المعاني الجزئية من كل موضوع " ¹ فالدين هو الذي ينظم الحياة الدنيوية، ويصور الحياة الأخرى من جنة ونار...، ففيمه تصبغ على جميع الخطب، ويعالج منها أمورا اجتماعية وسياسية وحرية... وقد تلون النمط الديني بألوان مختلفة، وبخاصة الخطب الموجهة إلى الخلفاء أو الخارجين عن الخلفاء الذين "حاولوا القيام بدور حراس القيم وحماة الفضائل، فقاموا على الدفاع الذائب على العقيدة، وحرصوا على إبعاد أيدي الزنادقة والمجان عنها، وكانت سييلهم إلى ذلك الخطابة الدينية التي اقتحمت باب الوعظ والإرشاد فأكملت مسيرة السلف الصالح.. " ² وأبرز خطبائه، عمر بن عبد العزيز، والحسن البصري، وواصل بن عطاء وغيرهم.

¹ - غازي طليمات، عرفان الأشقر: النشر في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص 48

² - مي يوسف الخطيب : النشر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 166

أما النمط السياسي* فقد ارتقى بالخطابة الأموية إلى قمة الازدهار، ولم تشاركها في ارتقائها الخطب الأخرى، حيث كانت الخطبة السياسية "تعبّر عن حالة متفجرة من الصراع الفكري الخصب، وتترجم ما كان يدور في رؤوس الزعماء المتنافسين في حلبة الاستباق، وتفصح عن آمال الرعايا الراغبة في الوصول إلى نظام، أساسه الشورى، وهدفه الحكم بالسوية بين الرعية"¹

أما الخطب الاجتماعية فهي تعالج الأحوال الاجتماعية في العصر الأموي بعد أن احتكت البداوة بالحضارة، ويقظة العصبية القبلية، ما نجم من خطب الإصلاح بين القبائل، والتهنئة بخلافة ولي العهد والتعزية بموت من ولاه، وبذلك كانت خطب التأبين والنكاح والتعزية والتهنئة...²

أما النمط الحربي فنجد فيه الخطباء يظاهرون المقاتلين للسيطرة على الحكم، وهم فرق وأحزاب، وكل حزب يحرص جنوده على قتال حزب آخر باسم الدين، زاعمين أنهم على حق والأحزاب الأخرى على باطل.³

* انقسمت نصوصها على أحزاب و فرق: **خطب الحزب الأموي**، وهي خطب تصور طبيعة الحكم والسياسة التي ساسوا بها الرعية لتحقيق أهدافهم، ومن أشهر خطبائه من الخلفاء، معاوية بن أبي سفيان، عمر بن عبد العزيز، عبد الملك بن مروان، يزيد بن الوليد بن عبد الملك... ومن الولاة والأمراء: عتبة بن أبي سفيان، المغيرة بن شعبة، وزيد بن أبيه، وروح بن زنباع، والحجاج بن يوسف.. أما **خطب أهل الشيعة**: فبعد مقتل الحسين في خلافة يزيد بن معاوية، قوي ضرب خطب المقاومة واستلهم من مصرعه الدامي أفكارا وصورا ومشاعرا، خلعت من الخطب سمات متوهجة، ارتقت بنف الخطابة، وأنطقت الخطباء بآراء جريئة، من خطبائه، سليمان بن صرد، عبید الله بن عبد الله المري... أما **خطب الخوارج**: فبعد رفع المصاحف في صفين، وتحكيم أبي موسى الأشعري، وعمرو بن العاص في اختلاف علي ومعاوية، خرجت خارجة من جيش علي، تنكر تحكيم البشر، وتقول: لا حكم إلا الله، وهم خطباء بلغاء، من أشهرهم، عبد الله بن يحيى الخارجي (طالب الحق)، أبو حمزة الشاري الأزدي، صالح بن مسرح التميمي... أما **خطب الزبيريين**: تفرد عبد الله بن الزبير بكونه السياسي المنك، والخطيب المفوه... أما أخوه مصعب وعضده عبد الله بن مطيع فقد وهبا من الشجاعة فوق ما وهبا من البلاغة...، ينظر غازي طليعات، عرفان الأشقر: النثر في العصر الأموي، ص 90 وما بعدها.

¹ - غازي طليعات، عرفان الأشقر: النثر في العصر الأموي، ص 89

² - ينظر المرجع نفسه، ص 60

³ - ينظر المرجع نفسه، ص 81

3 - الخطابة الأموية وعناصرها التخاطبية/التواصلية:

تمثل العناصر التواصلية التخاطبية* أهم المحاور التي تقوم عليها الخطابة، فلا خطابة بدون هذه العناصر، وكل عنصر يكمل بقية العناصر، وسنذكر هذه العناصر الأساسية، حتى تكتمل الخطبة ويصبح لها بعدا تواصليا وتخاطبيا.

1.3 - الخطيب :

يعتبر الخطيب هو مصدر الخطبة وهو الذات المنتجة لها، يحاول أن يشرح ويوضح أفكاره لأنه يخاطب عقول السامعين ويحاول إقناعهم، كما يختلف موقفه باختلاف الجمهور "فهو حين يخاطب في طلاب جامعة أو أوساط مثقفة، يستطيع أن يستعمل العبارات البليغة والمجازات البلاغية، وليس الأمر كذلك حين يقف بين مجموعة من عامة الناس... فمنهم المثقف العميق ومنهم الساذج قليل الثقافة أو عديمها ومنهم من هو بين بين"¹

ويتقيد الخطيب بمجموعة من الشروط والسمات الخلقية والعقلية، وذلك للمكانة التي يتبوؤها في المجتمع، ومنها :

- جهارة الصوت: فيجب على الخطيب أن يكون جهير الصوت، وقوي النفس، ويعطي للحروف حقها، يقول "الجاحظ": " وكانوا يمدحون الجهير الصوت، ويذمون الضئيل الصوت؛ ولذلك تشادقوا في الكلام، ومدحوا سعة الفم، وذموا صغر الفم"²
- روعة المنظر وجودة الإلقاء، وجمال الهدام والخلق

* يرى طه عبد الرحمان أن كل تخاطب تواصل، لكن يوجد تواصل بين طرفين، ولا يوجد تخاطب بينهما، فيجوز أن يوصل المبلغ فحوى القول إلى غيره، ولا ينفعه به من أي وجه من الوجوه، كما يجوز أن يتوصل المبلغ إليه بهذا الفحوى من غير أن ينتفع به... والتخاطب الذي لا نفع معه لا يكون تخاطبا وإنما يكون خطبا، ومدلول الخطب هو الأمر الشديد الذي يكثر فيه القول، فالتواصل يبني على التطويل، والتخاطب على الاختصار، فهو ليس تواصلًا فقط، بل هو أيضا تعامل، وكل تعامل يوجب مراقبة جهة العمل...، ينظر طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، المغرب ط 1، 1998، ص 216، 217

1 - عبد الجليل عبده شلي: الخطابة وإعداد الخطيب، ص 23

2 - أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، در الفكر، ج1/ص 120، 121،

- أن يكون رابط الجأش، أي غير مضطرب في نفسه.
- أن يكون مرموقا من السامعين، لا تحفظ له هنة أو زلة.
- العقل: فالعقل لدى الخطيب هو الضابط لعمله وهو الذي يحدد مدى فاعلية هذا العمل ومدى نجاح الخطيب فيه.
- قوة البداهة، فسرعة البداهة تخلص الخطيب من العديد من المواقف الحرجة وتبقي له صورته الثابتة في أذهان المستمعين.
- أهمية سعة الثقافة وشمول الإطلاع بالنسبة للخطيب، ففي سعة الثقافة ثراء للعقل، وتتسع بها مدارك الفهم، وتعزز المعاني وتنمو ملكة البلاغة والتعبير.
- يجب على الخطيب التعرف على أحوال المخاطبين، فالجمهور أرضية الخطيب التي يواجهها ويريد تحريكها وتفعيلها، وعليه أن يضع نفسه مكان المخاطبين، حتى يشعر بما يشعرون ويدرك ما يحتاجون ويطلبون.¹
- فهذه أهم الخصائص التي يتميز بها الخطيب، وزيادة على ذلك فالخطيب يكون أعلى مرتبة من الجمهور، لأن الخطيب هو من يخرج الخطبة في أحلى حلتها والجمهور يسمع ما ينتجه الخطيب من خلال أفكاره وموضوعاته.

2.3 - الجمهور :

فالجمهور هو الطرف المستقبل للخطبة - عنصر محوري في العملية التخاطبية - ،وهو الذي يحاول فهم ألبازها وحل شفراتها وإدراك مقاصدها، والجمهور عادة في الخطبة يكون جماعة، وقد يختلف باختلاف الطبقات والبيئات " والسامعون من طبقات شتى وبيئات عدة الكبير والصغير، والمتعلم والأمي والفقير والغني، والخصم والولي...²

¹ - ينظر محمد سعد علي شعيب، عبد البصير علي علي : دراسات في الخطابة ،ص 97، 98 ، وينظر أحمد محمد الحوي :
فن الخطابة ،ص 25 وينظر محمد الطاهر بن عاشور: أصول الإنشاء والخطابة ، ص 136 . 139

² - ينظر محمد سعد علي شعيب، عبد البصير علي علي : دراسات في الخطابة، ص 103

ويتألف الجمهور من طبقات، فهناك من الجمهور من لا تبلغ عقولهم بسرعة إلى إدراك البراهين النظرية، وعليه فقد يخاطب الخطيب قوما من الخاصة إلا أن "المقام يكون نابيا عن سلوك طريقة البرهان، إما لقصر الوقت واحتياج البرهان إلى طول، وإما لأن في البرهان خفاء، وتدقيقا وتفاوتا في قبول الناس له"¹

وعليه فهناك من الجمهور من يساوي الخطيب، وهناك من يعلوه مرتبة، وهناك من هو دونه لذلك وجب على الخطيب أن يعرف انفعالات الجمهور، ويميز بين ما تنفعل به نفوس العامة، وما تنفعل به نفوس الخاصة، وما هو مشترك بينهما، وبين نوع الانفعالات خيرها وشرها وقوتها وضعفها، وما هو مقبول وما هو مردود.²

كما يمكن للجمهور أن يقبل أو يذعن في الأطروحة أو الخطبة الموجهة إليه فعلى المتلقي " أن يكون حرا في الإذعان للأطروحة (الرأي) المقترحة عليه "³ فهذه القاعدة يمكنها ألا تكون سوى نتيجة بسيطة للطابع الاجتماعي للرأي.

فالخطيب المهيمن على الخطبة، يجب عليه تدبير العلاقة مع المتلقي، ليخلق موقفا تواصليا، يكون فيه الجمهور حرا في قبول أو رفض أفكاره.

3.3 - الخطبة :

¹ - محمد الطاهر بن عاشور : أصول الإنشاء والخطابة، ص 120

² - ينظر المرجع نفسه، ص 132

³ - فيليب بروتون: الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، الهيئة العامة المصرية للكتاب

القاهرة، ط1، 2013 ص 48

تكون الخطبة بحسب الغرض الذي دعا الخطيب إلى لكلام ،وهي مقسمة إلى أقسام ،
وتكون بحسب ذلك الغرض بين موجزة ومطّبة ومتوسطة بحسب ما يأتي في المقام.*

4.3 - مقام الخطبة :

يجب أن تراعي الخطبة مستوى المخاطبين، وفق مقولة لكل مقام مقال " فلا تحلق في سماء
البيان إذا خاطبت عامة الناس، ولا تسف إسفاف القص إذا خاطبت خاصة العلماء، وهذه
القاعدة تعني أن السامع لا المتكلم هو الذي يحدد معاني الخطبة ومبانيها، لأن ما يصلح لأهل
الحاضرة لا يصلح لأهل البادية، وما يخاطب به الملك لا تخاطب به السوقة، وما يفهمه العرب
الأقحاح يعيا يفهمه المولدون والمستعربون"¹

فالمتكلمون طبقات اجتماعية وثقافية، فما يصلح للبدو لا يصلح للحضر، وما يخاطب به
الملك لا تخاطب به السوقة، وهذا ما أقره " العسكري " بقوله : " ... لا يكلم سيد الأمة بكلام
الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة ، لأن ذلك جهل بالمقامات ، وما يصلح لكل واحد منهما من
الكلام ، وأحسن الذي قال لكل مقال مقام ، وربما غلب سوء الرأي ، وقلة العقل على بعض
علماء العربية ، فيخاطبون السوقي والمملوك والأعجمي بألفاظ أهل نجد، ومعاني أهل السراة"²
ونجد " بشر بن المعتمر " ينزل الكلام منازل الناس ، ومراعاة " لكل مقال مقام "
يقول : " فكن في ثلاثة منازل ، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا،
ويكون معنك ظاهرا مكشوفاً ، وقريبا معروفاً ، إما عند الخاصة ، إن كنت للخاصة قصدت وإما
عند العامة، إن كنت للعامة أردت، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك

* لقد أشرنا سابقاً إلى أهم المميزات والخصائص والأنواع التي تتركز عليها الخطبة

1 . غازي طليمات ، عرفان الأشقر : النشر في العصر الأموي، ص 35

2 . أبو هلال العسكري : الصناعتين، ص 29

ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال¹

ويقول في موضع آخر: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازي بينهما وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"²

فالمقام ضروري في الخطب، فلا يجب التملص منه، وبخاصة عند المخاطبين، فهي تختلف تبعا لتغير المقام وأحوال السامعين، لذلك فهو الذي يفضي بنا إلى معرفة مقاصد ومعاني الخطب، وعليه جاز لنا القول إن الخطابة بصفة عامة والأموية بصفة خاصة لا يمكن فهم معانيها ومقاصد الخطباء، إلا بالإحاطة بالظروف المقامية، وظروف الإنتاج.

بناء على ما سبق يمكن القول أن الخطابة الأموية، تحمل في طياتها الفواعل الأساسية للعملية التخاطبية، فالخطب في علاقة مباشرة مع الجمهور، تتشكل من مواضيع مختلفة، تهدف إلى إقناعه واستمالته لكسب أطروحة معينة في مقام تخاطبي وتواصلية معين.

فهذه الفواعل والعناصر التي تتركز عليها الخطابة، يمكن إسقاطها على المجال التداولي التي تحتكم إلى هذه العناصر الأساسية للعملية التخاطبية وهي: المتكلم، والمخاطب، والخطاب، والمقام

4. الخصائص اللغوية للأسلوب الخطابي، وبعض نماذجه من الخطب الأموية:

اللغة ضرورة لا بد منها، فلها المكانة العليا والرفيعة، فهي أداة التفاهم والاتصال بين المجتمعات البشرية، فتؤثر فيه وتتأثر به، لذلك تبوأ مكانها في الخطب، فاللغة تظهر فصاحة الألفاظ والمعاني والأساليب بشتى ضروبها " فلها الفضل من جهة اعتدال كلماتها... ولها الفضل من جهة فصاحة مفرداتها، فليس في كلماتها الجارية في الاستعمال ما يثقل على اللسان أو ينبو

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1/ 136

² - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1/ 138، 139

عنه السمع، وللعارف بحسن صياغة الكلام أن يصنع من مفرداتها المأنوسة الوضاعة قطعاً أو خطباً أو قصائد تسترق الأسماع وتسحر الأسباب¹

فاللغة لها الفضل في فصاحة الألفاظ، وغزارة المعاني، وحسن البيان، فيستطيع الخطيب أن يصيغ من مفرداتها خطباً راقية جارية في الاستعمال.

ويكتسب الخطيب مهارة التحكم في اللغة، ليصنع أسلوباً خطابياً خاصاً به، يساعده على الوصول إلى هدفه ومكسبه، والأسلوب الخطابي هو الطريقة التي بها تتضح القدرة على الكشف عن وسائل الإقناع الخاصة لكل حالة، وأداؤه اللساني وذلاقته ودقة توصيل الألفاظ، فهو أسلوب يرتكز على الهدف.²

وهو الطريقة التي يتبعها الخطيب في اختيار ألفاظه وتراكيبه ومعانيه، التي توصله إلى

الهدف، والأسلوب الخطابي يكون بحسب حال الخطبة والخطيب وجمهور السامعين، كمايلي:³

- ملائماً للموضوع: فموضوعات الخطبة تختلف باختلاف المقام، فمثلاً الخطب الحربية تلائمها الكلمات والألفاظ القوية الحماسية...

- ملائماً للسامعين: يتأنق الخطيب في خطبته للخاصة، ويعدل إلى السداحة مع العامة، ويطنب في الجمع المستكثر، ويوجز في الجمع المؤثر للإقلال...

- ملائماً لحال الخطيب: من بهجة أو أسي، ومن غضب أو رضا، ومن انتقام أو رحمة...

فلا بد أن يكون أسلوب الخطبة سهلاً وواضحاً، والألفاظ والمعاني منسقة ومنظمة ملائمة

للمقام.

¹ - محمد سعد علي شعيب، عبد البصير علي علي : دراسات في الخطابة ، ص 42

² - ينظر حميد آدم تويني : فن الأسلوب، دراسة وتطبيق عبر العصور الأدبية، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن،

ط1، 2006، ص 73

³ - أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة ، ص 141

1.4 - اللفظ والمعنى ودورهما في نظم الخطب:

تحتاج الخطب في عمومها إلى الألفاظ والمعاني فهي التي تنسقها وتنظمها، يقول العسكري: " أجناس الكلام ثلاثة: الرسائل، والخطب، والشعر، وجميعها تحتاج إلى حسن التأليف وجودة التركيب " ¹، فحسن التأليف يزيد المعنى وضوحاً، وجودة التركيب وضع الألفاظ في مواضعها، حتى تكون الخطبة منسقة منظمة واضحة، فلا يمكن فهم المعاني إلا إذا أحسن اختيار الألفاظ، أما الألفاظ الغريبة والمعاني المستهجنة لا تعطي للخطب ذلك الرصف والتنظيم الجيد، وهذا ما ذهب إليه "الجاحظ" في قوله: " ولم أجد في خطب السلف الطيب والأعراب الأقحاح، ألفاظاً مسخوطة ولا معاني مدخولة، ولا طبعاً رديئاً، ولا قولاً مستكرها " ²

ففسح معاني الخطب وتنسيق ألفاظها، يكون باختلاف المقام وبخطاب كل قوم بما يفهمون، " فإذا خطب الخطيب في العامة فعليه بسهل المعاني...، وبالضرورة يستدعي ذلك سهولة الألفاظ، إذ هي قوالب المعاني، مع انتخاب سهلها ومتعارفها بدون ابتدال، وإذا خطب في الخاصة، فليأتي بالمعاني الرائقة، والحكم العالية، والألفاظ العزيزة... " ³

فالألفاظ والمعاني تتغير في الخطب بتغير المقامات، فإذا كانت للعامة كانت سهلة يألفها الذوق، وإذا كانت للخاصة كانت معانيها رائقة مميزة وألفاظها عزيزة قوية، ولا يكون هناك تقديم أو تأخير في الألفاظ إلا بحسب الموقع والمعنى، بحيث " تقع كل كلمة في موقعها اللائق، فكل كلمة تعانق الأخرى... فلا تستطيع أن تقول لو تقدمت هذه الكلمة أو تأخرت... فإن لها محلاً من المعنى لأنها تشكل مع سابقتها ولاحققتها بناء متكامل " ⁴

¹ - العسكري : الصناعتين ، ص 147

² - أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين، ج 2/ 8

³ - ابن عاشور : أصول الإنشاء والخطابة ، ص 150

⁴ - محمود محمد محمد عمارة : الخطابة بين النظرية والتطبيق ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ط 1 ، 1997 ، ص 26

وللتمثيل على ما تقدم نأخذ نموذجاً من الخطب الأموية وتحديداً خطبة ذات الطابع الديني، يقول: "عمر بن عبد العزيز" "سن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده سننا، الأخذ بها اعتصام بكتاب الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها... من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصله جهنم وساءت مصيراً"¹

انبتت هذه الخطبة على ألفاظ متساوقة في معناها بين "اهتدى"، و"مهتد"، "استنصر بها"، "منصور"، "من تركها (السنة)"، "أصله جهنم"...

فهذه الألفاظ كانت بمثابة حرص الخطيب على تتبع السنة النبوية، مما دفعه إلى طمأنة من اتبعها بالنصر وهو الجنة، والعكس على من خالفها فمصيره جهنم، ووظف من خلال هذه الألفاظ عبارات استعان بها ليكشف عن موقفه الديني، الذي ينبه إلى إتباع سنة النبي، ونبه إلى مصدر العقوبة لمن خالفها (ليس لأحد تبديلها أو تغييرها)، إلى غير ذلك من العبارات، وبذلك فهو يذكر الجمهور بعدم مخالفة سنة نبينا.

ويتوقف الأسلوب الخطابي كذلك على ضروب مختلفة، كالتقرير، والإنشاء، والتكرار والتوكيد، وفي التصوير كالتشبيه والاستعارة والكناية...، وفي المحسنات البديعية، كالسجع والطباق والجناس... كما يلجأ الخطيب إلى الإيجاز والإطناب ونجد في الخطب الأموية كذلك كثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم والشعر...، ونتوقف على بعض هذه الضروب مع إعطاء بعض النماذج من الخطب الأموية.

¹ - حسين أحمد عطوان : نصوص من الأدب الأموي، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط2، 2011، ص 450

2.4 - التوكيد :

إن للتوكيد أثرا كبيرا في إثارة الأهواء، يستعمله الخطيب بدقة لجذب السامعين والتأكيد على رأيه وأخذهم إليه " فالمتكلم حين يؤكد كلامه، فإنه يقوي مضمونه ويوثقه، أيا كان المضمون: إخبارا أم طلبا... وإيا كان نوع المؤكد: جملة أم لفظة..."¹

فالتوكيد يكون في الجمل والألفاظ " فتوكيد الجمل يكون بدخول المؤكد على الجملة كلها، وليس على إحدى مفرداتها، ومؤكدات الجمل هي: إن وإنما، واللام، وقد، والقسم..."²

وقد ورد التوكيد في الخطب الأموية بشتى أنواعه، وسوف نأخذ بعض النماذج ونجد التأكيد ب " إنما " في قول " عمر بن عبد العزيز " : " ...ألا إني لست قاض وإنما أنا منفذ... لست بخيركم، وإنما أنا رجل منكم..."³

ف"إنما" في هذه الخطبة دفعت إلى توكيد معنى سابق، فهو أكد أنه منفذ وليس بقاض، كما أكد أنه رجل منهم وليس خير عليهم، وهذا التأكيد ينم على أن " عمر بن عبد العزيز " هو خليفة متواضع ويحمل على كاهله ثقل المسؤولية التي وكلت إليه، كما نجد أيضا التوكيد بالقسم بكثرة في الخطب الأموية، وبخاصة في خطب التهديد والوعيد، وقد تجسد عند " الحجاج " في أكثر من خطبة كقوله " أما والله إني لأحتمل الشر بحمله "، إلى غير ذلك من الخطب.

3.4 - التكرار :

ارتسم أسلوب التكرار بكثرة في خطب الأمويين، ونجده متواترا في الخطبة الواحدة، وقد دافع القدماء عن هذا النمط، يقول الجاحظ: " وجملة القول في الترداد، أنه ليس فيه حد ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص، وقد

¹ - عبد المجيد محمد علي الغيلي: المعاني النحوية أساليبها وألفاظها عند العرب، منشورات رحي الحرف، 2003، ص 183

² - المرجع نفسه، ص 184

³ - المرجع نفسه، ص 450

رأينا الله عزوجل ردد ذكر قصة موسى وهود... وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة، لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبي غافل¹

كما أن التكرار في الخطب يحمل على تثبيت الأفكار، وإثارة العواطف، يقول الجاحظ: " وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ وترداد المعاني عيا، إلا ما كان من النخار بن أوس العذري؛ فإنه كان إذا تكلم في الحملات، وفي الصفح والاحتمال، وصلاح ذات البين... كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف...² "، فالخطيب وجب عليه الاتجاه إليه، إذا تطلب المقام ذلك، لأنه من خفيت عليه لفظة أو جملة بينتها الأخرى، وسنأخذ نموذجا من إحدى الخطب الأموية فهذا " معاوية " خطب الناس فقال : " إني كزرع مستحصد، وقد طالت إمرتي عليكم، حتى مللتكم ومللتموني، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقني... وقد قيل: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، اللهم إني أحببت لقاءك فأحب لقاءني، وبارك لي فيه³ "

فهنا الخطيب قد كرر الألفاظ والكلمات في " مللتكم، مللتموني " و " تمنيت، تمنيتم " و " أحب " الذي كررها أكثر من مرة، جاء التكرار هنا بمعان مختلفة ومتعددة، وذلك للتأثير في القارئ، والتأكيد على بعض الأمور المهمة، ونرى الخطيب كيف كان كلامه المكرر مثيرا للأهواء والميول.

4.4 - الصور (التصوير) :

امتازت الخطابة في العصر الأموي بإبراز أفكارها في قوالب تصويرية كالتشبيه والاستعارة والكناية... وتبرز مقدرتهم الفائقة في استعماله، فالصورة عندهم لم تكن عنصرا مساعدا لأفكارهم وحججهم، بل كانت هي المادة والشكل وهي الموضوع والحجة.⁴

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1/105

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها

³ - حسين أحمد عطوان : نصوص من الأدب الأموي، ص 437

⁴ - ينظر محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول

نموذجا، إفريقيا الشرق، المغرب، 2002، ص105

ومن أمثلة التشبيه في الخطب قول "أبو حمزة الشاري": "...تحمّلون منها في صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة"¹. فقد شبه الخطيب المواعظ التي يحملونها في صدورهم بالحجارة لأنها لم تلتن صدورهم من كتاب الله الذي لو أنزله على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله. فهذا نموذج من التشبيه، فهناك أخرى متواترة بكثرة في الخطب، لأن الخطيب يلجأ إليه ليدعم أطروحته وموضوعه.

كما نجد الاستعارة بشكل كبير لأن الخطيب يلجأ إليها ليس للتزيين والزخرفة بل يستعملها بما يليق مع مقام الخطبة، ومن أمثلتها في الخطب، قول "الحجاج": "إني لأحتمل الشر بحمله"². فقد وظف لفظ الشر، ويريد أنه يقوى على الشر الشديد ويطيقه، وأنه لا ينكسر له ولا ينوء به، فهي دلالة معنوية نقلها إلى المتكلم أنه قادر على فعل أي شيء. وقد وظفها للتأثير في الجمهور.

كما لا تخلوا الخطب من الكناية لأن الخطيب يلجأ إلى التكنية أكثر من الإظهار بغية التأثير وإقناع جمهور السامعين منها كناية في خطبة "أبي حمزة الخارجي" "...ولا يصححها إلا المعرفة بالله، وقوة النية، ونفوذ البصيرة..."³ "نفوذ البصيرة" كناية على الفطنة وحدة النظر وسداد الرأي، وكناية في قول "الحجاج": "لا يقع لي بالشنان"⁴ فالشنان جمع شن وشنّة وهي القرية البالية اليابسة، وهي كناية على أن الحجاج لا يخدع ولا يروع، وكان قصده من ورائها إظهار للجمهور أنه قادر على الولاية.

¹ - حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، ص 497

² - المرجع نفسه، ص 469

³ - حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، ص 498

⁴ - المرجع نفسه، ص 464

5.4 - المحسنات البديعية :

غلبت على الخطب الأموية المحسنات البديعية، يوظفها الخطيب باستمرار في خطبه ليوقع
رئينا خاصا في جمهور السامعين واستمالتهم، وخصوصا عن طريق السجع وهو: " توافق الفاصلتين
في الحرف الأخير وأفضله ما تساوقت فقره"¹

فالسجع من أبرز الأساليب البلاغية في الخطب الأموية، وخصوصا الدينية " والسجع في
الخطب الدينية أكثر شيوعا بوجه عام منه في الخطب السياسية"²

ومنه في خطبة " سليمان بن عبد الملك " لما تولى الخلافة يقول : " الحمد لله، ألا إن الدنيا
دار غرور، ومنزل باطل ،تضحك باكيا، وتبكي ضاحكا، وتخيف آمنا، وتؤمن خائفا، وتفقر مثريا
،وتثري مقترا ..."³. فالسجع في (باكيا ،ضاحكا ،آمنا ، خائفا ، مثريا ، مقترا ...)
- الازدواج : وهو " تجانس اللفظين المتجاورين ،نحو من جد وجد ،ومن لج ولج"⁴

ونجد هذا غالب في الخطب السياسية كخطب الحجاج ،وأبي حمزة ،وزياد بن أبيه ... لذلك
تسير خطبهم في فقرات معنوية، ازدواجية أو سجعية يتلو بعضها بعضا.
ومنه خطبة " الحجاج " لما قدم إلى البصرة قال: " أيها الناس: من أعياه داؤه، فعندي
دواؤه، ومن استطال أجله فعليه أن أعجله، ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله، ومن استطال
ماضي عمره قصرت عليه باقيه ..."⁵

¹ - السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1999، ص 330

² - محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 116

³ - حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، ص 447

⁴ - السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص 228

⁵ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، في عصور العربية الزاهرة، مطبعة مصطفى الباني الحلبي، مصر، ج2، ط1،

1933، ص 278

نجد ازدوجا في هذه الخطبة قائما على الموازنة والتجانس بين فواصل الخطبة، تتجاوب الأولى ازدوجا مع الأخرى كـ " من أعياء داؤه " والثانية " عندي دواؤه " و " ومن استطال أجله " والثانية " عليا أن أعجله " إلى غير ذلك، ويمكن القول إن هذه الخطبة قائمة على الازدواج حتى نهايتها.

- **الطباق** : لقد تجلّى الطباق بشكل كبير في الخطب الأموية، لاسيما في خطب الخلفاء، يقول " معاوية": " أيها الناس، إنا قدمنا عليكم، وإنما قدمنا على صديق مستبشر، أو على عدو مستتر... فإن كانت محمّدة فلا بد من مذمة...¹ " وتجلّى الطباق في قوله " صديق، عدو " و " محمّدة، مذمة "

لقد تلونت الخطب الأموية بألوان البديع من سجع وطباق ومقابلات، مما أضفى عليها جرسا موسيقيا يخدم المعاني، ويجذب انتباه السامعين، وبالتالي يحدث أثرا في نفوسهم.

6.4 - الاقتباس:

كثر الاقتباس من القرآن، ووضع الآيات في مواضعها، فعمد الخطباء إليه لأنهم وجدوا في الآيات التي يقتبسونها تعبيرا صادقا عما يريدون قوله، يقول الجاحظ: " وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع أي من القرآن؛ فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار، والرقّة، وسلس الموقع"²

ثم يروي ما قاله " عمران بن حطان ": " إن أول خطبة خطبتها، عند زياد - أو عند ابن زياد - فأعجب بها الناس، وشهدها عمي وأبي، ثم مررت ببعض المجالس، فسمعت رجلا يقول لبعضهم: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن"³

¹ - حسين أحمد عطوان : نصوص من الأدب الأموي ، ص 434

² - الجاحظ : البيان والتبيين ، ج1/118

³ - المرجع نفسه، ج1/118

لهذا " فالاقتباس من القرآن كان الطابع الغلاب في الخطب الدينية والوعظية، ولهذا أسموا خطبة الوعظ أو الدين إذا خلت من القرآن شوهاء"¹

والأمثلة على الاقتباس كثيرة جدا في الخطب الأموية، نذكر منها: خطبة "الحسين بن علي" قال: "ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"² ففي قوله " من نكث فإنما ينكث على نفسه " مأخوذة كلها من القرآن من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أُوْفِيَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَةٌ أَجْرًا عَظِيمًا﴾³ بالإضافة إلى هذا الاقتباس هناك أخرى، يلجأ إليه الخطيب ليدعم رأيه على اعتباره حجة جاهزة لا يمكن دحضها.

7.4 - الإيجاز والإطناب :

تمتاز الخطب الأموية بالإيجاز والإطناب أو بالطول والقصر " فالالاكتفاء بالإيجاز إذا تحقق به الانجاز أو الاعتدال بلا إخلال، أو الإطناب بلا إملا، ولالإيجاز والاعتدال والإطناب مواضع يحسن بالخطيب أن يراعيها"⁴

قال الجاحظ: " قال : فقليل له : فإن مل السامع الإطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموقف؟ قال إذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ..."⁵

فالإيجاز يلجأ إليه حتى لا يكون متفهما في كلامه ومتشدقا، والتطويل ليفسر به الغامض ويفضي إلى تعليل فكرته بحجج وأدلة تدحض الباطل وتقنع السامع، ومعنى ذلك أن إيجازهم وتطويلهم لم يكن من أجل مراعاة المقام " بل إن مراعاة المقام كانت ثابتة في كثير من أقوالهم ..."¹

1 - أحمد محمد الحوي: فن الخطابة، ص 227

2 - حسين أحمد عطوان : نصوص من الأدب الأموي، ص 501

3 - الفتح، الآية 10

4 - غازي طليمات، عرفان الأشقر: النشر في العصر الأموي، ص 34

5 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1/116

ومن الخطب الطوال نجد خطب الخوارج، كخطب "أبي حمزة الشاري" و"قطري بن الفجاءة" وغيرها، فخطبهم اشتملت على الحجج لإعلان مساوئ الحكم الأموي، أما خطب الوعاظ والزهاد فكانت أميل إلى الإيجاز والقصر، كخطب ابن سيرين والحسن البصري وغيرهما، لأنهم أخذوا بمذهب النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك لخوفهم من أن تكون الإطالة ثرثرة، وتفيها وتشادقا، وهناك الخطب المتوسطة بين الطول والقصر كخطب الحجاج وزيناد بن أبيه.²

8.4 - القياس الخطابي :

لقد كثر القياس الخطابي في الخطب الأموية، وهو قياس اعتمده الخطباء على الفطرة، فهو " آية من آيات الذهن البشري، تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما للوصول إلى استنتاج ما، بألفاظ فيها شيء من الالتباس والاشتراك، بناء على أن القياس يقوم على التجربة، التي ينطلق منها المتكلم لتشكيل صور استدلالية"³ والقياس الخطابي غيره القياس المنطقي لأن " الأقيسة المنطقية تتألف من قضيتين تسميان مقدمتين، ولا بد أن تكون كلتاها يقينية، بينما الأقيسة الخطابية أو الأساليب الخطابية لا تستلزم دائما ذكر المقدمتين، وتطوي الثانية لفهمها فحوى الكلام... ولا يعزم أن تكون مقدمات القياس الخطابي يقينيتين، بل يكتفي في كثير من الأحيان بالظن الغالب أو العرف الشائع..."⁴ ويمكن أن يكون قياسا مضمرا تخفى إحدى مقدمتيه، فهو قياس يقوم على الاحتمال لا على اليقين، لذلك فالقياس المضممر هو " قياس يقوم على الاحتمالات"⁵

¹ - محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها، ص 449

² - ينظر المرجع نفسه، ص 248

³ - عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 1 ،

2005، ص 91

⁴ - محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها، ص 87

⁵ - محمد العمري : في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 71

وندعم ما سبق ذكره بنموذج من الخطب يقول: "الحسين بن علي" "أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم...، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد...، وأنا أحق من غيري، وقد أتتني كتبكم، وقدمت على رسلكم ببيعتكم..."¹ والقياس على الشكل التالي :

- من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ولم يمنعه عاقبه الله.

- إن هؤلاء (بنو أمية) لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمان، وأظهروا الفساد ...

- أنا أحق بتغيير المنكرات، وهذا التغيير يأتي بكم إذ بايعتموني.

فهذا نموذج على القياس الخطابي وهو متواتر بشكل كبير في الخطب الأموية، لأن الخطيب

يلجأ إليه لأنه أقرب إلى اليقين، وبالتالي يستطيع أن يقنع السامعين.

وفي الأخير يمكن القول أن الخطابة الأموية توفرت على الفواعل التخاطبية، إضافة إلى ما

تمتاز به من أساليب بشتى أنواعها، وسوف نضفي هذه الأساليب في الجانب التطبيقي وكيف

تعمل تداوليا، وما هو قصد الخطيب من توظيفها في الخطبة. والآن سنحاول التطرق إلى الجانب

التداولي، وأهم محاوره.

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 40

- ثانيا: اللسانيات التداولية

1. الأصول الفلسفية واللسانية:

يرى " جان غروندين " أن : " التزاوج المنهجي الذي وقع بين اللسانيات وفلسفة اللغة أنتج مبحثا معرفيا جديدا هو التداولية "pragmatique" ¹

فالتداولية هي عبارة عن مفترق طرق بين الأبحاث اللسانية والفلسفية ، فقد وجدت لبداياتها منشأ في حضن فلسفة اللغة واللسانيات.

1.1 - التيار الفلسفي:

نجد أن التداولية نشأت في أحضان الفلسفة التحليلية مع روادها، من أمثال " براتراندرسل " و "كارناب " و " فريجة " و "ج.إدوارد مور " و " ادموند هسرل " و " فتجنشتاين " و " أوستن " وغيرهم.

فقد ركزت على اللغة، فجعلتها أساسها ووظيفتها " فاللغة في الفلسفة التحليلية ليست مجرد وسيلة للتواصل والتخاطب، بل هي هدف للبحث الفلسفي، والواضح أن الاهتمام الكبير باللغة من جانب فلاسفة التحليل، على شاكلة مور، ورسل، وفتجنشتاين، دفع بعض الباحثين إلى تعريف الفلسفة التحليلية بأنها مدرسة فلسفية معاصرة تتخذ من دراسة اللغة موضوعا لها ² فاللغة هي الجوهر القاعدي للفلسفة التحليلية، بما تحل القضايا والمشكلات الفلسفية، ولا ينكشف العالم والكون إلا بواسطتها.

وللفلسفة التحليلية عدة فروع، وهي فروع استفادت منها التداولية ، بل هي المبدأ الحصييف الذي مهد لها بشكل من الأشكال، وتتمثل فيمايلي :

¹ - جان غروندين: المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا ، ترجمة : عمر مهيبيل ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2007 ، مقدمة المترجم ، ص9

² - بشير خليفي: الفلسفة وقضايا اللغة، قراءة في التصور التحليلي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010 ،

1.1.1 - الوضعية المنطقية :

شكل أفكارها فلاسفة فيينا من بينهم " شليك " و " فيزمان " و " كارناب " و " آير " وغيرهم.

وتبنى أصحاب هذا الاتجاه اللغة المثالية* ، ووضحوا أن الأقوال تستخدم عن طريق التحليل المنطقي، لذلك جعلوها أساس بحثهم على " افتراض أن اللغة العادية تنطوي على قصور يجعلها خاطئة أو معيبة إلى حد كبير بالنسبة للأغراض الفلسفية، وأنا إذا شئنا أن نحقق نجاحا في الفلسفة، فلا مناص لنا من بناء لغة منطقية دقيقة تستعوض بها عن اللغة العادية، وهذه اللغة الدقيقة ما أطلقوا عليه اسم اللغة المثالية"¹

أجمعوا على أن اللغة العادية قاصرة في تحديد الأغراض الفلسفية، ونظروا إليها نظرة تقزيمية، وبهذا أقصت ودحضت الجانب الجوهرية للغة وهو الجانب التواصلية بين المتكلمين.

2.1.1 - الظاهراتية :

تبنى هذا الفرع الفيلسوف " إدموند هسرل "، فقد بحث في هذا الفرع في الأطر الفكرية للكينونة اللغوية التي اعتمدت على قصدية الوعي، فقد اهتمت بالمرحلة الذهنية أكثر من اهتمامها بالاستعمال اللغوي.

ومن هنا " فإن المنظور الظاهراتي كسابقه لا يتبنى البعد الاستعمالي العادي للغات كمبدأ أساسي ومن ثم فهو اتجاه غير تداولي"²

* فاللغة المثالية تسمى أيضا اصطناعية، رمزية، الكاملة منطقيا وهي لغة رمزية تتجنب كل عيوب اللغة العادية، بحيث يكون كل اسم دالا على معنى معين، أو يكون لكل كلمة معنى ومدلول، ينظر - محمد فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 30

¹ - محمد مهران رشوان: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1984، ص 179

² - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص 23

بالرغم من ذلك فقد جاءت بأهم مبدأ وهو مبدأ " القصدية " ، والذي يعد ركيزة جوهرية في اللسانيات التداولية، خصوصا عند الفيلسوف " سيرل " .

3.1.1 - فلسفة اللغة العادية :

هناك من يرى بأن " فتجنشتين " ludwig wittgenstein* هو رائد هذه المدرسة، ومثل هذا الاتجاه مركز الاهتمام الفلسفي بعد الوضعية المنطقية و الظاهراتية ، وأساس هذا الاتجاه جاء من إنكار " فتجنشتين " للافتراض السابق الذي روجه المناطقة ، وقد شاع هذا الاتجاه في " كمبردج " على يد مجموعة من الفلاسفة، ثم انتقل إلى " أكسفورد " بعد وفاة "فتجنشتين" تحت زعامة " جليبرت راييل " و " جون أوستن " وغيرهم.¹

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن للغة العادية منطقتها الخاص في الاستعمال، فوضعوا تصنيفات جديدة، وكشفوا عن ظواهر جديدة، لذلك " راحوا يطورون فكرة عن المنطق جديدة وجديرة؛ وهي نظرية بنية اللغة العادية، وكانوا يهدفون من ورائها الكشف عن الشروط الأساسية لتجنب الالتباس، والاستعمال الصحيح أيا كانت الألفاظ المستخدمة ... كما راحوا يصنفونها أنواعا لكل نوع صفاته المميزة ... مثل عبارات الاستفهام والتعجب والأمر والعبارات القيمية، وحاولوا الكشف عن القواعد التي تحكم استعمال هذه العبارة تحت هذا الظرف المعين أو ذاك "² فقد وضع أصحاب هذا الاتجاه منطق خاص للغة الاستعمال، وهو منطق يكشف عن الاستعمال الصحيح للألفاظ المستخدمة والعبارات اللغوية كالاستفهام والأمر ...

* لودفيغ فتجنشتين (1951 - 1989) فيلسوف نمساوي تتلمذ على يد راسل ، وتأثر بمنهجه ، له " رسالة منطقية فلسفية " كانت تقوم على أساس منهج راسل ، ثم انتقل إلى اللغة العادية وهو ما عرف باسم فتجنشتين الثاني ، فهو عند البعض أعظم فيلسوف معاصر ، وعند البعض الآخر شخصية هبطت بالفكر الفلسفي إلى أدنى مستوى ... ينظر محمد مهران رشوان ، عصام زكريا جميل : فلسفة اللغة، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط 1، 2012 ص 52 ، ص 176

¹ - ينظر محمد مهران رشوان، عصام زكريا جميل: فلسفة اللغة، ص 205

² - ينظر المرجع نفسه، ص 217

فمثلا لو قلت ل " أ " اغلق الباب، فالمنطق اللغوي لهذا الأمر - باعتباره فعلا كلاميا - يتطلب وجود باب، ووجود متكلم ومتلق، وسياق ... - وهي أقطاب اللسانيات التداولية - على عكس أصحاب المنطق الصارم، الذين يفصلون الجمل عن سياقها التداولي التي قيلت فيه. وهذا ما أقره " فتحنشتين " الذي اعتبر أن لكل نوع من أنواع الجمل استعمالا خاصا في سياق محدد، وهذا ما يؤول إليه تصور فلاسفة أكسفورد، وهو " أن التعابير لا معنى لها إلا في سياق محدد، أي أن اللفظ يأخذ معناه من المناسبة التي استعمل فيها، وبالتالي فإن معاني الألفاظ في اللغة العادية واضحة " ¹

فالعبارات اللغوية تتحدد وفقا لسياقاتها، وكذلك المناسبة التي قيلت فيها، وبالتالي فالعبارات والألفاظ تأخذ نصيبها من الاستعمال في اللغة العادية.

إذن فاللغة العادية هي اللغة الصحيحة تماما في الاستعمال، فهي لغة الحياة اليومية، لها منطقتها الخاص، وتعابيرها وعباراتها لا تعبر عن معنى مستق، بل تعبر عن المعنى وفقا للسياق والمقام في العملية التخاطبية، وبالتالي فهي صميم البحث التداولي.

استنادا إلى ما سبق نجد أن الدراسة التداولية ولاسيما الأفعال الكلامية انبثقت عن دراسة فلسفة اللغة العادية، أما الفرعان الآخران فقد حفت بهما بعض الشوائب والقصور، حيث لم يخرجوا من بوثة المنطق، والبحث في الذهنية ووعي المتكلم، وانصرافهم إلى اللغة المثالية.

2.1 - التيار اللساني :

يعتبر " شارل سوندرس بيرس " من العلماء الأوائل الذين أسسوا للسانيات التداولية، حيث يرى أن " العالم (بفتح اللام) بالنسبة إليه يتم إدراكه بواسطة التفاعل بين الذوات، والنشاط السيميائي، أي هذا يحصل أساسا بفضل الأدلة " ²

¹ - بلبولة مصطفى : لودفيغ فتحنشتين من لغة الكون إلى لغة الإنسان، ورد في كتاب : اللغة والمعنى مقارنة في فلسفة اللغة ، تقديم مخلوف سيد أحمد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1 ، 2010، ص 185

² - الجليلي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ص 8

والدليل حسبه هو " شيء موجود ههنا من أجل شخص ما لغرض ما، وذلك على نحو من الأنحاء، والدليل هذا يتوجه إلى شخص ما، أي يحدث في فكر هذا الشخص دليلاً مساوياً، أي يحدث فيه دليلاً أكثر تطوراً"¹

ويرى " أوتو آبل " - من أبرز شراح بيرس - أن نظرية " بورس " حول الدليل تتمثل فيمايلي:²

- الدليل : هو البعد التركيبي.

- الواقع المدلول عليه : هو البعد الدلالي.

- معرفة الموضوع : هو البعد اللساني التداولي.

وهي مقومات تقوم عليها الدراسة التداولية، التركيب، ثم الدلالة، ثم التداول وهو الجانب

الاستعمالي للغة .

إضافة إلى " بورس " نجد " شارل موريس " (charles.morris) ، فبالنسبة إليه

تشكل السيمياء من ثلاثة مكونات وهي:³

- علم التركيب : وتقتصر على دراسة العلامة بين العلامات.

- علم الدلالة: الذي يدور على الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائمة بين

العلامات وما تدل عليه.

- التداولية: والتي تعنى بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها.

فهذه المستويات الثلاثة تفرض كل منها الأخرى، فالتداولية تفرض مسبقاً الجانب التركيبي

والجانب الدلالي، لأن علاقة الأدلة بمؤوليها تفرض تلك العلاقات، فالعلامة تمر بعملية التأويل؛

أي تأويل ذهني يقوم به المؤول لاستخدام علامة دون أخرى.

¹ - الجليلي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 9

² - المرجع نفسه، ص 10

³ - آن روبول ، جاك موشلار : التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة، سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة

لطفي زيتوني ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 29

ومجمل القول، إن إسهامات فلاسفة اللغة، وكذا علماء اللسانيات والسيما، قد منحوا اللغة مجالاً خصباً بعيداً عن الشكلية والمنطقية، التي يعد الاستعمال جوهرها الحقيقي، على اعتبار أن اللغة العادية لغة التخاطب والتواصل بين المتكلمين. وعليه فماذا تعني التداولية؟

2 - التداولية ومفاهيمها العامة:

التداولية اتجاه لغوي تبلور وازدهر في الثقافة اللغوية الغربية التي شكلت البنية والتوليدية مراحلها النظرية الأولى، إذ تميز النظر اللساني في هذين الاتجاهين بالعناية بالنظام اللغوي، والملكة اللسانية المتحكم فيه، ما يمكن أن نصلح عليها بلسانيات الوضع أو النظام، على أن تمثل التداولية قمة الاهتمام الوظيفي باللغة، إذ غدا القول المنجز بواسطة هذه الملكة.¹

وتعود كلمة التداولية في أصلها الأجنبي (pragmatique) إلى الكلمة اللاتينية (pragmaticus)، وتتكون من الجذر (pragma) وتعني عملاً، ومع اللاحقة أصبحت تطلق على كل ماله نسبة إلى العمل أو الفعل.²

فـ " pragmatique " هي " توجه معرفي يعني بخصائص استعمال اللغة والدوافع النفسية للمتكلمين، وردود أفعال المستقبلين والنماذج الاجتماعية للخطاب وموضوعه، وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية والدلالية"³

أما الذرائعية (pragmatisme) فهي " مذهب يتخذ القيمة العملية التطبيقية قياساً للحقيقة، معتبراً أن الحقيقة المطلقة غير موجودة وأنه لا شيء حقيقياً إلا كل ما ينجح"⁴

¹ - ينظر نعمان بوقرة: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، قراءة نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012، ص 67

² - ينظر مرتضى جبار كاظم: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف لبنان، ط1، 2015، ص 13

³ - نعمان بوقرة: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، ص 68، 69

⁴ - آن روبرول، جاك موشلار: التداولية اليوم، ص 28 (ينظر إلى الحاشية)

وقد اختلف الباحثون العرب في ترجمة المصطلح، فالفيلسوف " طه عبد الرحمان " يقابل مصطلح (pragmatique) بالتداولية - مع العلم أنه أول من أشار إلى هذا المصطلح في الدراسات العربية - يقول : " وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابل المصطلح الغربي "براغماتيكا، لأنه يوفي بالمطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيين " الاستعمال " و " التفاعل " معاً، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"¹

ونجد "عبد الرحمان الحاج صالح" يقابل مصطلح " pragmatique " بالاستعمال، يقول: " أصل الوضع أو حقيقة اللغة في مقابل الكلام ثم اختصر إلى الوضع في مقابل الاستعمال "² وقابله مترجم كتاب تحليل الخطاب لـ " براون" (Brown) و " يول " (yule) بعلم المقاصد، يقول: " أن أي مقارنة لسانية تتضمن اعتبارات سياقية تنتمي بالضرورة إلى ذلك المجال الذي يسمى علم المقاصد "³

فهذه بعض المقابلات العربية لمصطلح " pragmatique " ، ولكن المصطلح الأشهر والأكثر دورانا هو مصطلح التداولية، كما ترجمه طه عبد الرحمان. وتحاول التداولية في مفهومها كما ترى " أرمينكو " الإجابة على مجموعة من الأسئلة وهي: من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟ كيف نتكلم شيئا ونريد شيئا آخر؟⁴

وقد شكلت جملة هذه التساؤلات على اختلافها، الأقطاب المحورية للسانيات التداولية وهي: المتكلم، والمتلقي، والسياق والقصد.

¹ - طه عبد الرحمان : في أصول الحوار وتحديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 2 ، 2000 ، ص 28

² - عبد الرحمان الحاج صالح : الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال ، سلسلة علوم اللسان عند العرب 3 ، Enag الجزائر، ص 45

³ - براون و يول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود للنشر، السعودية، 1997، ص 32

⁴ - فرنسواز أرمينكو : المقاربة التداولية ، ترجمة سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، 1986 ، ص 5

ورد مفهوم التداولية في القاموس الموسوعي باعتبارها " دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني، الذي تعنى به تحديدا اللسانيات " ¹

فالتداولية تعنى بدراسة استعمال اللغة بالدرجة الأولى وفق نظام مؤسس ومقنن، فهي تدرس كل المعطيات اللغوية والخطابية التي يولدها الاستعمال في السياق اللغوي والمقامي، بعيدا عن دراسة النظام اللغوي، فهي توظفه من أجل تحديد مهامها وهي الاستعمال، وتشمل هذه المعطيات مايلي: ²

- معتقدات المتكلم ومقاصده وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث اللغوي.
- الوقائع الخارجية ومن بينها الظروف المكانية والزمانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.
- المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وأثر النص الكلامي فيها.

كما تقوم أيضا على الجانب التواصلية فهو روحها ودعامتها الأساسية ، فهي : " إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية ، وتصير التداولية من ثم جدية بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي " ³

وترى " أرمينكو " أيضا أن التداولية تمثل شروطا قبلية للتواصلية تقول : " التداولية إذن

هي دراسة الشروط القبلية للتواصلية، كما هي، فلا يوجد لها طابع يرتبط بالظروف التجريبية، بل بشروط دلالة تواصلية عامة، وهي ترتبط بكليات الاستعمال التواصلية عامة " ⁴

فالتداولية تعنى بتحليل الكلام، وفق قواعد لغوية معينة، خلال إجراءات الاستعمال اللغوي

بشكل عام.

¹ - آن رويول ، جاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية ، ترجمة مجموعة من الأساتذة التونسية ، إشراف عزالدين

المجنوب، دار سيناترا، تونس، 2010، ص 21

² - بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والترجمة، لندن، ط1، 2012،

ص 32

³ - مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب، ص 16، 17

⁴ - فرانسواز أرمينكو : المقاربة التداولية، ص 84

ويعرف " فان دايك " الخطاب التداولي بأنه " العلاقات المطردة الموجودة بين بنيات النص والسياق " ¹

فهناك علاقة متينة بين بنية النص وسياقه، الذي يحدد هذه البنية، لذلك نجدها اهتمت بالسياق، بل هو الجسر المؤدي لفهم العبارات اللغوية.

فالتداولية تدرس الاستعمالات الكلامية، وما يتولد عنها من معان في سياقات ومقامات معينة، في إطار تواصلية محدد.

وتهتم أيضا بدراسة العلاقة بين المتكلم والمخاطب والخطاب وشروطهما المختلفة فهي: "دراسة المعنى كما يوصله المتكلم (الكاتب) ويفسره المستمع (القارئ)؛ لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة" ²

إضافة إلى ذلك فهي تدرس اللغة في الخطاب فهي: "تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب، وتنظر في الوسميات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه التخاطبي" ³

وهذا ما أكد عليه الباحثان "ماري ديير" (marie diller) و"فرانسواز ريكانتي" (f.ricanti) فالتداولية "دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتهما الخطابية" ⁴

فهي تدرس استعمال اللغة في الخطاب، وفي العمليات التخاطبية بين المتكلم والمتلقي ، تحكمهم مجموعة من ظروف الإنتاج، سياقية، ومقامية، فعملية التخاطب تقوم على أساس تداولي محض وهو كيفية استعمال هذه اللغة في الخطاب، أي كيف يتحدد معناها من خلال استعمالها.

¹ - فان دايك : النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة، عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص 275

² - جورج يول: التداولية، ترجمة، قصي العتاي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010، ص 19

³ - فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر، سورية، ط2007، ص1، 18

⁴ - فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 8

وكمحصلة يمكن القول إن التداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل، وتدرس العلاقة بين المتكلم والسامع، بكل ما يعتري هذه العلاقة من ملابسات وشروط مختلفة، حيث تدرس كل العلاقات بين المنطوقات اللغوية، وعمليات التواصل والتفاعل، وتهتم بالجانب اللغوي والنفسي، وتعالج المنطوقات والعبارات اللغوية بالنسبة إلى السياق والمقام.¹

2.2 - السياق التداولي في العمليات التخاطبية :

يعتبر السياق بشقيه - المقالي والمقامي - من المفاهيم الأساسية في اللسانيات التداولية الحديثة، وقد ارتبط مصطلح السياق (Contex) بالمحيط اللغوي والمحيط غير اللغوي، ويقصد بالمحيط اللغوي؛ السياق اللغوي أو الداخلي أو اللساني، وهو: " حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة، متجاورة مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصا محددًا، وهو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة من تسلسل العناصر وترتيبها، وتقارن المفردات، وتتالى الوحدات، وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية، وهي تسبح في نطاق التركيب، ويتكون من السوابق واللاحق أي ما يتقدم الكلمة وما يتبعها ليتخذ المعنى شكل الحلقات اللغوية المتسلسلة والتي تعطي معنى متعاضدا أو ناميا"²

فهو يسهم في تجسيد التتابعات اللسانية للخطاب/النص، ويحدد العلاقة بين السابق واللاحق سواء في مفردة أو جملة داخل النص. وهو أيضا "الحوار اللغوي لوحدة ما، أو وحدة صوتية في كلمة أو في جملة أو في نص"³

¹ - ينظر خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس القديم، بيت الحكمة ط 1 2009، ص 70،

وينظر محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط 1 ، 2011 ، ص 14

² - فاطمة الشبيدي: المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوى للنشر والتوزيع، سوريا، 2011، ص 20

³ - آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم، ص 265

إذن هو مجموع المكونات الصوتية، والصرفية، والنحوية والأسلوبية التي تنظم الكلمات أو الجمل داخل النص/الخطاب من الناحية الداخلية، فكل كلمة أو جملة يجب أن توضع في مساقها المحدد لها.

أما الجانب الثاني فهو السياق غير اللغوي أو المقام أو سياق الحال*، وهذا ما تبنته التداولية بالتحديد.

والسياق غير اللغوي هو المناخ العام التي يتم فيه الحدث الكلامي، فهو يشمل الزمان والمكان والمتكلم، والسامع، والأفعال التي يقومون بها، ومختلف الأشياء والحوادث التي لها صلة بالحدث الكلامي، ويشمل المعرفة المشتركة بين المتكلم والسامع... ويشمل القبول الضمني من قبل المتكلم والسامع لكل الأعراف التي لها علاقة بالموضوع، والاعتقادات، والمسلمات السابقة المعتمد بها من قبل الجماعة اللغوية التي ينتمي إليها المتكلم والسامع.¹

إنه يشمل كل من: المتكلم، والسامع، والزمان والمكان، والأحداث، والاعتقادات، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين...

وهو كذلك عبارة عن "الملابسات غير اللغوية، يتحقق فيها التلفظ في الإطار المكاني والزمني، والظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها التي تحف بالأقوال، إضافة إلى القائلين والمخاطبين"². كما يمثل كل الملابسات السياقية التي يقوم عليها الخطاب سواء أكانت اجتماعية، أم سياقية أم ثقافية... وغيرها التي تحف بالأقوال.

* فسياق الحال عند الغرب مرتبط بعلمين وهما: مالفينوسكي وفيرث، وكلاهما اهتم بالمعنى بموجب السياق الذي تستعمل فيه اللغة، فاعتقدا أن وصف اللغة لا يمكن أن يكون كلياً دون الإشارة إلى سياق الحالة التي تعمل ضمنها اللغة... فمعنى العناصر اللغوية يمكن أن يفسر كلياً بموجب الحالة التي تستعمل فيها... وسياق الحالة هي جزء من أداة اللساني مثل التصاريف اللغوية التي يستعملها... فسياق الحال عندهما يقف على البعد اللغوي...، ينظر بالمر: علم الدلالة، ترجمة مجيد المشاطة، الجامعة المستنصرية، 1985، ص 61، ص 66

¹ - ينظر منال محمد هشام سعيد النجار: نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،

2011، ص 20

² - آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم، ص 265

يمكن القول أن السياق غير اللغوي يجب أن يتلاءم مع ما يقصده المتكلم من كلامه، وما يحاول المخاطب فهمه، وهذا ما ركزت عليه التداولية، والذي يطلق عليها بعض الباحثين بالسياقية "فالتداولية علم الاستعمال اللساني ضمن السياق، وتوسع أكثر هي استعمال العلامات ضمن السياق، وتدفع أهمية هذا المفهوم الأخير لـ "ماكس بلاك" (Max black) إلى إعادة تسمية التداولية ففي نظره تسمى السياقية"¹

لذلك فالسياق هو ركيزتها الأساسية، وهذا ما يراه "فان دايك" حيث يقول: "السياق التداولي يكون الشروط المحددة لمناسبة مقتضى الحال، فيما يخص التلفظ، بعبارات اللغة الطبيعية"² فالسياق هو الذي يكون جميع الشروط لفهم الخطاب، بجميع ملابساته ومقتضياته.

3 - المحاور الكبرى لللسانيات التداولية:

اهتمت التداولية بمجموعة من المحاور على غرار نظرية أفعال الكلام والحجاج والاستلزام التخاطبي....، ونبرز أهمها فيما يلي:

1.3 - نظرية أفعال الكلام والشروط والتصنيفات:

يحتل مفهوم الأفعال الكلامية (speech Act) * موقعا محوريا في الأبحاث التداولية، حتى إن هناك من الباحثين من عد أفعال الكلام هي نفسها التداولية، لأن لهما نفس المنشأ وهو فلسفة

¹ - فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 11

² - فان دايك : النص والسياق، ص 13

* لقد أثار مصطلح أفعال الكلام جدلا واسعا في أوساط الباحثين ، وبخاصة في ترجمته ، فقد تعددت ترجماته بين (act de langue) و (act de parole) ، بين أفعال اللغة وأفعال الكلام أو الأعمال اللغوية و الأفعال اللغوية، ولكن المصطلح الذي ضبطه وأكثر إشاعة هو مصطلح الفعل الكلامي ، يقول جون ليونز " أما مصطلح فعل لغوي فيعتبر أفضل بكثير من المصطلح فعل الكلام وطالما أن المصطلح فعل الكلام يستخدم الآن على نطاق واسع في معناه التقني الذي أضفاه عليه " أوستين " فلن أحاول استبداله، على أنه ينبغي أن لا يغيب على البال أبدا أن فعل الكلام يراد به أن يشمل كل من لغة الكتابة ولغة الكلام " ينظر جون ليونز : اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة،

بغداد، العراق، 1987، ص 189

اللغة العادية التي تبنتها مدرسة " أكسفورد " ومن أقطابها "جون أوستين" وتلميذه " جون سيرل " اللذان يرجع الفضل لهما في تأسيس هذه النظرية، و الفعل الكلامي كمفهوم يعني " التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثم فالفعل الكلامي يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بلمفوضات معينة، ومن أمثله: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإحالة... فهذه كلها أفعال كلامية"¹

فالفعل الكلامي ذو طبيعة اجتماعية مؤسسية إنجازية، ينجزه المتكلم بمجرد النطق بملفوضات معينة، وهذا ما يراه "أوستن" يقول: "يتضمن الكلام متكلم و سامع وملفوظ... فالمتكلم لا يصدر أصواتا فقط من خلال كلامه، لكنه ينجزها أثناء عملية النطق"²

ويعرفها " جون سيرل " بقوله: " إن كل تواصل لغوي يستدعي أعمالا لغوية، وإن الوحدة في التواصل اللساني ليست الرمز أو الكلمة أو الجملة، ولا حتى الشكل المنجز للرمز والكلمة والجملة وإنما هي إنتاج الرمز أو الكلمة أو الجملة أو إصدارها عند إنجاز لغوي، فأن تعتبر الشكل المنجز رسالة هو أن تعتبره منتجا أو مصدرا... فإن إنتاج شكل جملة منجز أو إصداره بالامتثال إلى شروط معينة هو عمل لغوي، وإن الأعمال اللغوية هي الوحدات الأساسية أو الدنيا للتواصل اللغوي"³

فالأفعال اللغوية لا تعتمد على الجانب اللساني الصوري، ولكن كيف توظفه لتنجز أفعالا لغوية إنجازية قوامها التواصل اللغوي، وعباراتها لا تحتكم إلى معيار الصدق والكذب. ومن منطلق هذا الكلام نجد أن أعلام " مدرسة أكسفورد " تجاوزوا ما جاءت به الوضعية المنطقية بوصفها للوقائع بالصدق أو بالكذب " ...إذا كان الوضعيون المناطق قد نظروا إلى

¹ - مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 10

² Pier Paolo Gigilioli : Language And Social Context, penguin group , london , england ,1st published ,1972 ,p 136

³ - جون سيرل: الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، ترجمة أميرة غنيم، مراجعة محمد الشيباني، دار سيناترا، تونس، ط 1،

الوصف على أنه الوظيفة النموذجية الجديرة بالبحث... فإن فلاسفة أكسفورد قد نظروا إلى الوصف بوصفه وظيفة واحدة من وظائف كثيرة... إذ توجد إلى جانب الوصف أغراض أخرى تستخدم من أجلها اللغة، فهناك السؤال، و الأمر، والنهي... الأمر الذي دفع فلاسفة أكسفورد إلى البحث عن قواعد الاستعمال، أي القواعد التي تحكم هذه العبارات أو تلك تحت هذا الظرف المعين ومن ثم راحوا يبحثون عن المعنى في حدود الاستعمال اللغوي¹ فبحسبهم اللغة تحمل العديد من القواعد، التي تحكم استعمال العبارات في ظروف ومقامات معينة.

وهذا ما أكده " أوستين " * " أن هناك جملا غير وصفية لا تتميز بالصدق أو الكذب يقول: " أما الفلاسفة فلطالما توهموا، أن شأن الحكم في القضية، إما أن يصف حالة شيء ما، وإما أن يثبت واقعة عينية، مما يعني أن يكون حكم القضية، إما صادقا أو كاذبا... فهناك من الجمل ما يفيد في العادة الاستفهام، ومنها ما يفيد التعجب والأمر والتمني² فقد تجاوز رأي الفلاسفة الذين اعتمدوا على وصف القضايا بعبارات وصفية والذين حكموا عليها بالصدق أو بالكذب، مشيرا إلى أن هناك جملا لا ينطبق عليها هذا المعيار، كالأستفهام والتعجب...

¹ - صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،

1993، ص 18

* لم يقدم أوستن لنفسه أي نظرية متطورة كاملة لأفعال الكلام ، وأن أقرب نقطة توصل إليها بهذا الخصوص محاضرات "وليام جيمس " التي ألقاها " أوستين " في جامعة هارفارد " سنة 1955 ، والتي نشرت بعد وفاته بعنوان: كيف نفع الأشياء بالكلمات ، ثم ألقاها بسنوات خلت في جامعة " أكسفورد " ، ينظر جون ليونز : اللغة والمعنى والسياق ، ص 190

² - جون لانكشو أوستن : نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قبيني، إفريقيا

الشرق، المغرب، 2008، ص 12

وعليه ميز بين نوعين من الأفعال: ¹ إخبارية وإنشائية**

- أ - أفعال إخبارية (constative) : وهي وقائع تصف العالم الخارجي وتكون صادقة أو كاذبة
- ب - أفعال أدائية (إنشائية ، إنجازية) (performative) : تنجز في ظروف ملائمة ولا توصف بالصدق أو بالكذب، بل تكون موفقة أو غير موفقة، كالوعد، والاعتذار ...
- ثم بين " أوستن " في مرحلة ثانية، أن تمييزه بين الأفعال الخبرية والإنشائية غير حاسم، وخلص إلى أن كل قول عمل ولا يوجد - إن أمعنا - جمل وصفية.²
- وهذا ما يراه علماء العربية القدماء " فكل خطاب هو فعل للمتكلم حتى الإخبار "³

1.1.3 - شروط الفعل اللغوي عند " أوستن " (Austin) وتصنيفاته :

يتميز الفعل اللغوي حسب مجموعة من المميزات ⁴:

- إن الفعل اللغوي هو تحقيق لفعل (حدث).
 - إنه فعل مقامي وسياقي ومؤسسي.
 - إنه فعل قصدي لأن تأويله مشروط بإدراك المخاطب للطابع القصدي لعملية التلفظ.
 - ومن ثم رأى بأن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال :
- أ - الفعل اللفظي (فعل الكلام، فعل القول، الفعل التعبيري ...) (locutionary act) :

¹ - محمود أحمد نخلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 45

** هذا التمييز بين الخبر والإنشاء لم يغفل هرقدماء العربية، يقول التهانوي في هذا الصدد " اعلم أن الحدائق من النحاة و أهل البيان قاطبة متفقون على انحصار الكلام في الخبر والإنشاء وأنه ليس له قسم ثالث " ينظر محمد علي التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم تحقيق لطفني عبد البديع، مراجعة أمين الخولي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1996، ص 737

² - ينظر محمود أحمد نخلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 46 ، وينظر الجليلي دلاش : مدخل إلى

اللسانيات التداولية، ص 23

³ - عبد الرحمان الحاج صالح : الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص 174

⁴ - ينظر حسن بدوح: المحاوره مقارنة تداولية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2012، ص 156

وهو النطق ببعض الكلمات في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد ، ويشتمل على الفعل الصوتي ، والفعل التركيبي ، والفعل الدلالي ، لتشكل معاً الفعل اللفظي.¹

ب - الفعل الإنجازي : (الفعل المتضمن في القول، قوة فعل الكلام، الفعل الغرضي، الفعل التمريري) (perlocutionary act) : وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي، فالمتكلم حين ينطق بقول ما، فهو ينجز معنى قصدياً، مع توفر شرط مراعاة مقتضى الحال، وهو أساس هذه النظرية.²

ج - الفعل التأثيري : (الفعل الناتج عن القول ...) (perlocutionary act)
يصفه " أوستين " بقوله : " فأن نقول شيئاً ما قد يترتب عليه أحياناً أو في العادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره أو تصرفاته "³

ونوضح هذه الأقسام بمثال توضيحي: كأن نقول: " في هذه الحديقة أسد " فالفعل اللفظي هو الصيغة التركيبية والدلالية وهو وجود الأسد في الحديقة بالفعل، الفعل الإنجازي هو قصد المتكلم وهو التحذير من عدم ولوج هذه الحديقة، والفعل التأثيري وهو ما يترك أثر في المخاطب وقد يكون الفرار من الحديقة. ثم قدم تصنيفاً آخراً للفعل الكلامي:⁴

- الأفعال المتعلقة بالأحكام (الحكميات) (verdicatives) : وهو فعل يتعلق بحكم قضائي أو من حكم تختاره الأطراف ، ومن أمثلته : أبرئ ، أزم ، أثبت ، أحكم ...

¹ - ينظر جون أوستن: نظرية الأفعال العامة، ص 124، وينظر أحمد محمود نحلة: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 47

² - ينظر جون أوستن : نظرية أفعال الكلام العامة ، ص 129، وينظر أحمد محمود نحلة أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 47

³ - جون أوستين: نظرية الأفعال العامة، ص 131

⁴ - ينظر جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، ص 187 وما بعدها، وينظر صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، ص 222 وما بعدها

- أفعال الممارسة : (القرارات) (exercitive) : وهو إصدار حكم فاصل في صالح مسلك معين للفعل أو ضده، ويتعلق بممارسة السلطة والقانون، لتعيين المناصب، ومن أمثلته: أرجى، ألغي، أحت، أنصح ...

- الأفعال الإلزامية : (أفعال التعهد ، الوعديات) (commissive) : وهو توعد المتكلم أو إعطاء وعد من قبيل : أعد ، أتعهد ، أصمم ، سوف ، أضمن ...

- الأفعال التفسيرية : (الإيضاحية) : تتضمن تقديم وجهات النظر ، وتوضيح الاستعمالات والدلالات مثل : أؤكد ، أشكر ، أعارض ، أقترض ...

فما قدمه " أوستين " لم يكن كافيا لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، على الرغم من ذلك فقد كان نقطة انطلاق النظريات التي جاءت بعده خصوصا مفهوم الفعل الإنجازي.

2.1.3 - أفعال الكلام عند " سيرل " (j .serel)

انتقل " سيرل " من المقترح الذي وضعه " أوستين " مطورا ومعدلا " فقد أبدى احترازه من التقسيم الثلاثي الذي ذهب إليه سابقه، وتعلق احترازه أساسا بغفلة أوستين عن مكون أساسي ضمن الأعمال اللغوية وهو ذلك الذي أطلق عليه " سيرل " اسم الفعل القضوي، ثم قسمه إلى فعلين مختلفين هما الحمل والإحالة¹

من ثم قسم الأفعال الكلامية إلى : - أفعال قولية : قول كلمات (صرافم ، جمل) - أفعال قضوية: الإحالة والحمل - أفعال متضمنة في القول.

تتميز أفعال القول في مجرد إلقاء بسلسلة من الكلمات، في حين تتميز الأفعال الإنجازية بكونها إلقاء كلمات داخل جمل ضمن سياقات معينة وتحت شروط معينة وبمقاصد معينة.²

¹ . Jhon searl : Speech Act an essay in the philosophy of language ,Combrdge university press ,1969, p4

² . Ibid, p39.

ثم أردف هذه المفاهيم الثلاثة بمفهوم " أوستين " حول أفعال التأثير بالقول، فيرتبط مفهوم الأفعال المضمنة في القول بالنتائج أو التأثيرات، التي يمكن أن تؤثر في أفعال السامعين أو أفكارهم، فمثلا بواسطة المحاجة أقنع ، وبالتحذير أخيف...¹

ثم وضع شروطا لتحقيق الفعل المتضمن في القول ، ويعطي " سيرل مثلا بالوعد

- شروط تحقيق الفعل الكلامي وتقسيماته : وتمثل هذه الشروط فيمايلي:²

- شرط المحتوى القضوي : وهو المعنى الأصلي للقضية، فإذا كانت العبارة صادقة بالنسبة إلى

الشيء فمن الصادق أن الشيء سوف ينجز عملا مستقبليا، في حالة الوعد يشمل الأسلوب

المؤثر على القوة المضمنة في القول ويسند العمل إلى المتكلم ولا يكون العمل ماضيا ، والوعد يلزم به المتكلم نفسه (لا يعني أن أعد بأن شخصا آخر يفعل شيئا ما) فالوعد يلزم المتكلم به نفسه.

- الشروط التمهيديّة : ويتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل ، فالوعد يتحقق إذا كان

وعدا وليس وعيدا أو تحذيرا، فلو قلت لطالب إذا لم تسلم الغرض أعدك أن ترسب، فهذا ليس وعدا بل تحذيرا.

- شرط صدق النية : وهو كون المتكلم مخلصا ، فمثلا في الوعد الصادق ، ينوي المتكلم أن يتجز

العمل الموعود به ، يعني لا ينوي ذلك في الوعد غير الصادق

- الشرط الأساسي : ويتحقق في قصد المتكلم، فمثلا الانطواء على ذلك القصد شرط أساسي لإنجاز الوعد.

وقد حاول : سيرل " أن يحصر الأفعال الكلامية في خمسة أصناف أيضا، تقوم على ثلاثة

أسس منهجية وهي: الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، شرط الإخلاص.

¹ - ينظر جون سيرل: الأعمال اللغوية، ص 52

² . ينظر المرجع نفسه، ص 104 وما بعدها

والأصناف الخمسة هي :

- الإخباريات : (التقريريات ، الإثباتيات) (assertives) : وهو التعهد للمستمع بحقيقة الخبر، فهي تقدم خبر لحالة موجودة في العالم، ومن أمثلتها، الأفعال التقريرية والأوصاف الطبيعية.¹
 - الأفعال التوجيهية: (الطلبات ، التوجيهيات) (directives) : وهي محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه ملائما مع المحتوى الخبري للتوجه وتشمل كذلك ممارسة السلطة أو الصلاحيات، وهو قيام المستمع، بالفعل الموجه له، وتكون في الأوامر والطلبات والتحذير والنصح.²
 - الأفعال الإلزامية : (الوعديات ، الإلزاميات) (commissives) : وهو تعهد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل ، وتكون في المواعيد والعقود والضمانات والتهديد الإلزامي أيضا ، ويكون من مصلحة المستمع.³
 - الأفعال التصريحية : (الإعلانيات ، الإيقاعيات) (declaration) : وهي إحداث تغير في العالم وبتمثيله وكأنه تغير ، مثال : أعلن أنكما زوج وزوجة ...⁴
- وعلى غرار "أوستين" و " سيرل " فهناك علماء آخرون أشارو إلى هذه النظرية ، أمثال ريكانتي، وغوفمان" و " فان دايك" * وغيرهم.

¹ - ينظر جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006، ص 217

² - ينظر عبد الله الخليفة : نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي ، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، ص 120

³ ينظر جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص 218

⁴ - ينظر المرجع نفسه، ص 219

* يرى " فان دايك " أن أفعال الكلام هي الغرض الرئيس للتداولية، لذا فهو يرى أن الفعل الكلامي هو ما نعنيه عادة بقولنا إننا نفعل شيئا ما، هو أننا نقوم بإنشاء فعل اجتماعي كأن نعد وعدا أو ننصح أو غير ذلك، ومما شاع عليه أن أفعال الكلام هو على نحو أخص قوة الكلام. وأشار إلى الفعل الكلامي الكلي وهو الإعتماد على بني تداولية كبرى لنتمكن من الكلام على الوظيفة الإحالية لنص معين، فحين نتلفظ بنص مأخوذ بكليته ، إنما نقوم بفعل كلامي إجمالي، أو بفعل كلامي كبير، فقد لا تكون رسالة طويلة سوى طلب واحد... وهذه الأفعال الكلامية الكبيرة مشتقة من متتاليات أفعال بواسطة قواعد كبيرة ، ينظر فان دايك : النص والسياق ، ص 263 ، وينظر علي آيت أوشان : السريظي والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2000 ، ص 83

2.3 - نظرية الحجاج :

شهدت الدراسات الحجاجية تطورا كبيرا في الساحات المعرفية المختلفة، بخاصة مقارنة "بيرلمان" (perlman) الذي أصدر كتابا بمعية زميله "تيتكا" (tyteca) عنوانه "مصنف في الحجاج البلاغة الجديدة"، الذي حاول أن يخرج الحجاج من بوثقته البرهانية والمنطقية. إذ يعرفان الحجاج انطلاقا من موضوعه بأنه "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"¹ فغاية الحجاج عندهما دراسة التقنيات الخطابية التي تؤدي إلى إثارة الأذهان وإدماجها في الأطروحة المقدمة.

ونجد "تولين" (toulmine) الذي اعتمد على المقاربة المنطقية للحجاج، قد اتبع في نهجه الاستدلال الأرسطي في بناء الأقيسة المنطقية على طريقة مقدمة "صغرى" مقدمة "كبرى" إذن نتيجة، فهو ينتقل من الحججة إلى النتيجة، معتمدا على القياس.² كما اعتمد "ميشال مايير" (michelle mayer) على نظرية المساءلة في الحجاج، إذ ربط الحجاج بالمساءلة، فالحجة عنده هي عبارة عن جواب أو وجهة نظر يجب بها عن سؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمنيا من ذلك الجواب، أو يمكن القول إن الحججة عبارة عن جواب لسؤال ضمني يستخرجه من الجواب نفسه.³

وجاءت المقاربة اللغوية للحجاج مع "ديكرو" (ducro) و"أنسكومير" في مؤلفهما المشترك الحجاج في اللغة " (l'argumentation dans la langue) ، وتحاول هذه المقاربة أن

¹ - عبد الله صولة : الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكا ، ورد ضمن كتاب:

أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 299

² ينظر عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 2001، 1،

ص 25، للاستزادة أكثر ينظر نفس المرجع ، ص 22 وما بعدها

³ - ينظر عبد الله صولة: الحجاج في القرآن، ص 39

تبين أن اللغة تحمل بصفة جوهرية وظيفة حجاجية، وتنتمي دراسة الحجاج اللغوي إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة؛ أي القواعد الداخلية للخطاب.¹

وأدمج "فيليب بروتون" (ph.breton) الحجاج في مجاله التواصلية إذ يقول: " لا يكون الخطيب والحجة والمتلقي سوى مجموعة من وسائط عملية النقل إنه لا يوجد رأي - بكل تأكيد - ... من دون خطيب ... لكننا يجب أن نبقي على ذكر ما ينبغي مراعاته في الحجاج أو الأمر، ليس إبراز المتكلمين لذواتهم، ولكن أن يشاطر الآخرون أفكارهم تشاطرها أفكار أخرى، إذ لم تتعرض هذه الصيغة لسوء تأويل"²

فالحجاج يقوم على العملية التواصلية بين الباث والمتلقي، وهذا ما أكده "طه عبد الرحمان" يقول: " لا حجاج بغير تواصل باللسان"³

ويمكن أن نعطي مفهوما شاملا للحجاج لما جاء به " طه عبد الرحمان " يقول: هو " تداولي لأن مقامه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية"⁴

ويرى كذلك بأنه جدلي * " لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية، أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة، كأن تبني الانتقادات فيه، لا على صور القضايا وحدها كما

1 - ينظر أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج ، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 2009 ، ص 7

2 - فيليب بروتون: الحجاج في التواصل، ص 35، 36،

3 - طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 254

4 - طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 65

* يرى القدماء أن الحجاج مرادفا للجدل وهذا ما ورد عند ابن وهب، الذي يرى بأن الجدل والمجادلة قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات والحقوق والخصومات، كما قسم الجدل إلى محمود ومذموم، فأما المحمود فهو الذي يقصد به الحق، ويستعمل فيه الصدق، أما المذموم ما أريد به المماراة والغلبة وطلب الرياء والسمعة، ينظر أبي إسحاق بن وهب: البرهان في وجوه البيان، ص 176

- هو شأن البرهان، بل على هدف هذه الصور مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع... وأن يفهم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها ، تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها"¹
- فمن خلال المفاهيم التي أشرنا إليها نرى بأن الحجاج يكون بلاغيا، وتواصليا، ولغويا، وتداوليا وجدليا، يحاول من خلاله المتكلم إقناع المخاطب بحجج في ظروف مقامية وسياقية معينة.
- ومن ثم نخلص إلى مجموعة من الخصائص بالاستناد إلى المفاهيم السابقة الذكر:
- أنه اجتماعي لأنه يضم أشخاصا منتجين ومتقبلين.
 - يسعى إلى الإقناع والتأثير والفهم والإفهام بين المتخاطبين، يقول الجاحظ : " ... لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"²
 - تداولي لأنه يأخذ الجانب التواصلي والظروف السياقية و المقامية بين المتخاطبين.
 - يعتمد على البنات البرهانية ولكن ليست الضيقة، وقد ورد الحجاج مقابلا للبرهان.
 - حججه نسبية وقابلة للإبطال والدحض.
 - فهو متشعب في شتى المجالات لاسيما التعليمية، القضائية ، السياسية ...، وله مكانة كبيرة فيها وعن مكانة هذا العلم يخبرنا "أبو الوليد الباجي" " أن الحجاج من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنًا لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"³

¹ . طه عبد الرحمان : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 65

² . الجاحظ : البيان والتبيين ، ج 1/ص 76

³ . أبو الوليد الباجي : المنهاج في ترتيب الحجاج ، تحقيق عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ،

3.3 - الاستلزام الحوارية (التخاطبي ، الخطابي ، التحواري ...) :

يعد الاستلزام الحوارية واحدا من أهم الجوانب في الدرس التداولي، إذ ترجع نشأته إلى الفيلسوف بول غرايس " paul grice " وهو يقوم " على اعتبار أنه في كثير من الأحيان يلاحظ أثناء عملية التخاطب، أم معنى العديد من الجمل إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها ، لا ينحصر في تدل عليه صيغها الصورية"¹

يبدو أن الاستلزام الحوارية يرتبط بالمقام، على اعتبار أن مجمل جمل اللغة ترتبط به، ولا تنحصر في الدلالة الصورية لها، فهو إذن اشتغل اهتمامه بالمعاني الضمنية " وكان يهدف من ذلك إلى توضيح الكيفية التي ينتقل بها المتلقي المحاور من المعنى الحرفي إلى المعنى الضمني"²

انتقل من المعنى الحرفي التي تهتم به الصيغة الدلالية إلى الضمني معتمدا على الاستدلال، الذي خصص له " غرايس " حيزا واسعا ، الذي أهمله منظرو الأفعال الكلامية " فارتكز (غرايس) فضلا عن ذلك على إمكانييتين هما: القدرة على اكتساب حالات ذهنية، والقدرة على نسبتها إلى الآخرين، وبين أن القدرة على تأويل الأقوال رهن بهاتين القدرتين"³

ورمى إلى دراسة التفاعل الخطابي ضمن مقومات استهدفت الملاءمة بين مجموعة من المستلزمات اللغوية وخارج لغوية، التي يتقاسمها المتخاطبون، وكذا القدرات العقلية والاستدلالية التي يتوفران عليها، وهو ما جعله يلجأ إلى مفاهيم مهمة للعملية التخاطبية، فأدخل مفهوم الاستلزام لتحديد نتائج عملية التضمين ...⁴

¹ - العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص 18

² - حسن بدوح : المحاور مقارنة تداولية، ص 159 ، 160

³ - آن رويول جاك موشلار : التداولية اليوم، ص 52

⁴ - ينظر حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2004 ص 128 ، 129

ولا تتأسس الاستلزامات الحوارية على الاستدلال البرهاني، وتكمن نظرية (غرايس) في "الآن نفسه من تفسير نجاح التواصل (خصوصا التواصل الضمني) وإخفاقه، وعند إخفاق التواصل، عندما يوجد سوء فهم، يبطل الاستلزام الحوارية الذي انتهت إليه العملية الاستدلالية"¹ وهكذا فمن سمات الاستلزامات الحوارية قابليتها للبطلان.

فمن خصائصه:²

- أنه معنى ضمني يستنتج من السياق العام.

- يمكن نفيه وإلغاؤه.

- اكتشافه مرتبط بالذكاء العام.

فمثلا : لو قال شخص لآخر " نفذت سحائري " فالمعنى الصريح هو الإخبار، أما ما يقوله المتكلم شيء آخر، فالعبارة تستلزم تداوليا ومقاميا وحواريا أن المتكلم يطلب من المخاطب أن يمده بسيجارة.

1.3.3 - أنماط الاستلزام الحوارية : هناك أنواع مختلفة للاستلزام وسوف نحاول أن نعرض

على أهمها :

أ - الاستلزام المنطقي :

فالاستلزام المنطقي هو " رابط قضوي ، مثله مثل رابط الوصل الذي يؤشر له بالرمز () أو

رابط الفصل () ، وهو يربط بين قولين ، أو قضيتين يمكن أن ندعوها المقدم والتالي ، ويتحقق

بواسطة أدوات " إن ... ف " و " إذا ... ف " "³

¹ - آن روبول حاك موشلار : التداولية اليوم ، ص63

² - أبو بكر العزاوي: اللغة والمنطق مدخل نظري، مطبعة طوب بريس ، المغرب ، 2014، ص 94

³ - العزاوي : اللغة والمنطق ، 72

ب - الاستلزام الدلالي :

وهو أن تستلزم القضية " أ " القضية " ب " دلالياً، عندما تصدق " ب " في كل مرة يكون فيها "أ" صادقا، فهو كلما صدق المعنى، صدقت لوازمه ومستلزماته.

فمثلا: لو قلنا - أغضب زيد عمرا

- غضب عمرو، فعبارة استلزامية دلالية نقول " إذا أغضب زيد عمرا " فقد " غضب عمرو"¹

ج - الاستلزام العرفي الاصطلاحي :

وهو ما تعرف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها، لا تنفك عنهما مهما اختلفت السياقات وتغيرت التراكيب، وتشمل على روابط وأدوات من مثل :

- هند حامل وزيد مسرور

- هند حامل لكن زيد مسرور بذلك

فهناك فرق بين الجملتين، فالجملة الأولى عادية، وتفيد أن زيد مسرور بحمل زوجته، والثانية

تشمل على " لكن " وهي تفيد تعارضا بين السابق واللاحق، فالعادة زيد لا يسر بالحمل ولكن هذه المرة مسرور...²

¹ - ينظر محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 34، وينظر أبوبكر العزاوي: اللغة والمنطق،

ص 94، 95

² - ينظر المرجع نفسه، ص نفسها

- تركيب:

من خلال ما أشرنا إليه من مفاهيم للخطابة والتداولية، وجدنا أن هناك علاقة تربط بينهما، على اعتبار أن الخطابة تقترن بظروف الإنتاج إذا ارتبطت بالمكونات التداولية من مقاصد وسياقات، وأطراف العملية التخاطبية.

وقد رأينا المشتغلين بالخطابة ينظرون إليها من زاويتين مختلفتين، النظر إليها بوصفها نصا بعيدا عن ملابساته السياقية والمقامية، وتجلى ذلك أثناء إشارتنا إلى أركان وأجزاء الخطبة، وكيف تكون متسقة ومنظمة تنظيما داخليا تشكل لنا كلا موحدا يحدده السياق اللساني، والنظر إليها بوصفها خطبة متكاملة الأركان من خلال إحضار العوامل والملابسات التي تحيط بها إنتاجا وتلقيا، وأغراض الخطيب من إنتاجها.

وقد انقسمت الخطب إلى عدة أنماط، وذلك تبعا لمقاصد الخطيب، فقد أحالت إلى مرجعيات سياسية، ودينية، واجتماعية، راصدا من خلالها الخطيب أبعادا إيديولوجية، محاولا إقناع واستمالة الجمهور بشتى أساليبها، لاسيما أكانت بلاغية أم لغوية (فالأساليب الخطابية التي أشرنا إليها يوظفها الخطيب لأغراض تداولية وفق سياقها المقامي)

إذن فالخطابة تبرز قيمتها الخطابية ذات الطابع التداولي بواسطة العلاقة التخاطبية بين الخطيب والجمهور، فهي تخضع لشروط القول والتلقي، فيبرز الخطيب مقاصده، فالغاية منها ليس الإبلاغ فحسب، وإنما التفاعل والتواصل.

كما تنتزل كل المحاور التداولية بكل مفاهيمها ومصطلحاتها على الخطب الأموية، كأفعال الكلام، ونظرية الحجاج، والاستلزام التخاطبي...، وسوف نبين ذلك في الفصول التطبيقية.

الفصل الثاني

القصديّة المهاد النظري

والاشتغال التداولي

- مقدمة الفصل:

يهدف هذا الفصل إلى البحث عن مفاهيم وخصائص القصدية، وعلاقتها باللسانيات التداولية. حيث استهل بالبحث عن المفهوم اللغوي والاصطلاحي لمفهوم القصد، ومن ثم أشرنا إلى بعض المصطلحات المرادفة لهذا المصطلح، كالنية والمعنى والغرض...
ثم انتقلنا للبحث عن قضاياها في الفكر التراثي، وبخاصة عند النحاة والبلاغيين، وعلماء الشريعة رابطين إياها بالجانب التداولي.
ومن ثم أشرنا إلى تحديد هذا المصطلح في الدراسات الفلسفية الغربية وبالتحديد عند إدموند هوسرل، وجون سيرل.
ثم عرجنا إلى علاقة القصد باللسانيات التداولية، راصدين الخصائص والسمات والجوانب المتعلقة به.

1 - القصدية : في المفهوم والمصطلح

تعد القصدية من العلوم المحورية التي تبوأ مكانة كبيرة في سائر العلوم المعرفية المختلفة، وسنحاول التعرض لمصطلح القصدية في السياق اللغوي، والإحاطة ببعض المفاهيم التي جعلت مصطلح القصدية ينتقل من دائرة معرفية إلى أخرى.

1.1 - القصدية في السياق المعجمي:

فالقصد مفرد قصود، والمقصد مفرد مقاصد، وهو مصدر ميمي قد يعبر عن اسم مكان، فلا وجه فرق بين قصد ومقصد، أما المقصود* لا يختلف كثيرا عن معنى القصد والمقصد، فمعظم السياقات التي ورد فيها لا يتغير معناها باستبدال بعضها ببعض. ووردت بعدة معان منها :

- القصد: استقامة الطريق، يقال: قصدت له وقصدت إليه، وإليك قصدي، وأقصدني إليك الأمر.

- فالأصل: قصدته قصدا ومقصدا، ومن الباب: أقصده السهم إذا أصابه فقتل مكانه.

- الاعتزام ، الاعتماد ، وطلب الشيء و إتيانه ، تقول قصدت الشيء وله و إليه قصدا ...، ومنه قصدت قصده أي نحوت نحوه.

قال " الأخفش " : أراد وينبغي أن يقصد ، وقال " ابن بري " : معناه على الحكم المردي بحكمه المأتي إليه ليحكم أن لا يجوز في حكمه بل يقصد أن يعدل

- الكسر والطعن حسيا كان أو معنويا تقول : قصدت العود قصدا أي كسرتة ، وأقصدتة الحية أي قتلته. وقصدت الشيء كسرتة، والقصدة القطعة من الشيء إذا تكسر.

- الاعتدال والتوسط : قصد في الأمر: إذا لم يجاوز فيه الحد ورضي بالتوسط. ومنه قوله تعالى ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾¹

* المقصود : أي الذي عني بالقصد ، ومن التوابع اللفظية في جانب الصيغة لفعل قصد هناك تقصيد ، وهو على وزن تفعيل، كتأصيل دلالة على إلحاق المعنى المقصود بالمتكلم سواء من جانب الصحة أو من جانب الخطأ. ينظر الحسان شهيد : الخطاب المقاصدي المعاصر ، مركز نماء للبحوث والدراسات ، ط 1 ، 2013 ، ص 35

¹ . لقمان : الآية 18

أي " امش مشيا مقتصدًا ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً وسطاً بين بين"¹ وهو كذلك ما بين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يقتّر، ويقال قصد في الأمر أي لم يتجاوز فيه الحد ورضي بالتوسط، وقال الليث: المقصد من الرجال الذي ليس بجسيم ولا قصير وقد يستعمل هذا النعت في غير الرجال أيضاً، قال "ابن الأثير" في تفسير المقصد هو الذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم، كأن خلقه يجيء به القصد من الأمور.

- سميت القصيدة من الشعر قصيدة لتقصيد أبياتها ولا تكون أبياتها إلا تامة الأبنية القصد بمعنى قصده وقصدت له وقصدت إليه، وإليك قصدي ومقصدي، وبابك مقصدي و تنجزت أغراضى ومقاصدى. ويطلق القصد على العدل.²

وفي اللغة الإنجليزية يشير مصطلح " Intention " إلى النية أو القصد، أو وضع خطة أو هدف في الذهن عند القيام بشيء ما، فالقصد بأن شيء ما يكون له معنى معين.³

يمكننا أن نخلص مما مضى أن ورود واستعمالات مصطلح "قصد" و "مقصد" في الجانب المعجمي، ورد بمعنى الاستقامة، والتوجه والاعتزام، والاعتدال والتوسط، والكسر، كما يهدف إلى تحقيق الفائدة والغرض المنشود...

¹ . أبو الفداء بن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الغد الجديد القاهرة، ج 3، ط1، 2008، ، ص 415

² - ينظر في المفاهيم المعجمية إلى : ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) : لسان العرب ، دار صادر بيروت، لبنان، مج 3 ، ص 353، 354 ، ابن فارس (أبي الحسين أحمد) : مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ، ج5، 1979، ص95 ، الزنجشيري (أبي القاسم جار الله) : أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ج 2 ، ط 1 ، 1998، 80،81، الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني) : تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد السلام أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت ، ج 9، ط 2 ، ص 35، 36

³ . Oxford Advanced learners Dictionary ,Oxford University Press ,7th Edition, .

2.1 - القصدية رحلة المصطلح واستقرار المفهوم:

وتعود جذوره اللسانية إلى اللاتينية، فهو مشتق من المصدر (Intention) الذي يعني النزوع نحو شيء ما، وهذا المصدر مشتق من الفعل (Intendere) الذي يعني نزع إلى أو مال إلى ، ومنه يشتق اتجاه آخر ويشترط وجود هدف يتجه إليه العقل ولذلك فالقصدية تأسست في معناها الأول على كيفية ارتباط العقل بمقاصد الأشياء في الطبيعة، فاستخدم المدرسيون في القرنين الثالث عشر و الرابع عشر مصطلح (Intentio) بمعنى المعقول (noema)، وقد اشتق منها حديثا مصطلح القصد.¹

فالقصد يعني بتوجه النفس أو العقل نحو الشيء، وقد يكون التوجه إراديا، أو ذهنيا، أما القصد الدال على التوجه الإرادي فهو "إما مشروع، وإما هدف، فإن كان مشروعا دل على مجرد العزم على الفعل والانبعاث نحوه، وإن كان هدفا دل على الغاية التي من أجلها حصل التوجه"² فالنجار مثلا يقصد صنع خزانة جميلة (هذا مشروع)، أو يقصد مع ذلك أن يشتهر، ويكتسب ثقة الناس (هذا هدف).

أما القصد الدال على التوجه الذهني، فهو القصد الذي أشار إليه الفلاسفة المدرسيون، فهم يطلقون لفظ القصد " على اتجاه الذهن نحو موضوع معين، ويسمون إدراكه المباشر لهذا الموضوع بالقصد الأول، وتفكيره في هذا الإدراك بالقصد الثاني"³

لذلك فالقصدية تهتم بما هو عقلي، تنطلق من العقل إلى الموجودات الخارجية، فما يوجد في عقلي يكون موجها إلى شيء في العالم الخارجي.

¹ . ينظر خليفة الميساوي : القصدية في الخطاب السجالي ، ورد ضمن : التداوليات وتحليل الخطاب إشراف حافظ إسماعيل

علوي ، منتصر أمين عبد الرحيم ، كنوز المعرفة ، الأردن ، 2013 ، ص 293-294

² . جميل صليبي : المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ج2، 1994، ص193

³ . جميل صليبي : المعجم الفلسفي ، ج2/ 194

وهذا ما أشار إليه "سيرل" حين أدرج القصدية في العقل يقول: "تستخدم كلمة قصدية بوصفه مصطلحا تقنيا يعني تلك السمة التي تعد من خواص العقل حين يقصد نحو أشياء يعيها يلتفت إليها ويتوجه نحوها، يفهمها فيمثل لها ويعبر عنها، وبهذا المعنى نجد أن الرغبات والمعتقدات ... أمور تتعلق بالقصد العقلي، تصف قدرته على أن يصور ويعبر عن ..."¹

فمن خصائص القصدية العقلية أنها تكون نحو شيء ما وموجهة إلى الأشياء وتعبر عنها وتمثلها لذلك فهي تمثل كل الحالات العقلية: الاعتقاد، و الخوف، و الأمل، و الرغبة، و الحب، و الكراهية، و التردد ...

وقصدية العقل تشتق منها مقاصد أخرى؛ ومنها بخاصة المقاصد اللغوية، لما لها من تعالق كبير بالجانب اللغوي فقد أولى بعض الباحثين عنايتهم الشديدة بالمقاصد اللغوية، فكانت هناك علاقة رصينة بين القصد واللغة.

يقول "ابن خلدون" في المقدمة: "اعلم أن اللغة في المعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام"²، حيث يرتبط القصد اللغوي حسب "ابن خلدون" بفاعله؛ أي بالمتكلم و بإفادته للكلام فيحدد الغرض منه.

وبما أن وظيفة اللغة لا تقتصر على توصيل الأفكار بين المتكلمين بها، فقد عدها القصديون "عبارة عن نظام يتألف من مجموعة من العناصر الصوتية، وأن اللفظ عبارة عن سلسلة من وحدات صوتية صغرى (فونيمات) تعتبر أساسا حركة طبيعية (فيزيائية) تدل على معنى محدد لجعل الكلمة تحتزن قدرة على التعبير عن معنى حسي أو عقلي أو مادي ولكل مفردة معنى محدد بواسطة التسلسل الصوتي لكل حرف"³

¹ . جون سيرل : بناء الواقع الاجتماعي من الطبيعة إلى الثقافة ، ترجمة وتقديم حسنة عبد السميع ، مراجعة إسحاق عبيد ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ط 1 ، 2012 ، ص 38

² . عبد الرحمان ابن خلدون : المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2007 ، ص 598

³ . أحمد كروم : مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي ، كنوز المعرفة ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2015 ، ص 63

فالقصدية ترى أن دلالة المعنى هي مقصد في الكلام وكل شيء له صلة بتسميته، كما لا يجب الاهتمام بالعبارة وحدها أي بالتركيب اللغوي منفصلا عن قصده إذ " ينبغي دائما إيلاء الاهتمام للمعنى ولقصد من يتكلم عوض الاهتمام بالعبارة وحدها"¹

ونجد "فوسلر " " fosler" ينطلق من تصوره أن اللغة صيرورة كلامية متصلة لذلك فتصوره اللغوي ينطلق من ذلك التواتر بين الألفاظ والمقاصد ويرى أنه يجب اختزال اللغة في الأفعال القصدية يقول : " يريد المتكلم تحقيق مسعى معين، أي أنه يقصد شيئا بكلامه، وحينما يتعرف القارئ أو السامع على مراد المتكلم يكون قد توصل إلى فهم لغته، فالمفردات المجردة عن القصد مجرد لغو، وتظهر القيمة النفسية للغة في فهم القصد"²

فالسامع حينما يفهم مقاصد المتكلم فإنه يفهم لغته، ففهم اللغة يتوافق مع فهم مقاصد ومراد المتكلم، فكل مفردة لغوية تكون مبنية على قصد لغوي وإلا أصبحت لغوا وتهجينا.

ويصر على التوافق بين بنية الألفاظ والمعاني لفهم الأفكار، لأن عدم التوافق بينهما، قد يحصل ألا يكون المتكلم على علم بما يقصده من هذه الأفكار المطروحة.

ومن خلال هذه الالتفاتة القصيرة نجد أن اللغة والقصد تربطهما علاقة لا انفصام فيها، بل يمكن القول إن القصدية من رحم اللغة، وهذا ما أكده " جون سيرل " حين قال : " إن القصدية لغوية بالضرورة أو ترتبط باللغة"³

ومما لا ريب فيه أيضا أن القصد له علاقة بالخطاب والعملية التواصلية، على اعتبار أن الخطاب هو عبارة عن كتلة مقاصدية نستشفها من البنية اللغوية، فالمقاصد إذا هي لب العملية

¹ . سيلفان أورو : فلسفة اللغة، ترجمة عبد الحميد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، ص71

² . عز الحكيم بناني: الظاهراتية وفلسفة اللغة، تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية، افريقيا الشرق، المغرب، 2003 ص28

³ . جون سيرل: القصدية بحث في فلسفة العقل، ترجمة أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2009، ص26

التواصلية، لأنه " لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع أو على الأقل دون توليف للعلامات"¹

كما تقوم العملية التواصلية الخطابية على عنصرين أساسيين وهما المتكلم والمتلقي، إنه المقصد المركب من قصد المتكلم منشئ الخطاب وقصد السامع المتلقي للخطاب، قصد المتكلم إلى إيراد الكلام على نحو مخصوص لإفادة معاني ودلالات مقصودة عند التكلم.²

فلا تواصل لغوي ولا فهم من دون الاهتمام بمقاصد المتكلم " فالمتكلم لا ينجز الحدث الكلامي إلا وكل طاقاته النفسية وقدراته الفكرية ومداركه التصورية مجتمعة متأزرة بغية بلوغ الكلام تمامه"³؛ أي بلوغ الكلام قصده.

وترتبط العملية التخاطبية - إضافة إلى طرفي الخطاب - إلى السياق والمقام يقول " طه عبد الرحمان " : " فالقصد من القول يستلزم صبغة سياقية و مقامية"⁴

ومما يدل على أن للقصدية دورا بارزا في العملية التواصلية أنه لا يمكن لأي أحد أن يفهم كلام مخاطبه إلا إذا توفر كلامه على قصد.

3.1 - المصطلحات المرادفة لمصطلح القصد:

توجد الكثير من المصطلحات المرادفة لمصطلح القصد، كالتنية، والمعنى، والإرادة، والغرض ، والغاية...، سنحاول أن نوضح العلاقة بينها وبين القصد فيما يلي:

1.3.1 - بين القصد والمعنى:

يوجد من الباحثين من يكافئ بين مصطلحي القصد والمعنى في الاستعمال، وهناك من يرى بأن لكل مصطلح خصوصياته، وبذلك نطرح السؤال: هل المعاني هي المقاصد؟

¹ . عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2004 ، ص 183

² . ينظر إدريس مقبول : نظرية المعرفة والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011 ، ص 27 . 28

³ . عبد السلام المسدي : التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط 2 ، 1986 ص 149

⁴ . طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص 103

يرى البعض " الفعل يعني (to mean) مرادفا للفعل يقصد (to intend) في أغلب الألسنة الطبيعية فالمعنى الذي نبحث عنه في الخطاب وترسباته ليس سوى القصد والغرض الذي من أجله كانت اللغات وكان التواصل ¹"

أي أن المعنى مرادف للقصد، فما أعنيه هو ما أقصده فهناك صلة وثيقة بين المعنى والقصد، ولكن هل معنى الكلمات أو الجمل هو ما نقصد أو أن هناك معنى آخر " فإذا كان لكلماتنا معنى، فكيف نقول مالا نعنيه، أو كيف يمكن للكلمات أن تفشل في أن تعني ما تقصد أن تعنيه؟ ...فالكلمات لا تعني ما قد يعتمد بسهولة أنها تعنيه، فهناك معنى آخر إضافة إلى المعنى الحرفي للكلمات ²"

ويرى " طه عبد الرحمان " أن مدلول القصد في اللغة العربية يفيد ثلاثة أسماء ومن بينها المعنى، يقول: " ومن طريف اللسان العربي أن يجعل لمدلول اللفظ ثلاثة أسماء، كلها تفيد لغة واصطلاحا مفهوم القصد وهي بالذات "المعنى" و "المراد" و "المقصود" ³ . فهذه مرادفات لمدلول القصد حسب، ويأتي المعنى في الدرجة الأولى.

ويشير علماء العربية القدماء أيضا إلى أن المعاني هي المقاصد، وهذا ما يوضحه الإمام " الشاطبي " في قوله: " أن يكون الاعتناء بالمعاني المبتوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناء على أن العرب، إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية، فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد؛ والمعنى هو المقصود... ⁴"

¹ - إدريس مقبول : الأفق التداولي ، ص 25

² - بالمر : علم الدلالة ، ص 7

³ - طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 215

⁴ - الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة ، شرحه وخرج أحاديثه ، عبد الله دراز ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف

والدعوة والإرشاد ، السعودية ، مج 1 ، ج 2 ، ص 66

فالعرب كانت عنايتها بالألفاظ والمعاني، فاللفظ هو الذي يحصل المعنى، والمعنى جاء مرادفاً للقصد " فيكون معنى الشيء هو ما يقصد به ويراد منه ، ومعنى اللفظ هو المراد منه والمقصود به، والمقصود منه...ومن ثم فالمعنوي هو بالذات القصدي"¹

وهذا ما قال به "العسكري" الذي يرى بأن المعنى هو القصد، أي ما يقصد إليه من القول يقول : " أن المعنى هو القصد الذي يقع به القول على وجه دون وجه، وقد يكون معنى الكلام في اللغة ما تعلق به القصد...يقال عنيته أعنيه معنى...ولهذا قال أبو علي رحمة الله عليه إن المعنى هو القصد إلى ما يقصد إليه من القول، فجعل المعنى القصد لأنه مصدر...ولا يوصف الله تعالى بأنه معنى ، لأن المعنى هو قصد قلوبنا إلى ما نقصد إليه من القول، والمقصود هو المعنى إذا كان المقصود في الحقيقة حادثاً، وقولهم : عنيت بكلامي زيدا؛ كقولك: أردته بكلامي"²

فحسب القائل المعنى لا يطلق إلا إذا كان مقصوداً، فإذا عنينا شيئاً فإننا نقصده، وبهذا فالمعنى هو القصد إلى ما نقصد إليه من القول، والمعاني لا تكمن في الأنظمة اللغوية وحدها بعيداً عن السياق؛ لأن " مدار الأمر ينصب على ماذا يعني المرسل بخطابه، لا ماذا تعنيه اللغة، حتى ولو كان الخطاب واضحاً في لغته ، لأن معرفة قصد المرسل هو الفيصل في بيان معناه"³ وعلى ذلك فمدار الأمر هو معرفة ماذا يعني المتكلم، أي معرفة قصده من الكلام، لا ما يعنيه النظام اللغوي " فالمعاني لا تكمن في الأدوات اللغوية المستعملة، بل لدى المتكلم الذي يستعمل تلك الأدوات ويوظفها بشتى السبل لتحقيق مقاصده ونواياه"⁴

والمتكلم يوظف تلك الأدوات اللغوية بكل طرائقها، ليحقق مقصده أو المعنى الحقيقي الذي

يريد الوصول إليه

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، ص 197

² - أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ص 33 ، 34

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، ص 196

⁴ - براون ويول: تحليل الخطاب، مقدمة المترجم ، ص 9

وفي الأخير نخلص بأن المعنى هو القصد الذي يريد المتكلم، فإذا عنى شيئاً فهو يقصده بشرط أن يكون في جانب تواصلية تخاطبية.

2.3.1 - بين الإرادة والقصد:

يؤثر القصد بمعنى إرادة فعل الشيء في الحكم على الفعل فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها لا تابعة لشكلها الظاهري فقط ، مثل بعض الأفعال المتعلقة بالصدوق الذي ينوي المتزوج دفعه للمرأة ، فإنه بذلك يأخذ حكم الزواج، وإن خالف النية فإنه يتصف بحكم آخر، وكذلك من استدان بدين ولم ينو الوفاء به، فإنه يعتبر سارقاً.¹ ،فالكاذب لا يملك إرادة الصادق.

ويحدد " العسكري " الفرق بين القصد والإرادة بقوله " أن قصد القاصد مختص بفعله دون فعل غيره، والإرادة غير مختصة بأحد الفعلين دون الآخر، والقصد أيضاً إرادة الفعل في حال إيجادها فقط، وإذا تقدمته بأوقات لم يتم قصداً ألا ترى أنه لا يصح أن نقول : قصدت لأن أزورك غداً"² فالقصد يكون بإرادة مختصة ويكون صوب الفعل مباشرة، أما الإرادة فغير مختصة ولا تكون صوب الفعل.

كما تكون المعاني متضافرة فيما بينها بإرادة المتكلم، فالإرادة هي الفيصل في تحديد المعاني " فاللفظ عند النطق به يصاب بالضرورة بشيء من التغيير، لأن المعنى لا يوجد منعزلاً عن المعاني الأخرى، ولذلك يتحول إلى معنى آخر بوجود هذه العلاقات وإرادة المتكلم"³ وبالتالي يعتمد قصد المتكلم على توفر الإرادة، ليقوي خطابه، ويرتبه ترتيباً سليماً يستطيع بواسطته التأثير في المتلقي، ومن ثم يمكن القول إن القصد والإرادة متلازمان في الاستعمال.

¹ - ينظر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص 189

² - أبو هلال العسكري : الفروق اللغوية ، ص 126

³ - عبد الرحمان الحاج صالح : الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية ، ص 111، 112

3.3.1 - بين النية والقصد:

تعتبر النية حالة من حالات إرادة الفعل، يقول القرافي: " أما النية فهي إرادة تتعلق بإمالة الفعل إلى بعض ما يقبله، لا بنفس الفعل من حيث هو، ففرق بين قصدنا لفعل الصلاة وبين قصدنا لكون ذلك الفعل قربة، أو فرضا، أو نفلا، أو أداء، أو قضاء..."¹

النية هي توجيه الفعل إلى جهة من جهاته المشروعة، فالقصد مثلا من فعل الصلاة ليس نفسه إذا كان الفعل موجها قصديا على أساس أنه فرض أو قضاء...

كما أن الفرق بين القصد والنية، أن القصد ينسحب فقط على إنجاز عمل بعينه، على حين تنسحب النية على الوظيفة التي يمكن أن تكون لهذا العمل أو الحدث، فيمكنني أن أنجز الحدث (غمز العين) عن وعي وإن لم تتوافر لدي نية لتقديم علاقة لشخص آخر، أما حدث فتح الباب فإني أنجزه بنية أن أدخل أو أخرج ومن ثم فإن أغلب الأحداث التي نقوم بها تتضمن نية، ولذلك تمتد النية إلى الحال أو الحدث الذي نرغب في إيجاداه أو نأمل في إيجاداه لفعلا من خلال فعلنا.²

4.3.1 - بين الغاية والغرض والقصد:

يعتبر مصطلح الغاية والغرض من المصطلحات الأكثر مرادفة للقصد، وعليه فهل يمكن القول إن القصد هو الغاية أم الغرض؟ أم هناك بعض الفروق بينهم؟
إن الغاية كما يشير إليها " التهانوي " هي: " كل مصلحة وحكمة تترتب على فعل الفاعل تسمى غاية من حيث إنها على طرف الفعل ونهايته، وتسمى فائدة أيضا من حيث ترتبها عليه، فهما أي الغاية والفائدة متحدتان ذاتا ومختلفتان اعتبارا"³

¹ - أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي: الأمانة في إدراك النية، تحقيق ودراسة، مساعد بن قاسم الفالح، مكتبة الحرمين، الرياض، ط1، 1988، ص119

² - ينظر فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص127

³ - محمد علي التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق لطفي عبد البديع، مراجعة أمين الخولي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، القاهرة، ج2، 1966، ص1246

كما " ترتبط مباشرة بالأسباب التي من أجلها نستعمل اللغة وبذلك يؤول الحديث عن الغايات إلى بحث في وظائف اللغة، والبواعث التي من أجلها وجدت "1

ومن أهم هذه الغايات: " الإبلاغ والطلب، والتعلم والتعليم، والإفصاح، والتأثير، والإقناع، والإمتاع ... وذلك لأن مستعمل اللغة إما أن يبلغ مخاطبه بقضية ما ... ويستعمل لذلك أسلوب الإخبار ... وقد تكون الغاية من الخطاب التأثير في مخاطبه بتغيير سلوكه عن طريق الوعظ أو النصيحة أو إقناعه بفكرة ما ... "2

إذا فالغايات الخطابية تكون إما للتأثير أو للإقناع أو الوعظ أو النصيحة إلى غير ذلك من الغايات الخطابية.

أما الأغراض فمفردتها غرض، وجاء في معجم لسان العرب أن الغرض: " هو الهدف الذي ينصب فيرمي فيه، والجمع أغراض ...، ويقال: فهت غرضك أي قصدك "3 فالغرض مرتبط بالقصد، الغرض = القصد.

ويرى " التهانوي " أن الغرض هو الأمر الباعث للفاعل على الفعل، يقول: " فالغرض يسمى علة غائية وهي ما لأجله إقدام الفاعل على فعله، وهي ثابتة لكل فاعل فعل بالقصد والاختيار، فإن الفاعل يقصد الفعل لغرض... "4

وهناك من يرى بأن الغرض هو عبارة عن " علل قصدية للمخاطبة وهو ما يجعله مناسباً لأغراض التخاطب "5

1 .. محمد محمد يونس علي : تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو بناء نظرية المسالك والغايات، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 1 ، 2016 ، ص 83

2 . محمد محمد يونس علي : تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، ص 82

3 . ابن منظور: لسان العرب، ج 7/196

4 . التهانوي : كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج 2/1245

5 . محمد محمد يونس علي : تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ، ص 84

فالغرض يرتبط بالعلية و القصدية ، بمعنى أن الغرض يأتي نتيجة لعللة ما أو لقصد ما ، ومن الأغراض الشائعة في التخاطب " المدح ، و الذم ، و الهجاء ... والتحية ، والتهنئة ، والتعزية ..."¹ ومن هنا فإن مرادات المتكلم تتدرج من المقاصد إلى الأغراض إلى الغايات، ويمكن أن نعطي مثالا كأن نقول في الكناية التالية : " زيد كثير الرماد " فالقصد هو كرم زيد والغرض يمكن أن يكون المدح والغاية يمكن أن تكون التأثير أو الإقناع.

وهناك من الباحثين من لا يميز أصلا بين القصد والغرض والغاية فتستعمل بمعنى واحد، فنقول فهتمت قصدك أي غرضك أي غايتك.

من خلال هذه المرادفات بين القصدية و النية والإرادة والمعنى والغرض والغاية، نجد أن هناك تداخلا وترابطا بينها وبين مصطلح القصدية، ولكن المصطلحات الأكثر دوراناً والألصق بها في الجانب التداولي والتخاطبي نجد الغرض والمعنى والغاية، أما الإرادة والنية يمكن أن ترتبط أكثر بالجانب الذهني والعقلي للقصدية.

2 - الفكر القصدية عند قدماء العربية ومميزاته التداولية:

مقاصد اللغة العربية عند القدماء تتصل بكثير من العلوم المعرفية المختلفة، فلا يمكن حصرها والبحث في قضاياها في هذا المقام لأن زخمها المعرفي يتطلب بحثاً مطولة، ونقتصر على جوانب منها، ولاسيما ما ورد عند النحاة والبلاغيين وعلماء الشريعة.

1.2 - عند النحاة والبلاغيين:

هناك إشارات وملامح للفكر القصدية عند النحاة والبلاغيين العرب، وعلى الرغم من أنهم لم ينفردوا كتباً و مؤلفات تهتم بهذا الجانب. وكما هو معلوم فإن النحو والبلاغة تربطهما علاقة وثيقة في الدراسات التراثية، وكثيراً ما تقيم البلاغة أحكامها على النحو، وعليه فالدرس العربي يركز على مجموعة من العناصر، أهمها: القصد، والمتكلم، وأقذار السامعين ومنازلهم، وهي

¹ - محمد محمد يونس علي : تحليل الخطاب وتجاوز المعنى ، ص 85

مرتكزات تقوم عليها التداولية، ونقوم باستجلاء بعض الملامح القصدية - في النحو والبلاغة - ومدى ارتباطها بالاستعمال اللغوي.

لقد درست المقاصد عندهم، في إطار الجملة و الكلام، وهذا ما أشار إليه "ابن هشام" حيث أدخل مفهوم القصد في الكلام، يقول: "الكلام هو القول المفيد بالقصد"¹. ففائدة الكلام مرتبطة بالقصد.

يبدو أن للقصد مكانة بارزة في الكلام، فهو يتعلق بالمتكلم وغرضه من الكلام، حتى إنه يمثل قطب الرحي للعملية التواصلية مع إفادة السامع ومراعاة حاله وفق السياقات التي ينتج ضمنها الكلام والفرق بين الإفادة والغرض أن "الإفادة ألصق بالمخاطب وما يجنيه من فائدة تواصلية من خطاب المتكلم، وأن الغرض فمتعلق بالمتكلم أي بالقصد والغاية اللذين يرمي إلى تحقيقهما؛ فالمتكلم والمخاطب هما الطرفان الأساسيان في عملية التواصل"² والغرض أو القصد يتعلق بالمتكلم والفائدة تتعلق بالمخاطب، فهما لب العملية التواصلية؛ إذ أن المتكلم والمخاطب هما طرفاه الأساسيان.

ويعبر المتكلم عن قصده لتحديد معنى الخطاب، ولهذا "يحتج صاحب المغني أن القصد شرط في بلوغ الكلام تمامه معتمدا على ملاحظة أن الكلام في الشاهد يكون أمانة لما يريد المتكلم بحيث يكون دليلا على مقصود المتكلم وعلى أن المتكلم أراد أن يبلغ مراده بمقصوده"³ أما فائدة المخاطب أو السامع تكون معيارا لصحة الكلام، هناك من يرى أن الغاية والغرض الذي يريد المتلقي أو السامع من الخطاب هي قرينة القصد "الفكرة إذا أطلقت في نحو قولك رجل وفرس و أسد ، ففيها دلالة على أمرين : الوحدة و الجنسية ، فالقصد يكون متعلقا بأحدهما ويجيء الآخر على جهة التبعية، فأنت إذا قلت أرجل في الدار أم امرأة ؟ حصل بيان الجنسية،

¹ - جمال الدين ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ج2، ط1، 1964، ص419

² . مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب ، ص 186

³ . عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص 182

والوحدة تابعة غير مقصودة، وإذا قلت: أرجل عندك أو رجلان؟ فالغرض هاهنا الوحدة دون الجنسية¹

والأمور التي تحقق فائدة للسامع أن يوجد معنى دلالي، وأن تكتمل البنية الكلامية للجملة فتحصل للسامع فائدة من الكلام وأن تكون عناصر العبارة مقصودة ودالة.

و أشار " سيبويه " إلى دور القصد من الكلام و الإحالة فقد قسم الكلام بحسب الإحالة كما يلي يقول : " فمنه مستقيم حسن ومحال ، مستقيم كذب ، مستقيم قبيح ، و ماهو محال كذب ، فأما المستقيم الحسن فكقولك أتيتك أمس و سأتيك غدا ، و سأتيك أمس وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر و نحوه ، و أما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظة في غير موضعه ، نحو قولك : قد زيدا رأيت ، وكي زيدا يأتيك وأشباه هذا ، وأما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس²

فحكم سيبويه على أحد أنماط الكلام بصفة المستقيم الكذب هو ما يسمى باللحن التداولي الذي تنعدم فيه شروط المطابقة بين البنية الكلامية والنسبة الواقعية الخارجية والنسبة العقلية كما يعبر التداوليون والبلاغيون.³

وفي قوله المستقيم الكذب ففيه خرق دلالي وتداولي وبالتالي لا يمكن أن يكون قصديا لأنه تنعدم فيه شروط المطابقة التداولية، لأن " المستقيم في طريق النحو هو ما كان على القصد سالما من اللحن، فكان مستقيما من هذه الجهة، وهو مع ذلك موضوع في غير موضعه فهو قبيح من هذه الجهة⁴

¹ . أحمد كروم : مقاصد اللغة و أثرها في فهم الخطاب الشرعي ، ص 29

² . أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1، ط 3، 1988، ص 25، 26

³ . إدريس مقبول : البعد التداولي عند سيبويه، مجلة عالم الفكر، ع 1، مج 33، سبتمبر 2004، ص 246

⁴ . أحمد كروم: مقاصد اللغة، ص 30

ولأجل الوصول إلى الكلام المستقيم والقصد السليم، مراعاة مبدأ التعاون بين المتكلمين، وكذا الملاءمة السياقية، حتى لا يقع خرقاً وتضليلاً في الملفوظ المنطوق.

كما اهتم قدماء النحو والبلاغة بظاهرة التقديم والتأخير، فلم يكن إعادة ترتيب العناصر جزافاً، بل كان استجابة تداولية لبعض العناصر السياقية فكان كل ترتيب ينطوي على قصد معين.

وهذا " سبويه " يشير إلى قضية التقديم والتأخير والقصد منهما، يقول: " قدمت المفعول

وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك : ضرب زيدا عبد الله لأنك إنما أردت بهم مؤخرًا في اللفظ ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، و إن كان مؤخرًا في اللفظ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بيانه أعنى"¹

فهنا التقديم و التأخير جاء لقصد محدد، وجاء لأهمية تقديم المفعول على الفاعل لأن بيانه أهم لهم في تقديم المفعول على الفاعل.

وعقد " عبد القاهر الجرجاني " بابا في قضية التقديم والتأخير وكان منطلقه من فكرة مفادها " من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وأن يعلل تارة بالعناية، و أخرى بأنه توسعة على الشاعر أو الكاتب"²

فالمتكلم يقدم أو يؤخر لفائدة بلاغية معينة في موضوع محدد، ويتحدد موضوع الإفادة من خلال إدراك المقاصد و الأغراض التي تتناسب مع السياقات والمقامات، وسوف نورد مثالا على التقديم والتأخير بالاستفهام.

يقول "الجرجاني": " إن موضع الكلام على أنك إذا قلت " أفعلت ؟ " فبدأت بالفعل، كان

الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده"³

¹ . سبويه : الكتاب ، ج 1 / 111

² . عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح وتعليق، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان، ط1، 1988، ص86

³ . المرجع نفسه ، ص 87

إذا كان الاستفهام بالفعل كان الشك في الفعل، والغرض منه هو معرفته وإزالة الشك، وبهذا نجد الاستفهام ليس هو القصد في حد ذاته، لأن المتكلم لا يريد إجابة، وإنما يريد التقرير بفعل مخاطبه، فالقصد هنا انتقل من الاستفهام إلى التقرير.

وهذا يدخل في إطار الأفعال الكلامية، وبالتحديد الفعل الإنجازي، حيث تنتقل القوة الإنجازية من الاستفهام إلى التقرير، وذلك بحسب مقاصد المتكلم.

و أما " إذا قلت أنت فعلت ؟ بدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو وكان التردد فيه "1؛ بمعنى أن الشك في الفاعل، كأن نقول: أنت ذهبت إلى الجامعة يا محمد، فالشك هنا في الفاعل أهو محمد أم شخص آخر.

فالقصد يتغير بتغير التركيب فالتقديم والتأخير في الاستفهام بالهمزة، لم يأت لإبراز فائدة و إنما هدفه إيصال مقصد محدد من متكلم إلى مخاطب، وبذلك فالتقديم والتأخير عموما يكون وفقا لمقتضيات تداولية ويلعب القصد دورا أساسيا فيه.

وتقتضي نظرية النظم عموما بعض الملامح القصدية التداولية " كانت نظرية النظم أساسا جوهريا في تحليل القول حيث ارتكزت على البعدين السياقي والتداولي، وهذه الازدواجية في النظم، هي التي جعلت الدراسات النحوية تخرج من نطاق المقولات والنماذج وقواعد الإعراب داخل الجملة إلى المعاني السياقية "2

وبهذا " فمدار نظرية النظم على المقاصد والأغراض، والمعاني التي يؤديها الكلام، لا على الجانب الشكلي البنوي ... بحيث لا قيمة لتحليل موقع الكلمة أو الكلمات من الجملة دون إبراز وظائفها التداولية "3

1 - الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 87

2 . عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير ، ص 74

3 . عبد الرحيم وهابي : القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في نظرية النظم عند الجرجاني ، ورد في كتاب البلاغة والخطاب :

إعداد وتنسيق محمد مشبال ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2014 ، ص 132

فنظرية النظم بشكل عام تقوم على الجانب التداولي والتواصلية ويكون القصد هو مفتاح حل الكلام والمعاني المقصودة، وليس كما اعتبر البعض أن نظرية النظم تكون مجردة من الجوانب السياقية والمقامية والتواصلية.

وعليه فالجرجاني يولي علاقة متينة بين المتكلم والقارئ أي ما يقصده المتكلم و يفهمه أو يؤوله القارئ لأن " مقصدية المتكلم عند الجرجاني تعني في جميع الأحوال أن المتكلم يملك زمام التحديد القبلي للمعاني المراد تبليغها للقارئ، ومن ثم فإن فعالية القارئ يتم قصرها على فهم وإدراك ما هو موجود سلفا من معان في النصوص "¹، فقد اهتم بطرفي التواصل، وجعل زمام الأمور لمقصدية المتكلم الذي يحدد المعاني القبلية التي يريد أن يوصلها إلى القارئ.

كما نوه إلى جانب مهم، اصطلاح عليه بالمعنى ولازم المعنى، وهو ما يقابل في الدراسات المقصدية الحديثة، القصد وقصد القصد (القصد الأول، والقصد الثاني)، يقول: " الكلام على ضربين، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت خرج زيد... وضرب آخر أنت لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية و الاستعارة والتمثيل... "²

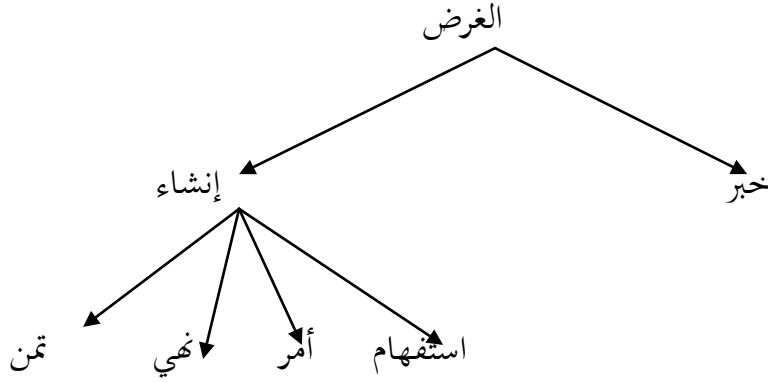
فهنا يتحدث عن ظاهر المعنى الذي نصل إليه بلا واسطة. ولازم المعنى، أو ما يلزم منه وهو معنى آخر وهو المقصود من الكلام ، فمثلا في الكناية (كثير الرماد) فالمعنى يعرف من ظاهر اللفظ وهو كثرة إشعال النار الذي ينتج عنه كثرة الرماد، أي أن القصد الأول في المعنى الأول جاء بلا واسطة، والقصد الثاني أي؛ معنى المعنى: هو كثير الطبخ، ومن ثم كرم الضيافة أو مضياف ويعرف بواسطة، فالقصد الثاني هو الذي يريد المخاطب أن يصل إليه من خلال القرائن المقامية والسياقية.

¹ . حميد حميداني: القراءة وتوليد الدلالة، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،

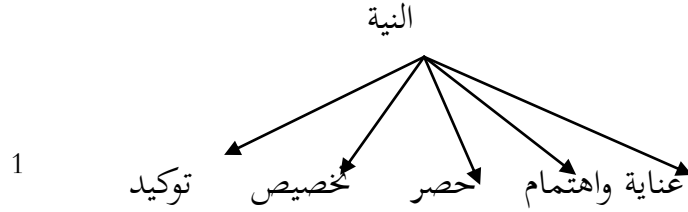
ط2، 2007، ص 105

² . الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص 202

كما أدرج البلاغيون تحت الإنشاء معان متعددة مثل الاستفهام والأمر والنهي والتمني ...



فإذا كان لمفهوم "الغرض" علاقة بالهدف من الخطاب، فإن لمفهوم "النية" علاقة بتنظيم الخطاب ذاته من حيث ترتيب مكوناته على الخصوص كأن يقدم ما هو في نية التأخير، فالمتكلم حين يعمل أحكام النحو في خطابه فإن نيته في ذلك تكون إما عناية واهتماما وإما حصرا وإما تخصيصا وإما توكيدا.



وحاصل القول مما سبق نقول أن الفكر القصدية عند قدماء العربية - النحاة والبلاغيون - قد توصلوا إلى ما توصل إليه الفكر التداولي الحديث، فقد أشاروا إشارات ذكية ومكثفة للقصد لاسيما في الجانب الإبلاغي والتواصلية بين مقصود المتكلم والفائدة التي تتعلق بالسامع ومدى استفادته من الكلام، كما أحاطوا بالخطاب وما يحيط به كالمتكلم والمخاطب والمقام والقصد من الكلام، وهي كما أسلفنا الذكر ضوابط الدرس التداولي الحديث.

¹ . ينظر أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط، 2006،

2.2 - مقاصد الشريعة وبعدها التداولي:

تعد مقاصد الشريعة من العلوم الضرورية التي من خلالها تفهم الأحكام، وتؤدي التكليف والعبادات على المنهج الرباني. (

1.2.2 - مفهومها:

أجمع الباحثون على أن علماء الإسلام لم يضعوا حدا جامعاً مانعاً لمفهوم المقاصد، وعللوا ذلك بتعليقات مختلفة منها أن المصطلح لم يعرف النضج ولم يستقر على معناه حتى أن الشاطبي** وهو الذي بلغت معه المقاصد مبلغاً، لم يعن بوضع تعريف للمقاصد، ومن بين التعاريف الواردة نذكر: عرفها " الطاهر بن عاشور " بقوله : " مقاصد التشريع العامة هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أنواع التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظاتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"¹

أما " علال الفاسي " يعرفها بقوله: " المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"²، فالشارع هو الله عزوجل، لا تصدر أعماله من العبث فمقاصد الشريعة هي " الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"³ وهناك نوعين من المقاصد عامة وخاصة، فالمقاصد العامة هي : " الغايات التي تقصد من وراء الأفعال، ويقصد بها المصالح والمفاسد ذاتها، فإنها غايات الأفعال وثمراتها المقصودة، فهي لفظ

** الشاطبي لم يحرص على إعطاء حد وتعريف للمقاصد الشرعية، ولعله اعتبر الأمر واضحاً، ويزداد وضوحاً، بما لا مزيد عليه بقراءة كتابه المخصص للمقاصد "الموافقات" ولعل ما زهده في تعريف المقاصد كونه كتب كتابه للعلماء، بل للراشدين في العلم. ينظر أحمد الريسوني : نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، تقدم طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر

الإسلامي، ط 4، 1995، ص 17

¹ . محمد الطاهر بن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية، دار السلام، دار سحنون، تونس، ط6، 2014، ص 51

² . أحمد الريسوني : نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص 18

³ . المرجع نفسه، ص 19

مطلق وعليه فمتى تم تحصيلها فهي مقصد، ولا يهم إن كان مصلحة أم مفسدة ، شرعية أم غير شرعية " ¹

فلفظ الشريعة قيد مدلولها، وبذلك خرجت المفسد ويكون المقصود المصالح التي قصدها الشارع من " حفظ النظام وجلب المصالح ودرء المفسد وإقامة المساواة بين الناس، وجعل الشريعة مطاعة نافذة، وجعل الأمة قوية مطمئنة البال " ²

أما المقاصد الخاصة فهي " الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة ويدخل في ذلك كل كلمة روعيت في تشريع أحكام تصرفات الناس مثل قصد التوثيق في عقدة الرهن، وإقامة نظام المنزل والعائلة في عقدة النكاح " ³ فالمقاصد العامة هي حفظ المصالح ودرء المفسد، والخاصة تدخل في تشريع تصرفات الناس للحفاظ على المصالح العامة.

2.2.2 - اللغة ودورها في تحديد مقاصد الشريعة :

إن العلم باللغة العربية أمر ضروري لإمكانية فهم الكلام فهما سليما، ولمعرفة مقاصد نصوص الوحي ومراده، فاللغة هي أداة توصيل عما يتصوره الإنسان ويشعر به، فهي وعاء للمضامين المنقولة، سواء كان مصدرها الحس أم العقل أم الوحي، وهي أداة لتمحيص المعرفة الصحيحة. ⁴

وأكد " الشاطبي " على أن مقاصد الشريعة يجب أن يركز فيها على اللغة العربية، ولا دخل للألسنة الأعجمية يقول: " إن هذه الشريعة المباركة عربية، لا دخل فيها للألسن الأعجمية

¹ . حمزة العبدية : وسائل معرفة قصد الشارع، دراسة تأصيلية تطبيقية، دار ابن حزم، بيروت ، لبنان، ط1، 2014، ص

42

² . أحمد الريسوني : نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ، ص 17

³ . المرجع نفسه، ص نفسها

⁴ . ينظر سميح عبد الوهاب الجندي : أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية ، وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم ، مؤسسة

الرسالة ناشرون ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 2008 ، ص 82 . 83

... وإنما المقصود هنا أن القرآن نزل بلسان العرب ، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة ... لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف 2 ، ...¹

كما يوضح " الطاهر بن عاشور " دورها في فهم قصد الشارع يقول : " أدلة القرآن الواضحة الدلالة التي يضعف احتمال أن يكون المراد منها غير ما هو ظاهرها بحسب الاستعمال العربي بحيث لا يشك في المراد منها إلا من شاء أن يدخل على نفسه شكاً لا يعتد به ، ألا ترى أنا نجزم بأن معنى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ البقرة 183 أن الله أوجبه، ولو قال أحد إن ظاهر اللفظ أن الصيام مكتوب في الورق، لجاء خطأ من القول²

الهدف من معرفة اللغة العربية والعناية بها هو فهم مقاصد الشريعة، لأنها هي الأصل في الوصول إلى مقاصد الشارع، وبفضلها يتجنب المخاطب الوقوع في الخطأ.

3.2.2 - الخطاب والقرائن المقامية في فهم مقاصد الشارع وأبعادها التداولية:

بعد الإشارة إلى دور اللغة في فهم مقاصد الشارع، نتطرق إلى الخطاب بعناصره ومدى تحكمه في فهم مقاصد الشارع، أشار الشاطبي إلى الخطاب ضمناً لا تصريحاً في قوله: " معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال، حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب، أو المخاطب، أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين، وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك³

يمكن القول إن " الشاطبي " أشار إلى أمور محورية في العملية التخاطبية لا يقوم الخطاب إلا بها وهي: لغة الخطاب، والمخاطب، والمخاطب، والمقام، وهذه العناصر تجلت بكل حيثياتها في الدراسات التداولية الحديثة .

¹ . أبو اسحاق الشاطبي : الموافقات في أصول الشريعة ، مج 1 ، ج 2 ، ص 49 . 50

² . الطاهر بن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 21

³ . الشاطبي : الموافقات ، مج 2 ، ج 3 ، ص 258

- لغة الخطاب :

- كلما كانت أكثر سهولة ووضوحا كان إدراك المقصود أسهل. ويتحكم في لغة الخطاب أمران:¹
- نوع الكلمات التي يختارها المخاطب (المتكلم) وأسلوبه وفصاحته
 - طبيعة اللغة نفسها فمنها ما يحتمل معنى واحدا، ومنها ما يحتمل أكثر من معنى
- ويجب فهم اللغة على معهود العرب، أي إدراك أساليب العرب في خطابها ، فمعرفة معهود العرب في التخاطب مهم جدا في فهم الكثير من النصوص القرآنية ، وهذا ما أشار إليه الشاطبي عندما تحدث أن القرآن نزل بلسان العرب، وهو معهود العرب في ألفاظها.
- المخاطب (المتكلم) :

وهو العنصر الثاني المتحكم في فهم الخطاب، و يجب أن تكون للمخاطب قدرة على التعبير عما يريد تبليغه للمخاطبين من فصاحة وبلاغة - كان الرسول الكريم أفصح العرب - وكذلك في نوع الألفاظ التي يختارها في التعبير عن مقصوده، و في أحيان كثيرة يقصد ألفاظا مبهمة تحتمل أكثر من معنى تحمله يريد بها الشارع.²

- المخاطب (السامع) :

فالسامع لا يفهم الخطاب على مستوى واحد، فالناظر إلى النصوص الشرعية، يجد أنها على مستويين: مستوى يتمكن من فهمه كل من عرف اللغة العربية فهو متيسر لعامة الناس ، ومستوى يتعسر فهمه على عامة الناس.³

و للمقام دور مهم وحاسم في فهم الخطاب، فالخطاب يتحدد وفق القرائن اللغوية والقرائن السياقية، أو ما يطلق عليهما كذلك بالسياق المقالي و المقامي.

¹ . ينظر سميح عبد الوهاب الجنيدى : أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية ، ص 86 . 87

² . ينظر المرجع نفسه ، ص 87

³ . ينظر المرجع نفسه، ص 87 . 88

وهذا ما أكده "الظاهر بن عاشور" في قوله: " و بذلك لم يستغن المتكلمون والسامعون على أن تحف بالكلام ملامح من سياق الكلام، ومقام الخطاب ... لتتضافر تلك الأشياء الحافة بالكلام على إزالة احتمالات كانت تعرض للسامع في مراد المتكلم من كلامه"¹ فهنا يؤكد على دور القرائن السياقية في تحديد مقام التشريع، على اعتبار أن الألفاظ العارية من القرائن، يكون من الغلط استنباط أحكام الشريعة من خلالها.

و أشار "الشاطبي" إلى مقتضى الحال ودوره في تحديد المراد من الخطاب، كالاستفهام فقد يكون وضعه في اللغة كذلك ولكن يتجاوز فهمه إلى مقاصد أخرى يقول: "... كالاستفهام لفظه واحد، ويدخله معاني آخر، من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، وكالأمر يدخله معنى الإباحة والتهديد والتعجيز و أشباههما ولا يدل على معناها المراد إلا الأمور الخارجة، وعمدتها مقتضيات الأحوال، وليس كل كلام ينقل ولا كل قرينة تقتزن بنفس الكلام المنقول، و إذا فات نقل بعض القرائن الدالة فات فهم الكلام جملة، أو فعم الشيء منه"²، فالشاطبي يرى بأن مقتضيات الأحوال تغير أغراض الألفاظ والأساليب اللغوية إذ تنتقل من معنى الاستفهام إلى التوبيخ ... و الأمر ينتقل من معناه الحقيقي إلى معنى آخر يحتمله، وهو القصد الذي وضع من أجله. هذه التلميحات التي جاء بها الشاطبي غير بعيدة على مفهوم القوة الإنجازية في الفعل الإنجازي - في الدرس التداولي الحديث - الذي ينتقل من قوة إنجازية حرفية إلى قوة إنجازية مستلزمة، تحدد السياقات ومقتضيات الأحوال والقصد.

منتهى القول من كل ما مضى عبر هذه المحطة التي ربطنا فيها المقاصد بالشريعة، بوصفها ضرورة لفهم القرآن الكريم و السنة النبوية، واهتمامها باللغة العربية و دورها الفعال في فهمها، فالفهم الدقيق للغة يتوقف على فهم الخطاب الشرعي، كما اهتموا بعناصر الخطاب الأساسية في العملية التواصلية ودور المقام في تحديده، وهي أمور تأصيلية للنظرية التداولية الحديثة.

¹ . الظاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 27

² . الشاطبي: الموافقات ، مج 2 ، ج 3 ، ص 258

3 - القصدية الفلسفية: تحديدات ورؤى

مصطلح القصدية مصطلح كثير الدوران في الأبحاث الفلسفية المعاصرة، اختلف مدلوله باختلاف الرؤى الخلفية المعرفية لكل فيلسوف؛ فهناك من يربطه بالعقل والشعور، وهناك من يربطه باللغة والمعنى وآخر يربطه بالفعل... وقد أخذ قسطا كبيرا في المجال الفلسفي، وسوف نقتصر على بعض الجهود ونبين مدى أهمية هذا المصطلح في الدراسات الفلسفية التي تعد بؤرة الدراسات اللغوية والتداولية التي جاءت بعدها.

يكاد يجمع الباحثون على أن مصطلح القصد جاء مع الفيلسوف "فرانز برنتانو" (f.brentano) الذي أسهم بوضوح في شيوع هذا المصطلح لمن جاء بعده، وقد ربط مصطلح القصدية بالحالات النفسية والظواهر الذهنية والعقلية، يقول: " تتحدد الظاهرة النفسية من خلال المفهوم الذي أطلق عليه المدرسيون في العصر الوسيط مصطلح الوجود القصدية والذهني أيضا لشيء ما، وهو المفهوم الذي نطلق عليه مصطلح العلاقة المرجعية بمضمون أو مصطلح الاتجاه صوب شيء ما"¹

فهو يرى أن كل ما يندرج في الحالات النفسية والعقلية فعل قصدي فقد عدّ كل الظواهر الذهنية قصدية، كالاعتقاد والرغبة، والحزن، والابتهاج، فعندما نعتقد فإنه ثمة شيء ما يكون موضوعا لاعتقادنا، ويكون شخص ما فرحا أو حزينا بسبب حادث ما، وقد يكون مبتهجا بسبب موضوع ما، فكل الظواهر متجهة نحو شيء ما، وبالتالي فكلها مواضع قصدية، فهو يؤكد أن كل ظاهرة وكل حادثة يمكن تصنيفها على أنها قصدية. وهذا الاتجاه اتبعه كل من "هسرل" و " سيرل " في منهجما القصدية.

¹. عز العرب لحكيم بن ناني : الظاهرتية وفلسفة اللغة ، ص 56

1.3 - القصدية عند هسرل في المنهج الظاهراتي:

يجمع الباحثون على أن مفهوم القصدية عند "إدموند هسرل" ¹ "edmund huserl" في المنهج الظاهراتي أو الفينومينولوجي *، جاء نتيجة لتأثره بأستاذه "فرانز برنتانو"، ويكون قد أخذها عنه بطريقة مباشرة.

لقد انطلق هسرل - في مشروعه الفينومينولوجي للقصدية - من الفلسفة الديكارتية التي تستمد قيمتها حسب "ديكارت" من "الرجوع إلى ذاتية الإنسان ليؤسس فيها وعليها بناء المعرفة" ¹ الذي تبناها في الكوجيطو "أنا أفكر إذا أنا موجود"، فهذه العبارة أهملت الموضوع المفكر فيه "عبارة أنا أفكر لم تحمل في ثناياها موضوع تفكيرها، بل أبقى ديكارت على الفكر معلقا دون موضوع... فعيب الكوجيطو أنه لا يقر بموضوع ما كمادة للتفكير... وقد انتهى إلى أن جعل من الذات المفكرة تفكر في نفسها" ²

فديكارت أهمل الموضوع وجعل كل شيء متعلق بالذات حتى الموضوع نفسه، وبذلك رفض فكرة مفادها أن الوعي ينفذ إلى الأشياء ذاتها.

أما المنهج الفينومينولوجي - حسب هسرل - فيقوم على قصدية الوعي انطلاقا من الذات إلى الموضوع المفكر فيه... وعليه فالماهية لا توجد منفصلة عن الموضوع أو الظاهرة، ولكنها

* الظاهراتية (الفينومينولوجيا) ، هي علم الظواهر، استعملت أولا في ميدان علم النفس لتدل على الظواهر السيكولوجية (الرغبة ، الإدراك ، الإحساس ...) ، وتعنى الفينومينولوجيا في إطارها الفلسفي و الأنطولوجي تحديد بنية الظواهر و شروطها العامة بمعنى مشكل الظهور أو الإنبثاق (أي ظاهرة كانت) الذي يتصل لأول وهلة اتصالا مباشرا بالوعي، فأول التقاء للوعي الذي أثارته وجلبت انتباهه ظاهرة معينة، وهو صلب المسائل التي تحاول الفينومينولوجيا معالجتها، ينظر محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر، منشورات صفاف، بيروت، 2015، ص50

¹ . عبد الكريم شرفي : من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص88

² . المولدي عزديني : النقد الفلسفي للذات المفكرة عند ديكارت ، الوسيط للنشر ، تونس ، 2008 ، ص 34

تؤسسه وتشرطه وتسبقه، ولتحديد الماهية يلجأ "هسرل" إلى أحد المفاهيم التي يقوم عليها المنهج الفينومينولوجي وهو مفهوم القصدية.¹

فالوعي يتوجه ويقصد موضوعا ما، فهو دائما الوعي بشيء ما، ولا يوجد أي موضوع دون الذات التي تفكر به وعليه " لا يوجد فكر دون موضوع الفكر، ولا الأنا المفكر بدون الموضوع المفكر فيه " ² ، وعليه فالقصدية هي توجه الوعي إلى الموضوع، فالموضوع لا يتجلى كظاهرة في الوعي إلا بمقدار قصدية الوعي.

لذلك فمعظم الأحداث التي تصنع حياتنا قصدية، كالاقتادات، والآمال، والمخاوف، والحب والكراهية... " إن قصد الشيء أو عنيه هو التوجه إليه... وكل فعل معيش يتوجه إلى شيء، فإذا بالإدراك إدراك لشيء، والتمثل تمثل لشيء، والتذكر تذكر لشيء.. والحب حب لشيء، والأمل أمل بشيء وهلم جرا " ³.

فكل الحالات الموجودة في حياتنا تقوم على قصدية الوعي، فهي تتوجه منه إلى الموضوع المركز عليه في العالم الخارجي، وهو موضوع الإدراك من قبل الذات الواعية.

وأكد " هسرل " في مجال قصدية الوعي؛ أن قصدية الوعي تتجه إلى الموضوع المدرك بالتحديد، يقول: " الشيء الموضوع في الطبيعة الذي أدركه في الطبيعة؛ الشجرة الموجودة في الحديقة، هي وليس شيء سواها الموضوع الفعلي لقصد الإدراك " ⁴

فقصدية الوعي حسبته تتجه مباشرة إلى الموضوع المفكر فيه، وليس إلى شيء آخر، فمثلا في الحديقة توجد الكثير من الأشجار، فقصدية الوعي تتجه إلى الشجرة المقصودة من قبل الوعي وليس إلى شجرة أخرى.

¹ . ينظر محمد فرحة : المنهج الفينومينولوجي للنظرية القصدية عند هسرل، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية،

سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، مج 31 ، ع 1 ، 2009 ص 94

² . المرجع نفسه ، ص 53

³ . المرجع نفسه ، ص 92

⁴ . المرجع نفسه ، ص 98

لم يكتف "هسرل" بربط القصدية بالإدراك، بل ربطها بالنص، ولكن كيف فعل ذلك؟ وأي نوع من النصوص؟

يرى بأن النص الأدبي - بتأثير من فلسفة القصد - إنما يحركه قصد مبدعه ، وبذلك " فالنص الأدبي هو تجسيد محض لمظاهر العالم والحياة كما تجلت في وعي المؤلف، وسوف يثبت المعنى هذا النص مرة واحدة وإلى الأبد وهذا يتطابق مع الموضوع الذهني الذي يحمله المؤلف في عقله أو يقصده وقت الكتابة"¹

فالنص الأدبي حسبه مثله مثل أي موضوع أو ظاهرة لا يمكنه أن ينفصل عن الذات ولا يمكن أن ينفك عن وعي مؤلفه ، فذات المؤلف وأفعالها القصدية هي الأساس التي ينبني عليها النص الأدبي. ولذلك " هسرل " لم يطبق منهجه القصدية على النصوص الأدبية بل قام بهذا التطبيق " هيرش " " Hirsch " *

وخلاصة يمكن القول أننا أشرنا إلى مفهوم القصدية عند "هسرل" من خلال منهجه الظاهراتي، ونواة هذا المنهج هو علاقة الظاهرة أو الموضوع بالذات، تجاوزا للفكر الديكارتي الذي عزل الموضوع عن الذات، فالظواهر أو الموضوعات هي أشياء مقصودة من قبل الوعي؛ أي يكون الوعي موجها نحو موضوع قصدي فكل الحالات الواعية - حسبه - قصدية إضافة إلى ذلك أنه ربط النص الأدبي بقصد المؤلف باعتباره ذاتا موجهة إلى الموضوع المتطابق مع هذه الذات.

¹ - عبد الكريم شرفي : من فلسفات القراءة إلى نظريات التأويل ، ص 104

* حاول هيرش أن يبني نموذجا قائما على إدراك دور المؤلف ومقاصده في فهم النص والوصول إلى معانيه ومقاصده ، وقد اعتمد على ما وفرته التداولية، ويقابل فيما يتعلق بالنص بين شيئين اثنين معنى النص ودلالته ، فمعنى النص فالمقصود دلالاته الأصلية التي انطلق منها أو المعنى الذي قصده المؤلف فهو ثابت ، أما الدلالة فهي المعنى المنتج الذي يتأسس على معنى النص إنه ما يؤول القارئ اعتمادا على مقاصد المؤلف ، فمعنى النص مضمون من قبل مؤلف النص ، أي بواسطة المعنى الذي استثمره فيه وبواسطة المقاصد التي عبر أو لم يعبر عنها ، ذلك أن معنى المؤلف لا يتحدد فقط من المعطيات التي يقدمها النص وحده ، بل بالمعطيات الصادرة عن صاحبه . ينظر يحي رمضان :قراءة النص بين موت المؤلف ومقصدية المتكلم ورد في كتاب : النص بين القراءة والتأويل : تحرير إدريس مقبول ويحي رمضان ، عالم الكتب الحديث ، ط 1 ، 2013 ، ص 25

2.3 - القصدية عند "جون سيرل" من منظور فلسفة اللغة العادية:

لقد تجاوز "جون سيرل" "john searl" ** الفكر الهوسرلي أو المفهوم الفينومينولوجي للقصدية "وقد طور هذا المصطلح الذي كانت الظاهراتية (الفينومينولوجيا) قد عرفته من قبل ... فقد تجاوز التحليل الظاهراتي سواء في شكله المفارق الترانسندتالي (هسرل) أو في شكله الوجودي (هايدغر) ¹

1.2.3 - القصدية العقلية والوعي:

أشرنا سابقا إلى أن هسرل ربط القصدية بالوعي والمجال العقلي، في المقابل نجد سيرل يركز على مجال القصدية وتعلقها بفلسفة العقل، لأن مسألة القصدية العقلية من المسائل الصعبة في التوجهات الفلسفية، ويرى بأن القصدية تأتي كمشكلة صعبة بعد مشكلة الوعي. يرى أن من السمات البارزة للعقل أنه يربطنا بالعالم الواقعي، وهذه هي ماهية القصدية، فهي : " الطريقة الخاصة التي يمتلكها العقل لربطنا بالعالم ² ولذلك فالقصدية هي: " تلك السمة للحالات العقلية التي تتوجه أو تتعلق، بموضوعات وحالات فعلية خارج ذاتها... ويمكن توجيه الحالة القصدية نحو هدف كما يمكن إساءة توجيهها أو الإخفاق فيها لعدم وجود موضوع ³

** نشأ سيرل في ظل تقاليد الفلسفة التحليلية وتراوحت مباحثه بين مشكلات فلسفة اللغة وفلسفة العقل، والاهتمام بدراسة الخصائص المميزة لأبنية الواقع الاجتماعي، في مقابل عالم الوقائع الطبيعية، وقد أدار حلقات بحثية في مجال فلسفة العقل، وعلم المعرفة العصبية، وعلم النفس المعرفي، ومبحث الإدراك العقلي، كما طور وأضاف بصمة مميزة في اهتمامه بنشاط العقل والوعي وعمليات الفهم، كما أسهم في مجال فلسفة اللغة بأكثر من مؤلف منها "أفعال الكلام" مقال "فلسفة اللغة" و "التعبير والمعنى"، وقد وجه عناية كبيرة للقوة الإنجازية، ينظر جون سيرل: بناء الواقع الاجتماعي، مقدمة المترجم، ص 9

¹ - جون سيرل: بناء الواقع الاجتماعي، مقدمة المترجم، ص 10

² - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص 151

³ - المرجع نفسه، 149

فالقصدية خاصية عقلية وهي إما توجهها أي توجيه الحالات العقلية إلى موضوعات فعلية في العالم أو نحو هدف معين؛ لأنه عدم توجيه القصدية يؤدي إلى الإخفاق في وجود الموضوع المقصود، و إما تعلقا أي تتعلق بموضوعات وحالات فعلية تكون خارج ذاتها.

والقصدية بهذا تتضمن الكثير من الظواهر العقلية، كالإعتقاد، والأمل، و الرغبة، والخوف، والحب، والكراهية، والنفور، والشك، والتساؤل، والمرح، والفرح والإحباط، والقلق، والندم، والحزن، والإكتئاب ، والتمني ...¹

وعليه فالعقل لديه قدرة على توجيه ذاته نحو الأشياء ، فكل الحالات العقلية تكون موجهة نحو الأشياء أو الإشارة إليها، لذلك فلا نعتقد فحسب، أو نرغب فحسب ... وإنما نعتقد في شيء ما ونرغب في شيء ما، وهو يتوافق إلى حد كبير مع " إدموند هسرل " حيث وجه من خلال قصدية الوعي كل الحالات إلى الموضوعات أو الأشياء الموجودة في العالم.

فسيرل ربط القصدية بالوعي / الشعور ، ولكن على حد تعبيره ليست كل الحالات الواعية

قصدية، وليست كل الحالات القصدية واعية يقول : " ليس كل الوعي قصديا، وليست كل

القصدية واعية، ولكن يوجد تشابك مهم بين الوعي والقصدية، فالحالات العقلية التي هي في

الواقع غير واعية يمكن أن تصبح واعية، قد لا يمكن للوعي أن يحصل على هذه الحالات، ولكن

يجب أن تكون ذلك النوع من الأشياء التي يمكن أن تكون جزءا من حالة عقلية واعية غير

قصدية"²

فهناك حالات واعية وليست قصدية والعكس " هناك العديد من الحالات الواعية ليست

قصدية مثل الشعور المفاجئ بالسعادة أو الفرح ، وهناك العديد من الحالات القصدية ليست

واعية ، فقد يكون لدي العديد من المعتقدات التي لا أفكر فيها الآن ... أعتقد مثلا أن أجدادي

¹ - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص149

² . جون سيرل : العقل مدخل موجز ، ترجمة ميشال حنا ميطاس، عالم المعرفة، العدد 343، سلسلة كتب ثقافية شهرية

يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سبتمبر 2007، ص 114

قد قضا حياتهم داخل الولايات المتحدة القارية، ومع ذلك لم أفكر في هذا الاعتقاد بصورة واعية¹

هناك حالات واعية ليست قصدية، إذا لم تكن موجهة، أو لا نفكر في ذلك الشيء، فقد يكون لدي اعتقاد في الوعي ولكن غير مقصود أو لا مفكر فيه، أو الشعور بالقلق. غير موجه. فقد تكون الحالة واعية وغير قصدية.

كما نجد في المقابل حالات قصدية وغير واعية، مثلا : لو اعتقد أن كلنتون هو رئيس و.م.أ يمكن أن يكون شعوريا أو لا شعوريا ، فيمكن أن ينسب لي هذا الاعتقاد حتى حين أغط في نوم عميق " حين أغط في نوم عميق يصح لي القول أن كلنتون هو رئيس و . م . أ ، حتى حين أكون غائبا عن الشعور تماما، لكن هذا الاعتقاد يوجه بصورة شعورية، ومازالت قصديته، لكن لم تعد شعورية.²

فهنا الحالة تكون قصدية لكن غير واعية، بمعنى أنه حتى في حالة غيابك عن الشعور، يوجد الاعتقاد بصورة شعورية، فتبقى قصديته حتى في حالة اللاشعور.

فحسب سيرل كل الحالات الواعية ليست جميعها قصدية ، فيمكن أن تكون واعية وغير قصدية، ويمكن أن تكون قصدية وغير واعية ، ورغم ذلك يبقى هناك ارتباطا وثيقا بين القصدية والوعي ، كما أن هناك حالات قصدية كثيرة وغير شعورية ، ولكن ضمنا يمكن أن تكون شعوريا

2.2.3 . السمات البارزة للعقل اتجاه الملاءمة:

فالعقل لديه اتجاه ملاءمة، فيقال عن: " الاعتقادات والافتراضات إنها صحيحة أو زائفة استنادا إلى ما إذا كان العالم حقا هو الطريقة التي يمثلها الاعتقاد كوجود ، ولهذا السبب أقول أن للاعتقادات اتجاه ملاءمة من العقل إلى العالم ... أما الرغبات والمقاصد فليس لها اتجاه ملاءمة من

¹ . ينظر جون سيرل : القصدية بحث في فلسفة العقل ، ص 102

² . جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع، ص 103

العقل إلى العالم، لأنه لم يتم إشباع الرغبة أو القصد فقد يصح القول إنه ليس من مسؤولية العالم لكونه أخفق في مجارة محتوى الرغبة والتناغم مع القصد¹

"فالاقتادات والإدراكات والذكريات لها اتجاه ملاءمة من العقل إلى العالم، لأن هدفها يكمن في تمثيل الكيفية التي توجد عليها الأشياء، وللرغبات والمقاصد اتجاه ملاءمة من العالم إلى العقل، لأن هدفها لا يكمن في تمثيل الكيفية التي توجد عليه الأشياء، بل الكيفية التي نود أن تكون عليها الأشياء، أو نخطط لها لتكون عليها الأشياء"²، فالتمييزات التي قام بها "جون سيرل" في اتجاه الملاءمة ضروري جدا في تحديد القصدية، فتمييزات اتجاه الملاءمة يمكن أن يكون من الكلمة إلى العالم ويمكن أن يكون من العالم إلى الكلمة، أو من العقل إلى العالم أو من العالم إلى العقل.

3.3.3 - القصدية الأصلية والقصدية المستمدة أية علاقة :

من السمات المميزة للقصدية أنها عقلية ، أي أن الحالات العقلية تتوجه أو تتعلق بموضوعات في العالم الخارجي ، فالقصدية عقلية ، ولكن طرح السؤال : هل يمكن أن تكون القصدية لغوية ؟ يجب " سيرل " " إن القصدية لغوية أو ترتبط باللغة"³

فالإشكال المعقد، هل يمكن أن يكون قصد عقلي بدون لغة، أو العكس، وهل نستمد القصد العقلي من اللغوي؟ أو القصد اللغوي من العقلي؟ يقول "سيرل" : " لا نستطيع أن نفسر قصدية العقل بالاحتكام إلى قصدية اللغة، لأن قصدية اللغة تعتمد أصلا على قصدية العقل"⁴

ويمثل لذلك بقوله : " اعتقادي الذي يتعلق بكلنتون ، ينوب عن كلنتون بالطريقة نفسها ، التي تنوب فيها كلمة كلنتون عن كلنتون الشخص ... كيف يمكن للكلمة أن تنوب عن كلنتون أو

1 . جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص 151 . 152

2 . المرجع نفسه، ص 154

3 . جون سيرل : القصدية بحث في فلسفة العقل ، ص 26

4 . جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع ، ص 136

أي شيء آخر ؟ لا يمكن أن يكون جواب سوى أن الكلمة تنوب عن كلنتون لأننا نستعملها
قصديا لكي تمثل كلنتون¹

فالقصدية جاءت بمعنى التمثيل لأننا نستعمل أي كلمة لتنوب على الشيء المذكور في
الواقع أو العالم، يقول في هذا الصدد : " لا أستطيع أن أقول أن تمثيلا عقليا يستمد قدرته
القصدية من اللغة، كيف يمكن لمجرد أصوات تخرج من فمي أو علامة أكتبها على الورقة ، أن
تشير إلى ، أو تكون عن، أو تصف أشياء أو حالات واقعية تعود إلى الماضي²
هكذا نشهد أن العلامات أو الكلمات أو الإحالة على شيء في الماضي، لا تمثله قصديا
تلك العلامات اللغوية، أو الكلمات التي تكتب على الأوراق، وإنما العقل هو الذي يفرض
قصديا عليها.

ويوضح بصورة أكثر دقة التمييز بين القصديتين، الأصلية والمستمدة، يقول : " التمييز بين
القصديتين الداخليه والمستمدة هو حالة خاصة من تمييز أكثر جوهرية بكثير من سمات العالم التي
هي السمات المستقلة عن الملاحظ، مثل القوة ، الكتلة والجاذبية والسمات التي تعتمد على
الملاحظ، مثل وجود سكين، أو كرسي أو جملة في اللغة الإنجليزية³
فالقصدية الأصلية لا تعتمد على الملاحظ كالاقتنادات وغيرها لأنها تمثيلات عقلية تخضع
لدواتنا أي بصرف النظر عما يظنه الملاحظ عنها، أما القصدية المستمدة تعتمد على الملاحظ
كجملة من الجمل فإنها تعني معناها الذي لها ، فالقصدية منشؤها العقل لأن القصدية مرتبطة
أصلا بالإدراك وهو غير ملاحظ، أما المستمدة فإنها مرتبطة باللغة، واللغة لا تتحقق فائدتها
التواصلية إلا بما تحمله من معان، والمعنى متقيد بما يتكون في الذهن، لهذا فقصدية اللغة مرتبطة
بقصدية العقل، ومن ثمة اصطلح عليها بالمستمدة.

1 . جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع ، ص 136

2 . جون سيرل : العقل مدخل موجز ، ص 131

3 . جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع ، ص 141

4.3.3 - القصدية الفردية والجماعية:

هل هناك علاقة بين القصدية الفردية، والقصدية الجماعية، أم أن هناك قصدية فردية فقط يمكن اعتمادها في كل الحالات القصدية، أم هناك قصدية جماعية تسهم في تحديد مختلف الحالات القصدية سواء أكانت عقلية أم لغوية ؟

يقول " سيرل " : " ناقشنا القصدية كما لو كانت بصيغة أقصد أو اعتقد ... إلى غير ذلك ، غير أن هناك شكلا آخر مثير من القصدية بصيغة نقصد أو نعتقد وهكذا"¹

فهو يرى نوعين من القصدية ، قصدية فردية ، وهي قصدية " الأنا " وقصدية جمعية ، وهي قصدية " نحن " ، يقول: " لدى الكثير من أجناس الحيوانات ولدى البشر خاصة القدرة على القصد العقلي والتوجه توجهها جماعيا نحو فهم الأشياء وتمثلها والتعبير عنها، بل إنهم يتشاركون في حالات من القصد العقلي من مثل المعتقدات والرغبات والمقاصد؛ بالإضافة إلى القصد العقلي الفردي ثمة قصد للعقل الجماعي"²

فهناك إذا قصد جمعي يتشارك فيه الأشخاص في بعض الحالات الموجودة في العالم، منوها في الوقت نفسه إمكانية رد القصدية الجمعية إلى القصدية الفردية، يقول: " نتصور أن القصدية الجمعية يمكن ردها إلى القصدية الفردية، ونحن نتصور أن قصدية " نحن " يجب دائما ردها بحيث تقصى في النهاية لصالح قصدية " الأنا " "³

فقصدية الجماعة تحتزل في قصدية الفرد " فيفترضون أنه حيثما يشترك شخصان في قصد جمعي، كما هو الحال حين يحاولان القيام بشيء معا، فإن لكل منهما قصدا بصيغة " أقصد " "⁴

فعادة ما تكون المعتقدات مشتركة، فلو أننا نقصد القيام بشيء ما معا، فمعنى ذلك أني أقصد القيام به، وكل واحد من الجماعة يعتقد لدى الآخر ذلك الاعتقاد.

1 . جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع ، ص 174

2 . جون سيرل : بناء الواقع الاجتماعي ، ص 55

3 . جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع ، ص 175

4 . المرجع نفسه ، ص 175

" فالعامل الحاسم في القصد العقلي الجماعي هو الإحساس بالقيام بفعل مشترك (الرغبة في أمر ما ، أو الاعتقاد فيه ...) بينما نجد أن قصد الوعي الفردي الذي لدى كل واحد منا ، إنما هو مستمد من قصد الوعي الجماعي الذي يتشارك فيه الأفراد"¹

فمثلا لعبة كرة القدم ، أو أداء قطعة موسيقية... فالقصدية الجمعية هي التي تعمل للتوضيح: فمثلا في لعبة كرة القدم، كل لاعب لديه قصد فردي، فالحارس قصده القيام بحراسة المرمى، والدفاع يقوم بالدفاع على المرمى وكل لاعب في الدفاع له قصده الفردي، وكذلك لاعب الهجوم لديه قصد فردي وهو التسجيل، وهذه المقاصد الفردية هي لصالح قصد جمعي وهو فوز الفريق.

وفي الأخير يمكن القول أن " سيرل " انصبت اهتماماته بفلسفة العقل وفلسفة اللغة، ورأى بأن القصدية العقلية هي جوهر وأساس القصدية اللغوية.

4 - القصدية والاشتغال التداولي:

تعد القصدية (Intentionality) النواة المركزية في الجانب التداولي والتخاطبي، إذ تمثل عملية إنتاج الخطاب وكيفية اشتغالها من قبل المتكلم لنقل مقاصده وتوظيفها، لأن فهم الملفوظ يستلزم استنتاج مقاصده المنجزة عليه، لذا فالتداولية " هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم "²، ويتحدد من خلال السياق.

وعلى هذا فلمعرفة دلالات الكلام، لا بد من معرفة ما يقصده وينويه المتكلمون تجاه مستمعيهم، في مقامات معينة، فالتداوليون يرون أن معرفة معاني الكلام تعد من قبيل المحال، إن لم نرجع إلى " ما يكنه وينويه المتكلمون من مقاصد معقدة موجهة نحو مستمعيهم، فالدلالة الخاصة بالألفاظ والعبارات تتعلق من دون شك بالقواعد والاتفاقات المتواضع عليها تعلقا كبيرا، غير أن

¹ . جون سيرل : بناء الواقع الاجتماعي ، ص 56

² . جورج يول : التداولية ، ص 19

الطبيعة العامة لمثل هذه القواعد والتوافقات لا يمكن أن تفهم آخر الأمر إلا بالرجوع إلى قصدية التواصل¹

فدلالة الألفاظ والعبارات لا يمكن أن تفهم إلا بالرجوع إلى القصد التواصلية، ومقام التواصل بين المتكلمين، فالجانب التواصلية يكون رهين القصدية، " وقد ثبت أن الخطابات التي تعرض للتواصل عموما، يكون المقصود من إيرادها قصدا تواصليا، قد يتمثل في إيصال فكرة ما أو التناغم حول قضية ما²

وهذا ما يولد تفاعلا بين القاصد والمؤول في العملية التواصلية، وبذلك يستطيع المتكلم أن يوصل مقصده إلى المخاطب.

فنظرية القصد في بعدها التداولية والتواصلية تعتمد على نوعين:

- **القصد الإخباري:** وهو " ما يقصد إليه المتكلم من حمل لمخاطبه على معرفة معينة، هذه المعرفة التي ليست سوى ما أراد المتكلم من الكلام فكل كلام يحمل في الغالب خيرا مضمونا، وهذا الخبر سواء توحد أو تعدد، إنما يأتي ليبين عن موقف خاص من قضية، فيكون بذلك مفيدا لأمر قد يعرفه المخاطب تذكيرا وتنبها، أو يجهله فيكون تعريفا له وتبصيرا³

وهو وجوب حمل للمخاطب فائدة معينة، يقول الجاحظ: " لا خير في كلام لا يدل على معناه، ولا يشير إلى مغزاه، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعتم⁴

- **القصد التواصلية:** وهو " ما يقصد إليه القائل من حمل لمخاطبه على معرفة قصده الإخباري... ولا يتوقف نجاح التواصل على التلقي الجيد للكلام فحسب، بل عليه (أي على المتلقي) أن يدرك القصد التواصلية للمرسل وأن يتفاعل معه فعليا وإدراكيا بشكل سليم⁵

¹ - إدريس مقبول: في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، مج 28، 2014، ص 1210

² - عبد السلام إسماعيل علوي: تداوليات التأويل، ورد في كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، ص 230

³ - إدريس مقبول: في تداوليات القصد، ص 1212

⁴ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1/ 116

⁵ - إدريس مقبول: في تداوليات القصد، ص 1212

يعني هذا النوع من القصود أن يكون تفاهما بين المتكلم والمخاطب في العملية التواصلية، وهذا ما اصطلح عليه قدماء العربية بالفهم والإفهام، يقول " الجاحظ " : " مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع"¹

1.4 - القصد بين الدلالة والتداول:

سلك مصطلح القصد اتجاهين مختلفين، اتجاه منطري الدلالة واتجاه منطري التداولية*، فلكل اتجاه منطلقاته، وأسسها المعرفية التي ينطلق منها في تحديد المفاهيم، وبالرغم من أن هذا يستفاد من ذلك، فإن الجانب التداولي ينطلق من الجانب اللغوي و" الاختلاف بين التركيب والدلالة من جهة والتداولية من جهة، إنما هو تقابل بين النظام (اللسان) واستعمال هذا النظام"² فالكفاية اللغوية وحدها لا تؤكد ذلك التفاهم بين طرفي الخطاب لذلك فأصحاب هذه النظرية - النظرية الصورية - يرون بأن " القصدية ليست سوى محاولة لعلاج موضوع الدلالة وتأويلها من أضعف جهاتها"³

وكل من الجوانب المعجمية والتركيبية تعطي قصدا لنفسها، وفي الأخير تشكل لنا قصدا كليا، يتوفر على معنى معين.

والجانب اللساني غير كاف لإدراك القصد، والتركيز على المعنى اللغوي في الخطاب، وبذلك " قد يصاغ في تمثيل تدرك معانيه الحرفية، ولكنها غير كافية لإدراك المغزى واستخلاص العبرة وعلى

¹ - الجاحظ : البيان والتبيين، ج1/76

* لم تكن الدراسات اللغوية إلى عهد قريب تفرق بين علم الدلالة وعلم البراغماتية فكلاهما يهتم بالمعنى، ولكن الاختلاف بينهما يمكن رده إلى استخدامين مختلفين للفعل، فعلم الدلالة يهتم بالمعنى كعلاقة زوجية أو ثنائية، والتداولية تهتم بالمعنى كعلاقة ثلاثية، فالمعنى في التداولية له صلة بالمتحدث أو مستخدم اللغة في مقام معين، بينما المعنى في دلالات الألفاظ يعرف على أنه صفة مميزة للتعبيرات في لغة معينة بشكل تجريدي ومنفصل عن المقام أو عن المتحدث أو السامع، فالتداولية دراسة للمعنى من حيث علاقته بمواقف المتحدث ومقاماته، والدلالة هو العلم الذي لا يهتم بالفرد والمتكلم، ولكن يركز بحثه على دراسة خصائص اللغة من ناحية الدلالة والمعنى. منال محمد هشام النجار: نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، ص 18

² - آن رويول جاك موشلار : القاموس الموسوعي ، ص 30

³ - إدريس مقبول: في تداوليات القصد، ص 1210

هذا فإن النص لا يتمظهر في شاكلة واحدة، وإنما في كفيات مختلفة، وراها مقصدية المرسل ومراعاة مقصدية المخاطب والظروف التي يروج فيها النص...¹

لهذا يجب تجاوز قصد المنطوقات الحرفية للخطاب، واستثمار قصد المتكلم ، والمخاطب، والمقام والقرائن الدالة، حتى يكون هناك توافق بين الدلالة الصورية والدلالة المقصودة.

ومؤدى ذلك أن أصحاب الدرس التداولي كما يرى "طه عبد الرحمان" لا يكونون الخطابات بالألفاظ المعجمية والجمل منعزلة عن سياقها، يقول: "فاللفظ المخاطب به سوف يتحدد لا بالمدلول الموضوع له والمحفوظ في المعاجم، وإنما في القصد الذي يكون للمتكلم منه عند النطق به"²

فالعلاقة التخاطبية تتحدد بالقصد الذي يحدده المتكلم عند النطق به، لا بالجانب الصوري أو اللساني.

تأسيسا على ما سبق، يفرق " ليتش " (Letch) بين مقاصد الدلالة والتداول يقول:

" ... فالفرق بينهما أن مجال الدلالة يهتم بالمعنى في ذاته، بغض النظر عن سياقه أو مقامه

والمتحدث به أو المتحدث إليه أو غير ذلك من العناصر التي يتطلبها التخاطب ، في حين تستحضر التداولية لفهم المعنى عنصر المتكلم speaker أو مستعمل اللغة user of language مع ما يقصده من مقاصد"³

فالمتكلم لا يتقيد بالمعنى في ذاته بل ما يقصده لأنه " بدون معرفة المقاصد لا يمكن أن يستدل بكلام المتكلم على ما يريد، لأن المواضعة وإن كانت ضرورية لجعل الكلام مفيدا ، فهي غير كافية إذ لا بد من اعتبار المتكلم أي قصده"⁴

1 - عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب، ص 212

2 - طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 215

3 - إدريس مقبول : تداوليات القصد ، ص 1211

4 - مرتضى كاظم جبار: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني ، ص 107

والمواضعة وحدها غير كافية لإدراك مقاصد المتكلم، وهذا ما يراه " جون سيرل " حيث يقول: " الدلالة شأنها محكوم بالقواعد أو بالمواضعات، فهذا الوصف لا يظهر الترابطات القائمة بين ما نعيه من خلال قول شيء ما " ¹

والدلالة تهتم بالمعنى في ذاته ومن أجل ذاته، مغيبة ومهملة الجوانب الضرورية كالسياق والمتكلم والمتلقي، على عكس التداولية فهي تهتم بالمواضعة والقصد معا، إضافة إلى كل مقتضيات التخاطب.

فشرط القصد جوهري في تحديد الدلالة الحقيقية، وهذا ما بينه " التهانوي " ، يقول " أهل العربية يشترطون القصد في الدلالة فما يفهم من غير قصد المتكلم لا يكون مدلولاً للفظ عندهم، فإن الدلالة عندهم هي فهم المقصود لا فهم المعنى مطلقا، بخلاف المنطقيين، فإنها عندهم فهم المعنى مطلقا ، سواء أَرَادَهُ المتكلم أم لا، فظهر أن الدلالة تتوقف على الإرادة مطلقا مطابقة كانت أو تضمننا أو التزاما " ²

فهنا فرق بين أصحاب المنطق الذين ينظرون إلى المعنى نظرة ثابتة ومطلقة ومدى تعلقها بالقضايا وبين أهل التداولية الذين يرون بأن الدلالة هي فهم مقصود المتكلم، لا فهم المعنى. وعليه فالمقاصد لا تمثلها المواضعة اللغوية فحسب، فالوصول إليها يتم عن طريق مقاصد المتكلمين في العملية التخاطبية وسياقاتها التواصلية.

2.4 - القصدية وقواعد الخطاب:

تضطلع التداولية بالجانب التخاطبي، فهو الذي يعين المتخاطبين على فهم المقاصد اللغوية، انطلاقا من مبادئ ضرورية تسعى إلى ضبط العملية التخاطبية، ومن أهم المبادئ:

¹ - جون سيرل : الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة ، ص 83

² - التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج2/ص 291

- مبدأ التعاون* (maxim de coopération) ، فإذا كان كلامنا متماسكا ، فبحسب

" غرايس " أنه " يكون حتى مرحلة معينة على الأقل حصيلة جهود تعاون "¹

فعلى أطراف الحوار التعاون فيما بينهم لتحقيق المطلوب، ويجب أن يكون الكلام محمدا

ومقصودا

و" تبلغ التفاعلات الحوارية مقاصدها بمقتضى التعاون القائم بين أطراف الحوار، وهو ما يتطلب

أن يكشف المتحاورون عن مقاصدهم أو على الأقل التوجه العام لهذه المقاصد "²

يقتضي هذا المبدأ أن المتحاورين يجب أن يكونوا متعاونين فيما بينهم، لتيسير عملية

التخاطب فيما بينهم للوصول إلى قصد الكلام.

ويصاغ المبدأ التعاوني حسب "غرايس" وفق المبدأ العام فلتتناسب مساهمتك التبادلية مع ما

هو مطلوب منك، عن المستوى الذي تبلغه هذه الأخيرة وعبر الغاية أو المنحى المقبول من التبادل

الكلامي الذي تكون ملتزما فيه "³

وقد عمد إلى تفريعه إلى مجموعة من القواعد :⁴

❖ قاعدة الكم : وتتفرع إلى :

- لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته

- ألا تتوفر مساهمتك على تجاوز أكثر مما هو مطلوب

* تشير " أوريكيوني " إلى هذا المبدأ وترى بان الغاية المنشودة من مبدأ التعاون تكمن في أن نضع نصب أعيننا هدف التوصل

إلى فعالية قصوى في تبادل المعلومات ، ينظر كاترين كيربرات أوريكيوني: المضمرة، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة،

بيروت، ط1، 2008، ص 347

¹ - أوريكيوني : المضمرة، ص 347

² - العياشي أدراوي : الاستلزام الحوارية في التداول اللساني ، ص 98

³ - أوريكيوني : المضمرة ، ص 345

⁴ - ينظر بنعيسى أزييط: مداخلات لسانية، مناهج ونماذج، شركة الطباعة مكناس، المغرب، 2008، ص 59، وينظر

العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية، ص 101، وينظر أوريكيوني: المضمرة، ص 345

❖ قاعدة الكيف :

- لا تقل ما تعلم خطأه

- لا تقل ما ليس عليه دليل

❖ قاعدة الملاءمة او الورود :

- الهدف منها منع المتكلم من الانزلاق إلى مقاصد أخرى ، بمعنى مناسبة المقال للمقام

- اجعل مساهمتك في الحوار واردة

❖ قاعدة الجهة أو الكيفية :الهدف منها تجنب الاضطراب والإيجاز المحل بالقول ،وهي ترتبط

بقاعدة " كن واضحا " تتفرع إلى :

- لتحتزز من الالتباس - تجنب الغموض

- كن موجزا - كن منهجيا (رتب كلامك) .

شكل المبدأ التعاوني وقواعده الفرعية العمود الفقري لنظرية " غرايس " ،فهذه القواعد تجعلنا نبليغ

مقاصدنا في العملية الحوارية، وأي إخلال بها يؤدي إلى فشل هذه العملية.

كما صاغ " طه عبد الرحمان " في مبدأ الصدق في جانبه التهذيبي - الذي استقرأه من

التراث الإسلامي - **قاعدة القصد** التي مؤداها " لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به إلى الغير"¹

ويترتب عليها أمران : أحدهما، وصل المستوى التبليغي بالمستوى التهذيبي للمخاطبة؛

والآخر إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة للقول، أما الأول " هو الوصل بين المستويين التبليغي

والتهذيبي، فإن المتكلم متى تبين حقيقة قصده من قوله، أثمر عنده هذا التبين نتيجتين تقوم

إحدهما في تعيين وظيفة العملية أو قل تحدد مسؤوليته الأخلاقية، وتقوم النتيجة الثانية في صيانة

قوله عن اللغو يجعله يعمل عمله في إفادة المخاطب المعنى المقصود منه، وواضح أن النتيجة الأولى

متعلقة بالجانب التهذيبي والثانية متعلقة بالجانب التبليغي، فإذاً يكون القصد جامعاً لهما جمعاً"²

¹ - طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص 250

² - المرجع نفسه، ص 251

أما إمكان الخروج عن الدلالة الظاهرة " فإذا كان التعويل على القصد، جاز أن يتفاوت مقصود القول مع مضمونه، فلا يتسارع إلى فهم المخاطب، فيحتاج المخاطب إلى الدخول في العمل وتحمل مسؤولية المراد من القول كما تحمله المتكلم في تفقده لقصده، نظرا لأن المتكلم يكون قد بلغه إليه بطريق التلميح، لا بطريق التصريح، فيكون المخاطب بتعقبه بمعونة القرائن المقالية والمقامية التي تتعلق بهذا القول"¹

فقاعدة القصد تأخذ بالعمل بالجانب التهذيبي، سواء من جهة المتكلم أو من جهة المخاطب.

3.4 - الأفعال الإنجازية ومقاصدها التداولية:

يرتبط الفعل الكلامي بالقصد ارتباطا وثيقا، لذلك يعتبر من الشروط الأساسية والجوهرية لنجاحه، وتأويله يكون مشروطا بإدراك المخاطب لطابعه القصدي " فالأفعال اللغوية تعد مبحثا أساسيا لدراسة مقاصد المتكلم ونواياه، فالقصد يحدد الغرض من أي فعل لغوي كما يحدد هدف المرسل إليه من وراء سلسلة الأفعال اللغوية التي يتلفظ بها، وهذا يساعد المتلقي على فهم ما أرسل إليه، ومن ثم يصبح القصد والنية مطلبا أساسيا وشرط من شروط نجاح الفعل اللغوي الذي يجب أن يكون متحققا ودالا على معنى"²

ويكونا القصد شديد الصلة بالفعل الكلامي وخصوصا بالقوة الإنجازية، يقول " زنتسلاف وورزنيك " : " يرتبط الفعل الإنجازي بوصفه فعلا جزئيا لفعل كلامي معقد ارتباطا وثيقا بمقاصد المتكلم، ويحقق المتكلمون بمساعدة اللغة أشد قصودهم، وفي ذلك لا يمكن أن تحدد المقاصد، وأن تحلل على نحو مباشر مثل الأفعال القولية وأفعال التحقق إلى حد ما... إذ يتعلق المعنى في المقام الأول بالجانب الإنجازي للفعل الكلامي المتمم"³

¹ - طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 251

² - نعمان بوقرة : الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، ص 94

³ - زنتسيسلاف وورزنيك : مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص ، ترجمة، سعيد حسن بجيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003، ص 21

ويتوقف القصد على الفعل الإنجازي للمتكلم، وليس على الفعل القولوي أو الفعل التأثيري، وعليه فالمخاطب يحاول فهم القوة الإنجازية المقصودة من الفعل الكلامي الذي ينجزه المتكلم، يقول "أوستن" في هذا الصدد: " وعلى ذلك فإن إنجاز قوة فعل الكلام يتضمن الوصول إضافة إلى سكون النفس واطمئنانها إلى حسن الفهم وتصور الغرض"¹

لذلك فالمؤول يحاول الوصول إلى ما يتضمنه الفعل الإنجازي من معنى وقصد، بشرط أن يكون عارفا بالسياقات التواصلية، وهذا ما يراه " فان دايك " إذ ربط الفعل الإنجازي بمقاصد المشاركين وبالسياقات التواصلية، ومدى تخريجه من قبل المؤول على الوجه الأنسب والصحيح، يقول: " عندما نكون في حال التكلم في بعض السياقات فنحن نقوم أيضا بإنجاز بعض الأفعال المجتمعية، وأغراضنا ومقاصدنا من هذه الأفعال...، وتتغير صورة معرفة المخاطب أثناء التواصل تبعاً لأغراض المتكلم تغييراً ملحوظاً... فنحن عندما نعد أو ننصح، إنما نريد أن يعلم المخاطب بأننا نقدم له وعداً ونسدي له نصحاً، وهذا العلم أو المعرفة هي ثمرة إخراج تاويل صحيح لقوة فعل الكلام"²

وتنجز الأفعال الكلامية بفضل الأغراض والمقاصد التي ينويها المتكلم في العملية التواصلية، وفق سياقات محددة، فالمخاطب أثناء تأويل الفعل الكلامي تتغير صور معرفته تبعاً لمقاصد المتكلم، فمثلاً أثناء الوعد يجب على المخاطب أن يعرف بأن المتكلم يقدم له وعداً وليس شيئاً آخر.

1.3.4 - الفعل الكلامي وقصدية التواصل :

يرتبط الفعل الكلامي بالجانب التواصلية، وهذا يعني أن الأفعال الكلامية أفعال تواصلية فبحسب "سترواسون" (strawson) "الأفعال المتضمنة في القول التي يتحدث عنها أوستن في نظريته أفعال الكلام ليست شيئاً آخر غير أفعال تواصلية بالمعنى الذي يميلنا عليه "غرايس" "³

¹ - جون أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة، ص 147

² - فان دايك: النص والسياق، ص 292

³ - فرانسواز ريكاني: فلسفة اللغة والذهن، ترجمة، الحسين الزاوي، دار ابن النديم، الجزائر، الروافد الثقافية لبنان، ط 1،

وعليه فالمخاطب يحاول إدراك مقاصد الفعل الكلامي الذي تلفظ به المتكلم في العملية التواصلية، يقول "سيرل": "وهكذا فقصد الاتصال هو القصد الذي يتعرف فيه المستمع إلى معناني"¹

فالفعل الإنجازي يخضع لمقصد معين يتم في الحلقة التواصلية بين المتخاطبين " عندما يحصل التأويل لدى المتلقي، فإن ذلك يعني أن الفعل التمريزي لمنطوق المتكلم يجب أن يخضع لمقصد ما يتم به المعنى في حلقة الاتصال بين المتكلم والمتلقي"²

فالمتكلم يقصد التواصل - من خلال فعله الإنجازي - مع مخاطب معين، ولكن هل المخاطب

يفهم القصد الأولي للجملة فقط، أي نطقه للجملة أم أن هناك مقاصد أخرى يفهمها؟

سوف نوضح بمثال ل "سيرل" ، فمثلا متكلما ألمانيا يقول (es regent) إنها تمطر وهو

يعنيها، فيكون أدى فعلا ، الأول أنه قصد أن ينطق بالجملة ،وهو شرط لتحقيق هذا الجزء من

المنطوق، والثاني لم يقصد نطق الجملة فقط ،بل كان يعنيها أيضا ،أي أنها تمطر، ولا يتحقق هذا

المنطوق إلا إذا أمطرت فعلا ، فهو يحق شروط تحقيق على شروط تحقيق ، بمعنى تحقق القصد

الأول والثاني.³

فإذا كان يقصد اتصال بمستمع ما " فيجب أن يكون لديه طرف ثالث لقصده في أداء الفعل

الكلامي،وهو القصد المتمثل في أن المستمع يجب أن يفهم مما يقوله أنها تمطر،غير أن هذا القصد

الثالث ، القصد الاتصالي ،يجب أن يكون قصدا يتعرف عليه المستمع في قصديه الأوليين

،وشروط إشباع الاتصال هي أن المستمع يجب أن يعرف بأنه نطق بالجملة قصدياً"⁴

¹ . جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع ، ص 213

² . عمارة ناصر : الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2009 ،

ص 71

³ . ينظر جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع ، ص 208،209

⁴ . المرجع نفسه ، ص 209

وعلى هذا تتأسس عند سيرل فكرة القصد المزدوج الذي يحمله الملفوظ بوصفه فعلا إنجازيا أي أن "سيرل" يؤسس صيغته لنظرية الأعمال اللغوية على مقولة تعتبر أن لقائل جملة ما مقصدا مزدوجا يتمثل في إبلاغ محتوى جملة والإعلام بهذا المقصد الأول بموجب قواعد تواضعية تتحكم في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة¹

فلا تكون المقاصد الأولية مفهومة بناء على معنى الجملة الحرفي، وهذا ما يجعل المخاطب يقوم بعملية التأويل، فلا يكون القصد الحرفي أو الثانوي إلا وسيلة للتعرف على القصد الحقيقي أو الأولي

وعلى هذا فالمقاصد التواصلية أنواع²:

- أولي: يتجلى في المعتقدات والرغبات التي تكون لدى المتكلم
 - ثانوي: يكون فيما يعرفه المتلقي مقاصد المتكلم
 - ثلاثي: ينعكس في هدف المتكلم الذي يريد أن يجعل المتلقي يعترف بأنه يريد منه جوابا ملائما
- ### 2.3.4 - الملاءمة بين الحالات القصدية والأفعال الكلامية:

تعتبر الحالات القصدية حالات وثيقة الصلة بنظرية الأفعال الكلامية - حسب تصور سيرل - على اعتبارها مشتقة من القصدية الأصلية، لذلك يرى "سيرل" في أننا عند تقديم فعل كلامي ذي مضمون لغوي، نعبر عن حالة قصدية معينة بهذا المضمون اللغوي (القضية) وتعد هذه الحالة القصدية شرطا لصدقية هذا النمط من الفعل الكلامي³

فالحالات القصدية حالات ذهنية تمثل الموضوعات في العالم والأفعال الكلامية تمثل هذه الحالات ويختلف طرق تمثيلها باختلاف الحالات، مع العلم أن هذه الأفعال مشتقة من القصدية الأصلية، فالمخاطب يؤول العبارة الملفوظة، ولا يؤول الحالة القصدية.

¹ - آن روبرول جاك موشلار: التداولية اليوم، ص 54

² - محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناس، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986، ص 164

³ - جون سيرل: القصدية بحث في فلسفة العقل، ص 30

فعبارات مثل الأمر والطلب والوعد والتعهد، لا تطابق العالم الخارجي وإنما تغيره، فهي

تؤدي إلى حدوث تغيرات في العالم لتجعله متطابقاً مع المضمون اللغوي لفعل الكلام.

والسؤال المطروح كيف تتلاءم الحالات القصدية مع الأفعال الكلامية؟ وسوف نركز على ما جاء به "سيرل" في الملاءمة بينهما، وهي كمايلي:¹

- تشكل الإخباريات مثلاً اتجاه ملاءمة أو مطابقة من الكلمة إلى العالم، والحالة القصدية هي الاعتقاد، وتنطوي جميع الإثباتات على اتجاه ملاءمة من الكلمة إلى العالم، وشرط الصدق هو دائماً الاعتقاد.

فإذا كانت العبارة غير صادقة فإن العيب يكمن في العبارة ذاتها وليس في العالم، كذلك بالنسبة للحالات القصدية، فإن أخطأت في اعتقادي فالخطأ يكمن في الاعتقاد وليس في العالم. - ويكون في الأفعال التوجيهية اتجاه ملاءمة من العالم إلى الكلمة، وشرط الصدق هو الرغبة في التوجيهيات والقصد في الوعديات

فإذا لم يتم تنفيذ الأمر أو المحافظة على العهد، فليس العيب في الأمر أو العهد، بل في عالم الشخص العاصي للأمر أو الناقض للعهد، بينما في الحالة القصدية من العالم إلى الكلمة - حين أفضل في تحقيق مقاصدي، أو إشباع رغبتني، لا يمكن تصحيح الموقف لأن الخطأ يكمن في العالم. - لا تشمل الأفعال التعبيرية على اتجاه مطابقة لأن المحتوى الخبري في التعبيرات من الناحية النمطية، ليس له اتجاه ملاءمة لأن حقيقة المحتوى الخبري يسلم بها فحسب.

فإذا اعتذرت عن إهانة وجهتها إليك، أو هنأتك على الجائزة، فهدف فعل الكلام ليس إثبات هذه القضايا أو الأمر بتنفيذ الأفعال، وإنما التعبير عن أسفي أو سعادي لما ورد بمضمون القضية فالتكلم يشعر بالأسف فعلاً عما يتعذر عنه...

¹ - ينظر سيرل : القصدية بحث في فلسفة العقل، ص 28، 29 وينظر سيرل العقل واللغة والمجتمع، ص 217، 218،

- الأفعال التصريحية اتجاه الملاءمة فيها مزدوج لأننا نغير العالم، وهكذا نحقق اتجاه ملاءمة من العالم إلى الكلمة بتمثيله وكأنه تغير، واتجاه ملاءمة من الكلمة إلى العالم...

وهذا غير بعيد عن علماء الأصول الذين ربطوا الفعل الكلامي وملاءمته مع العالم، وذلك أثناء تمييزهم بين ثنائية الخبر والإنشاء، ونجد " السبكي " يفصل في هذه القضية بقوله : " أما الإنشاء ما يحصل مدلوله في الخارج بالكلام ، مثل : أنت طالق ، وقم ، فإن مدلوله من إيقاع الطلاق ، وطلب القيام يحصل به لا بغيره"¹

أما الخبر " حاله خارج صدق أو كذب ، مثل : قام زيد فإن مدلوله أي مضمونه من قيام زيد يحصل بغيره وهو متحمل لأن يكون واقعا في الخارج ، فهو صدقا وغير واقع فيكون هو كذبا"² فالصدق مطابقة لاعتقاد المخبر طابق الخارج أو لا وكذبه عدمها ، فالصدق المطابقة الخارجية مع الاعتقاد ، فإذا فقد فهمه كذب.³

وهذا يتطابق مع " سيرل " بالتحديد في الأقوال الإخبارية، لأن الإخباريات تتطابق مع الاعتقاد وهو الانتقال من الكلمة إلى العالم، فإذا كانت العبارة غير صادقة فهي لا تطابق النسبة الخارجية أي العالم، والإنشاء يتناسب مع النسبة الكلامية، لأن قيام الفعل يحصل به لا بغيره، فإذا لم يحصل أمر مثلا فليس الإشكال في الشخص ولكن في العالم. وفي الأخير يمكن القول أن القصد هو العمود الفقري للفعل الكلامي، وبدونه لا يتحقق لاسيما في العملية التواصلية. وهذا ما تبناه "غرايس" في الفعل اللغوي غير المباشر أو المعنى غير الطبيعي.

¹ - تاج الدين السبكي : جمع الجوامع في أصول الفقه ، علق عليه ، عبد المنعم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط2، 2003 ، ص 63

² - المرجع نفسه ، ص 63

³ - ينظر المرجع نفسه ، ص 64

4.4 - المعنى غير الطبيعي عند غرايس:

اهتم "غرايس" بالأفعال اللغوية غير المباشرة، وصوب أبحاثه حول أصول الحوار، ورأى بأن تعدد الفعل الكلامي لا يشكل حلاً لمشاكل المعنى.

وقد كانت نقطة البدء عند "غرايس" هي أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، وكان هدفه توضيح الفرق بين ما يقال what is said، وما يقصد what is meant، فما يقال هو ما تعنيه الكلمات، وما يقصد هو ما يقصد المتكلم إيصاله إلى المخاطب، ويدخل في دائرة التأويل للوصول إلى المعنى غير المصرح به.¹

وتتمحور نظرية التواصل عند "غرايس" حول ما يخصه بالمعنى غير الطبيعي، أو الدلالة غير الطبيعية، ولتعيين هذا المفهوم، يستعرض مختلف الاستعمالات التي تتقبلها لفظة "meaning" في التداول العادي.

ولتوضيح الفكرة أكثر، يميز "غرايس" بين المعنى الذي يحتمل القصد (المعنى غير الطبيعي)، والذي لا يحتمله (المعنى الطبيعي)

✓ المعنى الطبيعي : ولنسوق الأمثلة التالية :

- الغيوم تعني أو تدل على المطر
- الاحمرار يعني أو يدل على الخجل
- تقطيب الحاجبين يدل على الاستياء

¹ - ينظر محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في اللغوي المعاصر ، ص 33 ، 34

* كلمة " meaning " الإنجليزية قد تؤدي بالعربية بكلمة " معنى " أو بكلمة " دلالة " من دون فرق لكن الاستعمال الشامل لكلمة " meaning " يقرها بالأحرى من كلمة " دلالة " ذات المفهوم العام ، بينما لفظة معنى تميل إلى الاستعمال ذي الطابع القصدية ، ينظر عادل فاحوري : محاضرات في فلسفة اللغة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،

ففي هذه الأمثلة المعنى يكون طبيعياً، لأن الغيوم والاحمرار وتقطيب الحاجبين لم تحدث قصداً من قبل شخص ما للدلالة على المطر والحجل والاستياء على التوالي، فمعناها يعود إلى علاقة عليية بين الدال والمدلول، فكلمة معنى لا تنطوي على القصد اطلاقاً.¹

✓ المعنى غير الطبيعي:

من أمثله كأن يتكلف أحدهم تقطيب حاجبيه ليدل على استيائه، لا شك أن تكون هناك دلالة مقصودة من قبل المتكلم، أو إذا ترك أحدهم بيته مضاءً عند غيابه لإيهام السارق بوجوده، فلا بد لقصد المرسل حتى يتحقق أن يبقى خفياً عن المتلقي، فدراية المتلقي بقصد المتكلم تتضارب مع تحقيق القصد.²

واقترح " غرايس " تعريفاً للمعنى غير الطبيعي بقوله: " أن نقول إن القائل قصد شيئاً من خلال جملة معينة فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا المخاطب لنيته "³

إذن فالمعنى الطبيعي ملزم وثابت لا يتغير، ولا يكون حاملاً لقصد، في حين نجد أن المعنى غير الطبيعي يعتمد على القصد بصورة جوهرية ومحورية، بل هو دعامة في العملية الحوارية. و" لا يكتفي المتلقي بمعرفة القصد العام للمرسل في التواصل وإنما يتطلع إلى تخصيص هذا القصد، كما أن المرسل (المتكلم) بدوره يطمح إلى أن يتعرف المتلقي على هدفه أو قصده من كلامه "⁴

والمقاصد مراتب، فمنها ما هو عام ومنها ما هو خاص، ومنها ما هو صريح وما هو ضمني، بشكل يتيح لنا الكلام عن المقاصد ومقاصد المقاصد " فالآليات التأويلية التي يستخدمها

¹ - ينظر عادل فاحوري: محاضرات في فلسفة اللغة، ص 12

² - ينظر المرجع نفسه، ص نفسها

³ - آن روبول. جاك موشلار: التداولية اليوم، ص 53

⁴ - حسن بدوح: المحاوره مقارنة تداولية، ص 160

المخاطب لإدراك مدلول الخطاب الموجه إليه تقوم على فرضية تنبني على مقاصده، إذ بدونها لن يتمكن من إعطاء تأويل ملائم لما يوجه إليه¹

واعتر " غرايس " أن القصد مركبا ففرعه إلى مقاصد²:

- القصد 1 : قصد المتكلم إبلاغ المخاطب محتوى دلاليا معينا

- القصد 2 : قصده أن يتعرف المخاطب على القصد الأول

- القصد 3 : قصده أن يبلغ المخاطب القصد الأول يتحقق بتعرف المخاطب على القصد الثاني

- القصد 4 : قصد المتكلم أن يتعرف المخاطب على القصد الثاني

فالمقاصد تترتب على شكل قصود ثلاثة " القصد " و " قصد القصد " و " قصد قصد

القصد " وهذا ما نبه إليه " طه عبد الرحمان " حيث ميز بين قصود متراكبة وهي " القصد " و " قصد

القصد " و " قصد قصد القصد " ولا شيء يمنع من ترتيب قصود أخرى عليها تكاد تفوق الحصر

مثل " قصد قصد قصد القصد "³

فبالإضافة إلى القصور الثلاثة فبالإمكان إضافة قصود أخرى حسبه.

5.4 - القصدية وتوجهاتها الحجاجية:

يضطلع الحجاج عامة بخاصية القصد، فالتكلم يتكلم بقصد وهو محاولة التأثير في المتلقي

بواسطة الحجج المعروضة، ومن ثم يقوم المخاطب بدحضها أو قبولها.

فالحجة الموجهة هي دليل تعلقها بالتكلم، والقصد يكون ألصق بها، يقول " طه عبد

الرحمان ": "... ولا عجب إذ ذاك أن نجد اللفظ العربي " حج " يفيد لغة " قصد " فتكون كل حجة

(بضم الحاء) بمثابة (حجة) بفتح الحاء أي تكون قصدا، ولما كانت القصدية هي التي تسند للقول

قيمة الفعل، اتضح أن الوصف الفعلي ممثل بأجلى مظاهره في الحجة الموجهة⁴

1 - حسان الباهي : الحوار ومنهجية التفكير النقدي ، ص 128

2 - ينظر حسان الباهي : نفس المرجع ، ص 128 ، وينظر حسن بدوح : المحاوره مقاربه تداوليه، ص 160 ، 161

3 - طه عبد الرحمان : في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 45

4 - طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص 259

وتصفي القصدية على الحجاج ميزة التوجيه عبر المجال اللغوي الذي تكون فيه القصدية مقرونة بالجانب التخاطبي.

فالهدف من كل عملية حجاجية، هي الإفهام والإقناع، وبذلك يبنى الحجاج على قصد توجيه الكلام لإقناع المخاطب " وللقصد دور في تقنين مسارات النقاش والحجاج بشرط أن يكون المرسل إليه قد فهمه كما يعنيه المرسل، حيث يجب عليه أن لا يتكلم إلا على المقصود من كلامه... وبالتالي فإنه يتحتم اعتباره في مسار الحوار إستراتيجية الإقناع مثلا أو في أي خطاب تناظري أو جدلي " ¹

ويقوم الحجاج على الحجة والنتيجة، وقد تكون النتيجة ظاهرة أو ضمنية، كما تكون الحجة كذلك، بالاستناد طبعا إلى القرائن المقالية والمقامية، وتدعم كل حجة بقصد من المتكلم، ورغم ذلك لا يمكن تحققها إلا إذا علم المخاطب القصد منها " فمقاصد الحجاج تبرز أثناء عرضنا للحجاج، حيث كل حجة تدعم لقصد معين، ومع ذلك فمقاصد الخطاب لا تتحقق إلا بتعرف المخاطب عن القصد من الحجة " ²

وعلى هذا فيجب على المتكلم والمخاطب أن يصوغا الخطاب الحجاجي بما يتبن عليه من مقاصد " ... فمنها القصد إلى إخبار المستمع بالحجة والقصد إلى إخباره بهذا القصد نفسه وهكذا ؛ ومنها القصد إلى إقناع المستمع والقصد إلى تعريف المستمع بهذا القصد الأول وهلم جرا " ³

ويجمع " طه عبد الرحمان " أنواعا من المقاصد الحجاجية - وهي مقاصد مزدوجة - في هذا التعريف يقول : " فكل منطوق به يتوقف وصفه بـ الحجاج على أن يقتزن بقصد مزدوج في تحصيل الناطق لقصد العلم بالشيء ولقصد العمل به معا، فضلا عن تحصيل القصدين المقامين : قصد التوجه وقصد الإفهام، وتحصيل القصدتين الحواريتين ، قصد الإدعاء وقصد الاعتراض " ⁴

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ، ص 187

² - حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص 49

³ - طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص 259

⁴ - المرجع نفسه، ص 231

نستشف من هذا القول مجموعة من الأنواع وهي : قصد العلم بالشيء ،وقصد العمل به وقصد التوجه وقصد الإفهام ،وقصد الإدعاء وقصد الاعتراض.

1.5.4 - القصدية والبلاغة الحجاجية:

لقد تبني أصحاب هذا الاتجاه المطابقة بين البلاغة والحجاج، انطلاقا من فكرة مفادها أن البلاغة الحجاجية تنطلق من قصد لتدعيم الأطروحة، وتغيير فكر المخاطب وليس تضليله، وحمله على تقبل الحجج وفق ما يقصده المتكلم، فهو يحاول الوصول إلى مرام وأهداف حجاجية يحقق من خلالها إذعان المتلقي واستمالته قصد التأثير فيه.¹

وتتضمن البلاغة الجديدة قصدا اقناعيا لتغيير وجهة نظر المخاطب في مجال تواصلية معين، وبهذا فمقوماتها الأساسية - حسب بيرلمان - هي : القصد والمقام والتأويل.

أ - **القصد:** فهو الذي يحسم في تحديد مجال التخاطب ويحدد طبيعة المخاطبين اللذين يستهدف المتكلم التأثير فيهم باحتجائه، وهكذا يمكن أن يتسع مجال المخاطبين، ابتداء من المتكلم نفسه - حين يحاول إقناع نفسه بقضية ما - إلى الناس جميعا حيثما كانوا.²

ب - **المقام:** يشير إلى المقام التواصلية بين المخاطبين، والمعارف الخاصة أو ما يسمى بالحجج المشتركة ، ومن ثم تتغير موجهات الخطاب الحجاجي البلاغي بتغير أنماط مخاطبيه والزمان والمكان...³

يقول "برلمان" : " فوضوح النص أو المفهوم ،لا يكون تحقيقه مضمونا بشكل كلي ،إذا لم نحدد السياق الذي نستطيع أن نؤول فيه "⁴

¹ - ينظر أمينة الدهري : الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ،شركة النشر والتوزيع المدارس ،الدار البيضاء ،ط1 ،2011، ص143

² - ينظر رضوان الرقي: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عالم الفكر، ع2، مج40، ص84

³ - ينظر أمينة الدهري : الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، ص 139

⁴ - عمارة ناصر: الهرمينوطيقا والحجاج مقارنة لتأويلية بول ريكور ، منشورات الاختلاف ،الجزائر ، ط1 ، 2014 ، ص

ج - التأويل: يرى بأن البلاغة الحجاجية عنده تأويلية، مفادها ضرورة الانطلاق من اللغة المرسله في مقام معين، ثم تفكيكها والغوص فيها للوصول إلى مكوناتها الأساسية وعلاقتها بالمتكلمين والمخاطبين.¹

ومن أفكاره الأخرى أنه ربط الحجاج بالصور البلاغية، محاولاً إخراجها من طابعها الجمالي إلى طابعها الحجاجي الإقناعي، وتم تركيزه على الاستعارة الحجاجية لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية.²

والاستعارة هي قول شيء مع قصد قول آخر وبذلك فهي تنطلق من دلالة حرفية إلى أخرى ضمنية، يحاول من خلالها المتكلم تحقيق قصده، والمخاطب يؤول ويفهم هذا القصد في ظروف مقامية تواصلية.

2.5.4 - التفاعل الحجاجي اللغوي وبروز القصدية فيه:

يظهر بأن الحجاج اللغوي - حسب ديكر و أنسكومبر- قوامه القصدية؛ لأن تأويل الملفوظات* نابع من القصد الحجاجي الذي يريد من خلاله المتكلم دعم النتيجة بقصد

¹ - ينظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة : الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 105

² - ينظر جميل حمداوي : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 31

* جعل الدارسون أعمال ديكر ضمن نظرية التلفظ، وموضوع هذه النظرية هو بحث مظاهر التفاعل بين التلفظ والملفوظ، والتلفظ (enonciation) هو تشغيل اللسان بفعل الاستخدام الفردي للغة، ويعرف أيضاً فعل إنتاج ملفوظ من قبل متكلم في وضعية من وضعيات التواصل وهو أيضاً فعل ونشاط لغوي فردي منتج من قبل المتكلم وموجه نحو المستمع، وهو حسب بنفنست : وضع اللغة حيز التنفيذ وهو تفاعل بين المتكلم والمتلقي، أما الملفوظ إنجاز جملة في مقام محدد، فالجملة يكون لها أكثر من قصد في سياقات مختلفة، و الملفوظ يتضمن بعض العناصر التي تؤثر على ظروف وشروط التلفظ به، ينظر في هذين المفه ومين إلى : باتريك شارودو دومنيك مانغونو : معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري، حمادي صمود، منشورات سيناترا، 2008، ص 222، وينظر emil benvenist : problem de linguistique,puf,paris,1966 ,p261، وينظر الراضي رشيد : مظاهر الحجاج اللغوي، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014، ص 29 (الحاشية)

معين. ودراسة الحجاج في الخطاب اللفظي شأن من شؤون التداولية، التي تبرز فيها مكانة القصدية والتأثير والفعالية وبالتالي قيمة ومكانة الذوات المتخاطبة.¹

ويخضع الحجاج اللغوي إلى التفاعل بين المتخاطبين في العملية التواصلية، حيث يكون

للقصدية دور حاسم في التأثير والفعالية التي يحاول من خلالها المتكلم الوصول إلى مقاصده.

وقدما - ديكر و أنسكومبر - مفهوم آخر يتعلق بالجانب القصدية للملفوظات وهو مفهوم

الإرشادات، الذي يقوم على تأويل الملفوظات للبحث على المعنى المقصود داخل الخطاب

" الإرشادات تقدم لأولئك الذين يسعون إلى تأويل ملفوظ معين ليتعين عليهم البحث داخل

الخطاب على عناصر تساعدهم على إعادة بناء المعنى الذي يقصد إليه المتكلم"²

فمثلا إذا تلفظ زيد بملفوظ " الشمس مشرقة " مع عمرو فهو يقصد شيء معين، فهو أولا

ينصرف إلى المكان الذي ينصرف إليه الحديث كمشروق الشمس في الجزائر، وكذلك القصد

الجوهري من هذا التلفظ وهي "أدعوك لمرافقتي في نزهة " مثلا، وتبقى التأويلات مفتوحة.

3.5.4 - تراتبية الحجج (السلم الحجاجي) وتوجيهها القصدية:

تراتبية الحجج تقوم على القوة الحجاجية، ويكون القصد عاملا جوهريا في تحديد المراتب من

الحجة الأضعف إلى الحجة الأقوى، لأن الحجج لا تكون في نفس القوة الحجاجية.

يقول " طه عبد الرحمان " : " قد تدخل المراتب لا على الألفاظ وحدها، بل كذلك على

الجملة فيكون القصد عاملا في تحديد اتجاه المراتب التي تنزلها هذه الجملة؛ مثال ذلك أن يقصد

المتكلم "التوقف عن العمل متى شعر بالملل" وبالأولى " متى غلب عليه النوم "؛ فالقولان " شعر

بالملل " و "غلب على المتكلم النوم " هما بمثابة مرتبتين متفاوتتين بينهما، بموجب القصد الذي

للمتكلم في التوقف عن العمل"³

¹ - ينظر حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، ع1، مج30، 2001 ص 101

² - حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص 134

³ - طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص 275

فهذه التراتبية تقوم وفق سلم حجاجي، يتم توجيه الحجج توجيهها قصديا بحسب المتكلم، فالقصد هو العامل الأساسي في تحديد هذه السلمية، وعليه فالسلم الحجاجي هو " عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية"¹

وذكر شرطين للسلم الحجاجي وهما:²

أ - كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عن ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب - كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه ويقسمه إلى عدة أنواع : قانون الخفض ، وقانون تبديل السلم ، وقانون القلب *

¹ - طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 277

² - المرجع نفسه، ص 277

* للتفصيل أكثر في هذه الأنواع يرجع إلى : أبو بكر العزاوي ، الراضي رشيد ، وطه عبد الرحمان مراجع مذكورة

- خلاصة:

لقد تأكد لدينا من خلال هذه المفاهيم التي أشرنا إليها أن القصدية طبعت بطابع تداولي، وذلك من خلال الملامح التي أوردها علماء العربية القدماء، حيث أنهم توصلوا إلى ما توصل إليه الفكر التداولي الحديث، وذلك أثناء إشارتهم إلى مقصود المتكلم وفائدة السامع، وكذلك ما أورده جون سيرل حين ربط المقاصد العقلية بالمقاصد اللغوية، هذه الأخيرة هي محور الدرس التداولي وبخاصة نظرية أفعال الكلام.

ومن ثم رصدنا العلاقة الموجودة بين القصدية واللسانيات التداولية، فهي أس كل عملية تخاطبية، وذلك من خلال اشتغالها من قبل المتكلم بنقل مقاصده إلى المتلقي في إطار تواصلية، تربطه قواعد التخاطب المختلفة.

الفصل الثالث

التأويل : التداخلات المصطلحية

والمفهومية ومظاهره التداولية

- مقدمة الفصل:

يحاول هذا الفصل الكشف على أهم المفاهيم الأساسية لمصطلح التأويل في الثقافتين العربية والغربية، راصداً أهم المميزات والخصائص والمراحل الحاسمة التي مر بها. ومن ثم ركز على التأويل واشتغاله التداولي منوهاً إلى مفهومه ومظاهره المختلفة كدور السياق في العملية التأويلية، والكفاءات التي يلجأ إليها المؤول لتأويل الخطاب. وفي الأخير تطرقنا إلى الإضمار التداولي وبعده التأويلي من خلال المفاهيم والمميزات والأقسام المحورية التي يقوم عليها.

- مفهوم التأويل وتجلياته عند العرب والغرب:

لقد غدا مصطلح التأويل من المصطلحات المتداولة في شتى ضروب المعرفة الإنسانية، لأن بناء المعرفة تقوم عليه لإنتاج تواصل بين الذات والآخر. وقد تنوعت دلالة مصطلح التأويل بتنوع ثقافة المعرفة الموظف فيها، حيث ورد في الثقافة العربية بدلالات عدة تختلف كثيراً أو قليلاً عن مدلوله في الثقافة الغربية، وفيما يلي بيان ذلك.

1 - التأويل في الثقافة العربية:

إن المتتبع لمصطلح التأويل في الثقافة العربية، يجده قد تواتر بشكل كبير في ساحات معرفية مختلفة، منها القرآن وتفسيراته، وعلم النحو...

1.1 - التأويل لغة:

يعتبر التأويل من الناحية اللغوية ظاهرة لها أهميتها في تاريخ الفكر الإنساني وقد عرفه العرب مبكراً، وهذه بعض المعاني اللغوية في المعاجم.

جاء في لسان العرب قوله: " آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع، وأول إليه الشيء: رجع، وألت عن الشيء: ارتددت..، وأول الكلام وتأوله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره...، آل مآله إيالة، والائتيال: الاصلاح والسياسة، وفي حديث الأحنف: قد بلونا فلانا فلم نجد عنده إيالة"¹ ويرى "جميل صليبيبا" أن التأويل مشتق من الأول وهو في اللغة " الترجيع، تقول أوله إليه رجع"²

ومما جاء في مادة (أول) في معجم مقاييس اللغة لابن فارس قوله: " الهمزة والواو والام

أصلان: ابتداء الأمر، وانتهائه، أما الأول فالأول: وهو مبتدأ الشيء والمؤنث الأولى...، ومن هذا

الباب تأويل الكلام، وهو عاقبته وما يؤول إليه وذلك قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾

الأعراف 53

يقول: ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشوزهم،

¹ - ابن منظور : لسان العرب، ج 32/11

² - جميل صليبيبا : المعجم الفلسفي، ص 234

وقال الأعشى :

على أنها كانت تأول حبتها تأول ربعي السقاب فأصبحا
يريد مرجعه وعاقبته¹

بناء على ما تقدم يمكن حصر مدلول التأويل في المعاجم اللغوية العربية حول معان من
مثل: التفسير، الرجوع والمآل، فهم الكلام من خلال تحديد عاقبته وما يؤول إليه، الإصلاح
والسياسة والتصرف.

2.1 - التأويل في القرآن الكريم:

يحتوي القرآن الكريم على ألفاظ دقيقة معبرة وموحية، ترسخ مفهوم العبادة والهداية، وتبلغ
الحجة إلى مسامع البشر، لذلك وجب على من يريد فهمه إدراك كنه معاني الألفاظ، يقول
"الزركشي": "ولهذا لا يستغني عن قانون عام يعول في تفسيره عليه، ويرجع في تفسيره إليه، من
معرفة مفردات الألفاظ، ومركباتها، وسياقه، وظاهره وباطنه"²

فمعرفة ألفاظه وتركيبها في مساقها المحدد لها، تسهل لنا إدراك خبايا النص الديني، على الرغم
من أنه في بعض الحالات نجد أن اللفظ القرآني يحمل أكثر من دلالة، لم يعهدها أحد قبل نطق
القرآن بها.

ونجد أن النص القرآني قد وردت فيه الكثير من اشتقاقات مادة (أول) منها: آل، أولي،
أول، ألو، آلات...، أما كلمة التأويل فقد وردت سبع عشرة مرة³.

¹ - ابن فارس مقاييس اللغة، ج1/158، 162،

² - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق، أبي الفضل الديمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006 ص15
* سورة يوسف ثماني مرات الآيات ، 6 ، 21، 36، 37، 44، 45، 100، 101، في سورة الكهف مرتين الآية 78،
و82، سورة النساء مرة الآية 59، سورة الإسراء مرة الآية 35، في آل عمران مرتين في الآية 7، في الأعراف مرتين الآية 53،
سورة يونس مرة واحدة الآية 39 ، ينظر محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار المكتبة المصرية،
القاهرة، 1364، ص97

³ - ينظر محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص 97-101.

أما الآية التي أثارَت جدلاً كبيراً بين المفسرين هي الآية السابعة من سورة آل عمران، يقول الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران 7

فموضوعها هو الاختلاف في من يعلم تأويل المتشابه هو الله، أم الراسخون في العلم يعلمون تأويله، يقول " الزركشي " : فالآية من حيث تردد الوقف فيها بين أن يكون على (إلا الله) وبين أن يكون على (والراسخون) بين الاستئناف والعطف ومن ثم ثار الخلاف¹ . فمنهم من رجحها للاستئناف وأن الوقف على (إلا الله) وأن الله هو من يعلم المتشابه وهو ما استأثره من علمه بما لا يعلمون، والراسخون لا يعلمون تأويله، فتكون جملة (آمنا به كل من عند ربنا) استئناف لحال الراسخين في العلم، ومنهم من رجحها للعطف ، وجعل الراسخين في العلم يعلمون تأويله؛ فحمل الواو على العطف في جملة (يقولون) في معنى الحال كأنه قال (والراسخون في العلم) قائلين آمنا، فالتأويل مخصوص ممن وفقهم الله تعالى من عباده العلماء.² فكما نرى أن هناك وجوهاً مختلفة في تفسير هذه الآية - حسب الزركشي - فهي لا تحمل معنى بينا واضحاً، ولا يمكن ترجيح تفسير على الآخر، وعليه يعرف التأويل في القرآن، بقوله: " التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها، وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط"³

فالتأويل هو جهد ذهني يتوافق مع المساقات الكلامية والتداولية، فلا يمكن استنباط مقصديات الخطاب القرآني إلا بالإحالة على ما تحتمله الآية من سابق لها ولاحق لها، وبالتالي تشكل لنا مرجعية قوية غير مخالفة له، تسهل لنا فهم ألفاظه ومعانيه.

¹ - الزركشي : البرهان في علوم القرآن، ص 372

² - ينظر المرجع نفسه، ص 373

³ - المرجع نفسه، ص 417

وهكذا يشترط على القارئ في تفسيره وفهمه لآيات النص القرآني ولوجه عالم التأويل ليستكشف ما انغلق من مقاصده ومعانيه، وبالتالي يصبح حمال أوجه، وتتسع أقسام الفهم، فكان التأويل "صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني"¹

نستطيع أن نفهم بشكل جلي أن التأويل لا غنى عنه في النص القرآني، وهذا ما نفهمه من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لـ "ابن عباس" رضي الله عنهما، بقوله " اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل"²، لقد برع في باب التأويل حتى سمي ترجمان القرآن.

- بين التفسير والتأويل:

ولو تمعنا في الدراسات القرآنية لوجدنا تداخلا بين مصطلح التفسير ومصطلح التأويل، بل حتى في الثقافة العربية يوجد اختلاف في الرؤية والتصور بين هذين المفهومين، وسنستعرض بعضها بما يوافق المطلوب.

يعني التفسير في اللغة معنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسرة، وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب ينظر ليكشف علة المريض، فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وفقهها، كما يكون بحسب اللفظ المشكل، والمعنى الظاهر. أما التأويل كشف ما انغلق من المعنى، ومنه قيل التفسير يتعلق بالرواية والسماع، والتأويل بالدراية والقدرة على الاستنباط.³

فالتفسير يستعمل في مفردات الألفاظ والمعاني الظاهرة، أما التأويل فهو كشف هذه المعاني الظاهرة، وهذا ما أكده "العسكري"، يقول: " الفرق بين التأويل والتفسير، أن التفسير هو الإخبار عن أفراد آحاد الجملة، والتأويل الإخبار بمعنى الكلام، وقيل: التفسير أفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل، والتأويل: الإخبار بغرض المتكلم بكلام، وقيل التأويل: استخراج معنى الكلام لا

¹ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 416

² - السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، - جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق،

مركز الدراسات القومية، ج 2 ص 413

³ - ينظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 416، 417

على ظاهره، بل على وجه يحتمل مجازاً أو حقيقة، ومنه يقال تأويل المتشابه، وتفسير الكلام أفراد آحاد الجملة"¹

يختلف التأويل عن التفسير، بكونه يحدد أغراض ومقاصد المتكلم من الكلام واستخراج المعنى الباطني والمستور منه، أما التفسير فيقتصر على ظاهر الكلام وتفسيره على كونه جملاً مفردة تعطينا بنية كلامية محكمة.

ويوضح لنا " الشريف الجرجاني " هذا الفرق من خلال آية قرآنية، يقول: "...التأويل في الشرع، صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً بالكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُخْرِجِ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ يونس 31، إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلاً"² فهنا نظر إلى التأويل كآلية تنتقل من ظاهر اللفظ المحتمل إلى معنى آخر وهو المرجوح، ويمثل حقيقة قصد المتكلم، وهو مدار التأويل، أما التفسير فهو ما يحمل على ظاهره دون ترجيح معنى آخر.

وهناك من يرى بأن التفسير والتأويل واحد على اعتبار أن " كلاهما يؤدي معنى الإبانة بما تقتضيه ثقافة العصر، وفي هذا نجد كلمة التفسير - في موارد استعمالها - تؤدي الغرض نفسه، الذي تؤديه كلمة التأويل، وذلك لاشتراكهما في تبيان حال ما خفي من باطن النص، وبوصفهما - أيضاً - يتضمنان مقولة الاستدلال والاستنباط، بغرض الوصول إلى التعيين الذي يحصل بالبراهين العقلية القطعية، نظراً لتماثلهما في البحث، وتوحدتهما في الماهية"³ فالتأويل والتفسير يؤديان معنى الإبانة، ومحاولة الكشف على ما خفي من النص عن طريق الاستدلال والاستنباط، بواسطة البراهين العقلية.

¹ - أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، ص 58

² - الشريف الجرجاني : معجم التعريفات، ص 46

³ - عبد القادر فيدوح: نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2005، ص 24

ومما تقدم يمكن القول أن النص القرآني حمل أوجه لذلك يلجأ إلى التأويل كآلية لاستنباط القصد الحقيقي بواسطة القرائن والأدلة اللازمة، كما يوجد مدار خلاف بين مصطلح التأويل والتفسير في أوساط الباحثين، وكل فريق ينطلق من معطيات وحجج تدعم رأيه، وهناك آراء تجمع بين المصطلحين لاستنباط معاني الآيات على اعتبارهما يبحثان في باطن النص. هذا مفهوم التأويل في القرآن، فما دلالاته في علم النحو؟

3.1 - التأويل النحوي:

هو آلية عقلية يعتمدها النحوي لتفسير العلل الطارئة على بعض التراكمات اللغوية الخارجة عن القاعدة العامة، لذلك فتعليقات النحاة ليست إلا " تأويلات وتفسيرات لشرح الظواهر اللغوية تمهيدا لتصنيفها في جدول خاص مع مثيلاتها بهدف الكشف عن نظام اللغة وصولاً إلى حكمة واضعها أو واضعيها"¹

لقد قدم النحاة تعليقات لتأويل وكشف الظواهر اللغوية، وفهم المقصود لمن يعرف عادة الناطقين بها.

ولفظة التأويل في مؤلفات النحو المختلفة " تدور في فلك حمل النص على غير ظاهره، لتصحيح المعنى أو الأصل النحوي"²، وهو التزام بما ورد في التراث من تعريف للتأويل فلا يخرج عن دلالاته. وبالتالي فالتأويل النحوي هو حمل الظواهر اللغوية على غير الظاهر "للتوفيق بين أساليب اللغة وقواعد النحو، وإن شئت قلت بلغة أكثر صراحة: إن التأويل هو تغيير النص المنطوق أو المكتوب على السواء بإضافة اسم أو زيادة فعل أو حرف، وقد يقتضي الأمر وضع جملة كاملة متممة للجملة الواردة في النص"³

يقوم المؤول بالإضافة أو زيادة بعض المحذوفات كالأفعال أو الحروف أو الأسماء إلى العبارة النحوية فتكون متممة للجملة الواردة في النص.

¹ - نصر حامد أبو زيد : إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط7، 2005، ص 188

² - عبد الفتاح أحمد الحموز: التأويل النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض، ج1، ط1، 1984، ص 17

³ - صابر الحباشة: دائرة التأويل ورهانات القراءة، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2008، ص 6

كما جاء في تعريف النحاة للتأويل ومتى يلجأ إليه " إنما يسوغ التأويل إذا كانت الجادة على شيء، ثم جاء شيء يخالف الجادة فيتأول؛ أما إذا كان لغة طائفة من العرب لم يتكلم إلا بها فلا تأويل " ¹، فالجادة ما اشتهر من استقرار كلام العرب، فما كان خارج عن جادتها أو عن استعمالها اللغوية، حمل عن غير ظاهره (تأويله) ليستقيم المعنى. ومن مظاهر التأويل الحذف والتقدير؛ فالحذف يتم بافتراض أبعاد في التركيب غير موجودة، كما يعني إسقاط بعض الصيغ الموجودة في النص سواء بقي التركيب بعد الحذف على ما كان له من إعراب أو تغيرت حركته لتناسب مع وضعه الإعرابي الجديد. ² أما التقدير في التراث النحوي يقال في ثلاث حالات: تقدير الحركة الإعرابية، والثانية تقدير الجملة وما فوقها، والثالث تقدير بعض أجزائها. ³ ومما تقدم ذكره يمكن القول إن التأويل النحوي، لجأ إليه النحاة كآلية لاستخراج واستنباط المعاني المخفية في البنى النحوية بعيدا عن الاستعمالات المألوفة.

2 - مصطلح التأويل عند الغربيين:

أما في الثقافة الغربية فإن المصطلح الشائع والمقابل للتأويل عند العرب هو مصطلح الهرمينوطيقا (Hermeunautics)، فهناك من يرى أن ترجمته عبارة عن إشكالية، لأنه توجد الكثير من النماذج لترجمة هذا المصطلح انطلاقا من رؤية معرفية لكل ناقد. *

¹ - جلال الدين السيوطي: المزهرة في علوم اللغة، تحقيق، محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج1، ص258

² - ينظر علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007، ص247، 248

³ - لطلب تفاصيل أكثر في مفهوم الحذف والتقدير ينظر علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، ص248، وما بعدها * فجاءت متعددة بين " فن التأويل ونظرية التأويل وعلم التأويل وعلم الفهم والتفسير وعلم التفسير والتفسيرية ونظرية التفسير والتأويلية والتأويليات والهرمينوتيك والهرمينوسيت والتأويل، ينظر عبد الغاني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقلي تأويلي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص91

وهناك من يرى أن مصطلح هرمينوطيقا هو أقرب المصطلحات إلى المصطلح الأصل أما " استعمال صيغة هرمينوطيقا فهو أقرب إلى روح الكلمة نفسها، فهناك دوما كلمات أجنبية هي في عداد المتعذر ترجمته (Intraduisible)"¹

ترجع جذور مصطلح الهرمينوطيقا (Hermeneutics) إلى الفعل اليوناني (Hermeneuin) الذي يترجم بالفعل يفسر (Interpret)، وتشير الكلمة (Hhermeinos) إلى كاهنة (Priest) معبد دلفي، ويشير الاسم (Hermenia) إلى الإله هرمس² فهو " الذي كان بحكم وظيفته يتقن لغة الآلهة ويفهم ما يجول بخاطرهم ثم يترجم مقاصدهم وينقلها إلى البشر، ويستطيع فعل ذلك لأنه الفاصل بين تفكير الآلهة وتفكير البشر"³ إذا أمعنا النظر في الوظائف الهرمسية وجدنا أنها توصلنا إلى التأويل.

ويرى الباحثون أن التأويل عند الغرب ليس ظاهرة حديثة إذ يعود إل "أرسطو" حيث يرجع إليه الفضل في إمكانية وجود التأويل في الكلام، وذلك في مبحثه في "الأرغانون" حيث عقد فصلا فيه عنوانه (peri hementias) أي في التأويل، فينظر إلى الخطاب أو العبارة على أنه التحسيد اللغوي للفكر أو الروح ونقل أو ترجمة الفكر إلى كلمات فكلمة (Hermenia) لم تستخدم عند أرسطو إلا في العنوان، وليس هو ذلك العلم الذي يعنى بالبحث عن الدلالات، وإنما هو الدلالة نفسها، دلالة الجملة، دلالة الفعل، دلالة الاسم، ودلالة الخطاب بوجه عام.⁴

¹ - غدامير : فلسفة التأويل، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الإختلاف، الجزائر، ص 29 ص 29
* تقول الأساطير أن هرمس كان لديه خوذة سحرية تجعله خفيا عن الأعين وتمكنه من أن يظهر فجأة وقتما يشاء ، وكان لديه خفان يحمله بسرعة عبر المسافات الطويلة، وعصا سحرية ينيم بها من يشاء ويرقد ... وكذلك يجتاز بين المرئي والمحجوب وبين اليقظة والنام وبين الوعي واللاوعي، إنه الإله الزئبقي ... وهو مرشد الأرواح فهو يعبر الخط الفاصل بين عالم الأحياء وعالم الموتى، ينظر عادل مصطفى فهم الفهم ، مدخل إلى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى كادامر، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص 25(الحاشية)

² - صفاء عبد السلام جعفر : الهرمينوطيقا تفسير الأصل في العمل الفني، دراسة في الأنطولوجيا المعاصرة، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2000، ص 23

³ - عادل مصطفى: فهم الفهم...، ص 24

⁴ - ينظر عبد الغاني بارة : الهرمنوطيقا والفلسفة ، ص 158

وبذلك فالتأويل الأرسطي هو: " كل ما يرسل عن طريق الصوت ويحمل معنى أو دلالة، إذ يكون التأويل، كل ما هو مرتبط بالقول، وعليه يصبح التلفظ بالاسم والفعل تأويلا"¹ ف"أرسطو" في مؤلفه " في التأويل " لم يؤسس للمشروع التأويلي بمعنى الكلمة، فالمعنى بالنسبة إليه يحافظ على المعنى نفسه مهما تعددت الأغراض، وبذلك يبقى جوهر المعرفة منطقي ثابت، و هذا الذي تبناه في منطقته.

1.2 - التأويل والنص المقدس:

ارتبط التأويل بالأصول الدينية ارتباطا وثيقا لاسيما قراءة الكتب المقدسة، وبخاصة الإنجيل حيث واجه المجتمع المسيحي منذ القديم مشكلات تأويلية في الكتاب المقدس لفهم النص الديني، فكان الاعتقاد بوجود معنى خفي ومعنى ظاهر حيث: " يمكن القول بأن النصوص المقدسة تشمل على معنيين، الأول، وهو المعنى الحرفي/ الظاهر، والثاني المعنى المجازي/ الرمزي، وهو المعنى الأساسي الذي به تتحدد هذه النصوص وتبقى فاعلة، لأن المعنى الحرفي يقتل معنى النص، والمجازي يحييه"²، فالنص المقدس يحمل في ثناياه دلالة حرفية وهي تقتل معناه، ودلالة رمزية تحييه وتفعله، يقول "فيلون الاسكندري": " " أنه يجب في أكثر الأحيان وضع دلالة النص الحرفية جانبا لصالح الدلالة الرمزية، واعتبر أن النص لا يتضمن معنى واحدا ولكن عدة معاني"³ بمعنى أنه عندما يتعذر على التأويل الحرفي أو الظاهر تقديم تفسير مقنع للنصوص يلجأ إلى التأويل الرمزي أو المجازي.

وهذا ما نجده عند القديس "أوغسطين" (Augustin) في مؤلفه المشهور " العقيدة المسيحية"، وقامت عملية تفسير النص المقدس عنده على أربعة معان: "المعنى الحرفي وهو الظاهر

¹ - عبد الغاني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة، ص 158

² - المرجع نفسه، ص 162

³ - دافيد جاسبر: مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص 60

الذي يلحق ما حدث وهو الإلتزام بحرفية النص، والمعنى الأخلاقي وهو السلوك المستقاة من النص، والمعنى المجازي ما يجب أن تعتقد والمعنى الباطني أي ما يمكن أن تميل¹

وفي المقابل نجد "مارتن لوثر" (Martin Luther) قد أحدث ثورة هرمينوطيقية

لأنه حاول إخراج النظرية ال تأويلية بعيدا عن عالم الكنيسة، وقواعد وتفسير الكتاب المقدس والقراءات الأربعة له، فرفض القراءة الرمزية المجازية وأقر بضرورة الأخذ بالمعنى الحرفي /الظاهر للكتاب المقدس بمعنى ترك حرية للقارئ في الممارسة الدينية، وهو " إطلاق حرية الإنجيل في التفاعل مع تجربة القارئ الذاتية"²، بمعنى أن القارئ يواجه النص من دون تدخل الكنيسة على اعتبار أن النص المقدس متعدد المعاني وبالتالي يصبح ملك كل إنسان بعيدا عن تقيدات الكهنة، فحاول أن يقدم طرحا مغايرا لتأويل النص الديني.

وكخلاصة مما سبق يمكن القول أن الهرمينوطيقا اعتمدت جوهريا على النص المقدس واعتمدت على معايير لفهمه، المعنى الحرفي والمعنى المجازي والمعنى الأخلاقي والمعنى الباطني مما يبرر لنا القول أن الهرمينوطيقا مثلت أكبر جانب لتأويل النص المقدس من دون استغلال هذه المفاهيم في تأويل نصوص أخرى غير الدينية ؛ بمعنى أن آباء الكنيسة وضعوا التأويل في عالم مظلم معتم بعيدا عن تأويل النصوص الأخرى، رغم ذلك يمكن القول أنها أعال تنم عن تاريخ جديد لهرمينوطيقا حديثة بعيدا عن النصوص الدينية.

2.2 - التأويل عند المحدثين:

لقد كان التأويل في البدايات مقتصرًا على النصوص المقدسة، ليتسع مجاله إلى العلوم الإنسانية، والتي تبحث عن المعاني الكامنة في النصوص من خلال اللغة، لاستكشاف الحقيقة الوجودية التي لا يمكن فصلها عن الإنسان.

1 - عادل مصطفى فهم الفهم مدخل إلى الهرمينوطيقا، ص 83

2 - دافيد جاسبر : مقدمة في الهرمينوطيقا، ص 87

1.2.2 - التأويل اللغوي والسيكولوجي لفهم النص:

لقد تبني هذا التيار الفيلسوف "شليير ماخر" (Friedrich Schleiermacher)، وهو من أعلام النظرية التأويلية الحديثة، وقد انطلق في مشروعه التأويلي من ظاهرة سوء الفهم الذي يولد الفهم الصحيح، يقول ريكور " : " يوجد التأويل حيثما يكون سوء الفهم " ¹، أو تعدد الأفهام للظاهرة الواحدة غير واضحة الحقيقة.

وعليه فإن الفهم عنده هو : " عملية إعادة معاينة للعمليات الذهنية لمؤلف النص، فهي عكس التأليف لأنها تبدأ من تعبير ثابت إلى الحياة الذهنية التي نشأ منها التعبير، إن المتحدث أو المؤلف يبني جملة، وعلى المستمع أن ينفذ إلى داخل بناء الجملة وبناء الفكرة، وبذلك يتكون التأويل من لحظتين متفاعلتين، اللحظة اللغوية واللحظة السيكولوجية " ²

فهو يرى بأن الكاتب عند كتابته لأي جملة /نص يجد نفسه في حوار مع قارئ /مستمع يتلقى هذا النص، فالطرف المتحدث يملك معنى ذهنيا باطنيا يعبر عنه بكلمات أو جمل، والقارئ يبحث عن مقاصده، انطلاقا من فهم ما أنتجه الكاتب، وإذا لم يكن ما أنتجه من جمل أو نصوص إلى أعمال آلية التأويل وهذا ما يطلق عليه التأويل اللغوي، الذي هو "إدراك معنى الخطاب من خلال اللغة " ³، لأن "اللغة هي المشترك بين القارئ وقائل النص ولا بد من الاهتمام بالنص الذي هو وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف إلى القارئ " ⁴

التأويل اللغوي ← علاقة الخطاب باللغة ← نحو اللغة الإحاطة بالأبنية المعجمية والنحوية فالنص وسيط لغوي يتم بين المتكلم والمتلقي، واللغة هي محور عملية الفهم في النص/الخطاب.

¹ - بور ريكور: من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة، حسان بورقيبة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2001، ص 61

² - عادل مصطفى : فهم الفهم مدخل إلى الهرمينوطيقا، ص 99

³ - نبيهة قارة : الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1998، ص48

⁴ - نصر حامد أبو زيد : إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص 17

أما التأويل السيكلوجي فلا يدافع عن منظور معين للأشياء وإدراك معين للغة بل يحاول أن يترجم الأحوال النفسية والخبرة الذهنية لمؤلف النص أي؛ إعادة بناء التفكير الخاص بالمؤلف، والتأويل من هذه الناحية يسعى لفهم المتكلم الذي يعبر عن ذاته من خلال أسلوبه ولغته.¹ التأويل النفسي ← علاقة وثيقة بين الخطاب وفكر المؤلف / المتكلم. ويتم ذلك حين يضع القارئ نفسه مكان المؤلف من أجل معايشة التجارب الذهنية التي كانت سببا في إنتاج النص ، بمعنى إدراك مقاصده ، فمهمة التأويل كما يرى "شلاير ماخر" : " أن يفهم النص كما يفهمه مؤلفه ثم يفهم بشكل أفضل من المؤلف "²، بمعنى أن القارئ يتجاوز فهم المؤلف لذاته في بعض الأحيان.

الفهم
تأويل لغوي ← يدرس الخطاب من خلال اللغة.
تأويل نفسي ← يركز على ماهو خاص بذاتية المؤلف (لا ينظر إلى قول بمعزل عن صاحبه.

ويقنضي التأويل النفسي التأويل اللغوي، لأن الفهم يعرف عن طريق نفسية الكاتب من خلال اللغة.

وأشار "شلاير ماخر" إلى الدائرة الهرمينوطيقية التي تعتبر الفهم عملية إحالية، والأساس فيها هو فهم الكل انطلاقا من الجزء والعكس صحيح.

فالجملة هي وحدة كلية ونحن نفهم معنى الكلمة المفردة داخل الجملة بإحالتها إلى الجملة

الكلية والجملة لا تحقق معناها إلا بمعنى الكلمات المفردة، والنص ينظر إليه من رؤية الكاتب

الفردية وهو جزء من الحياة الفكرية والسياق الثقافي الذي ينحدر منه من خلال هذا التفاعل بين

الجزء والكل ويمنح كل منهما الآخر معناه ومغزاه.³ فلا يتحقق النص إلا بجزئيته، وهو علاقة دائرية

¹ - ينظر نبيهة قارة: الفلسفة والتأويل، ص49، وينظر عادل مصطفى: فهم الفهم، ص99

² - دافيد جاسبر: مقدمة في الهرمينوطيقا، ص 121

³ - ينظر عادل مصطفى: فهم الفهم، مدخل إلى الهرمينوطيقا، ص100، وينظر عبد الغاني بارة، مرجع سابق، ص 183، 182

2.2.2 - التأويل والكيونة (الوجود):

لقد انتقل التأويل من البعد النفسي والإنساني إلى البعد الأنطولوجي والوجودي، و نجد أن الطرح الهايدغري سلط الضوء على الوجود والكيونة فهو يرى (هايدغر) : " أن مركزية الوجود الإنساني هي مركزية الكائن الذي يفهم الكيونة، ويتعين على نظامه ككائن أن يكون لديه فهم أنطولوجي مسبق للكيونة"¹

فهو يؤكد على علاقة الوجود الإنساني بالعالم متجاوزا أستاذه " هسرل " الذي يرى بأن يقارب العالم بغرض كشف عمل الوعي بوصفه ذاتا متعالية.

وعليه لكي نفهم ظواهر العالم الخارجي لابد من فهم أم الظواهر وهي ظاهرة الكيونة، والعنصر الأصيل فيها هو الكائن، والوسيلة الوحيدة لفك رموز الكائن هي اللغة، فاللغة المشار إليها من قبل " هيدغر " باطنية ميتافيزيقية تبطن أكثر مما تظهر، فهذه اللغة الغامضة لغة قابلة للتأويل ولتعدد المعاني.²

فاللغة التي أشار إليها " هيدغر " تعبر عن الكيونة أو الكائن ، والكائن هو دازاين * ، فكأن مشروعه الفينومينولوجي هو تأويل للدازاين، فقد تحول وفق هذا التصور من ابستمولوجيا التأويل إلى أنطولوجيا الفهم، فالتحليل الوجودي للكائن يستحق أن يلقب ب " الأنطولوجيا الأساسية " وقد أعطى " هيدغر " للمنهج الفينومينولوجي مفهوم الهرمينوطيقا الأنطولوجية.³

ويرى حقيقة المرء مع وجوده هو فهم معين ، لما يكونه امتلاء الوجود ، فهو ليس فهما ثابتا بل فهما يتكون تاريخيا متراكما في خبرة مواجهة الظواهر.

¹ - بور ريكور: من النص إلى الفعل، ص 68

² - ينظر جان غراندان : المنهج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، ص 71

* الدازاين (Dasien) هو تعبير ألماني يعني حرفيا الوجود هناك ، وقد استخدمه " هيدغر " عن الوجود الغنساني وهو وجود مدمج في علاقة وجدانية بالأشخاص والأشياء المحيطة بعالم المرء ويطلق عليه " هيدغر " الوجود في العالم لتأكيد الوحدة التامة بين الإنسان والعالم ، ينظر عادل مصطفى ، مرجع سابق ، الحاشية ص 216

³ - ينظر عبد الغاني بارة : الهرمينوطيقا والفلسفة ، ص 208

3.2.2 - حدود التأويل:

انطلقت حدود التأويل مع مشروع " امبرتو أيكو " التأويلي وهو الانفتاح اللامحدود للنصوص، فجعل النص مسرحا لكل التجارب، وبذلك يقسم التأويل إلى قسمين: فالأول التأويل المتناهي وهو الذي يكون فيه التأويل محكوما بمرجعياته وحدوده في الزمان والمكان.

أما الثاني فهو التأويل اللامتناهي الذي يدخل في متاهات غير محدودة بنهاية محددة، فهو لا ينطلق نحو دلالة بعينها ، بل تغدو الإحالات ذاتها هدفا له، بما ينتج اللذة في حركة التأويل المستمرة للبحث عن الإحالة والتي تحيل إلى إحالة أخرى ، فاللذة هي ألا يتوقف النص عن الإحالات ولا ينتهي عند دلالة بعينها.¹

فهو يعتبر النص مفتوحا يحمل قراءات غير منتهية، ويذهب إلى ضرورة غياب ما يعرف بالتأويل النهائي كما فعلت البنية التي ترفض أن يضيف القارئ شيئا من عندياته ويمكن تسميته بالتأويل المغلق، فهو يتيح للمؤول تقديم رؤيته الخاصة ولا يوجد معنى حقيقي لنص ما، فيبقى النص مجالا لتأويلات مختلفة.²

ويرى كذلك بأن التأويل هو : " تفاعل مع نص العالم ، أو تفاعل مع عالم النص عبر إنتاج نصوص أخرى " ³

فالتأويل يقوم على الفهم، ولا تضبطه قيود فهناك نص آخر من خلال قارئه، نجده يربط التأويل بقصدية النص، لا بقصدية المؤلف ولا بقصدية القارئ يقول : " فكل تأويل يعطي لجزئية نصية ما يجب أن يثبتته جزء آخر من النص نفسه وإلا فإن هذا التأويل لا قيمة له ، فالانسجام الداخلي

¹ - ينظر امبرتو أيكو: التأويل بين بورس ودريدا، ترجمة: سعيد بنكراد، مجلة علامات، المغرب، ع 11، 1999، ص 13.11

² - ينظر عبد الغاني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة ، ص 371

³ - قندسي عبد القادر : التأويل بين رهانات الفلسفة وإكراهات اللغة ،ورد ضمن كتاب : اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة

اللغة: إعداد وتقديم مخلوف سيد أحمد منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص 135

للنص هو الرقيب على مسيرات القارئ"¹، فإذا كان وجود لقصدية القارئ فهي لا تخرج عن كلية النص، أي الانسجام الداخلي للنص.

لقد أشرنا إلى بعض المفاهيم النظرية للعملية التأويلية، وتبعنا المراحل الحاسمة التي مر بها، منذ البدايات إلى العصور الحديثة، ولكن رغم ذلك لا يمكن الإمام بكل حيثياته، لأنه يستغرق بحثاً مطولة، وتبقى استفادتنا منه كتنظير للموضوع الذي يشغلنا وهو التأويل في بعده التداولي.

3 - التأويل التداولي مفهومه ومظاهره: (Intepitration pragmatics)

لقد ركزت التداوليات الحديثة على مفهوم التأويل التداولي، الذي يقوم من خلاله المخاطب بتوضيح مقاصد المتكلم الكلية أو الجزئية المفقودة في العملية التواصلية، لأن المتكلم في كل عملية تخاطبية يحتاج إلى مستمع يوظف كل الآليات الذهنية، لإدراك العلامة اللغوية وغير اللغوية لذلك فإن التأويل التداولي عبارة عن "فاعلية ذهنية؛ أي إنه نشاط فكري إنساني يتوقف عليه تشكيل المضمون، وتحسيد الفهم، ويسهم في الإنجاز المعرفي، كما يسهم في عملية التواصل، فهو إجراء يعطي المعنى للأشياء بطرق مختلفة" ² يوظفه المستمع لتحسيد عملية الفهم * لمعرفة مقاصد المتكلم.

ويوظف "أحمد المتوكل" مفهوم التأويل التداولي بقوله: "هو عملية (أو مجموعة العمليات) الذهنية التي يقوم بها المتلقي (مخاطب، مستمع، قارئ...) لإدراك معنى عبارة لغوية ما (نص،

¹ - امبرتو أيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2000، ص 79

² - أحمد كروم: الترجمة والتأويل التداولي، مجلة عالم الفكر، ع 4، مج 41، أبريل 2013، ص 200

* عملية الفهم تكون أسرع، وعملية التأويل تأتي في مرتبة ثانية لتحليل أو معالجة الفهم الحاصل بين المتخاطبين... والفهم هو أيضا الحبل الرابط بين العوالم والعقول، والذاكرات، والتصرفات، والمواقف، والكتابات، والتأويلات، والأقوال، والتفهمات، ويوضح بول ريكور بين الفهم والتفسير والتأويل فيرى بأن الفهم يميل نحو الوحدة القصدية للخطاب، ويميل التفسير نحو البنية التحليلية للنص، والتأويل يحيط بالفهم والتفسير، ينظر عبد السلام عشير: عندما تتواصل نغبر، ص 24، وينظر محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي، مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ضفاف، بيروت، ط 1، 2013، ص 87، 88، وينظر بول ريكور: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ص 121، 122

جملة، جزء جملة...) منجزة في مقام معين ولإدراك معنى العبارة اللغوية، يتوجب بوجه عام الوصول إلى فحوى العبارة ذاتها من جهة و إلى قصد المتلفظ من جهة ثانية¹

ومنه يتحقق التأويل التداولي بفضل مجموعة من الشروط، هي كمايلي:

- العملية الذهنية التي يقوم بها المتلقي لفهم العبارة اللغوية.

- إدراك معنى العبارة في سياق ومقام محدد.

- الوصول إلى قصد المتكلم، وهو المهم بالنسبة إلى المخاطب.

وهذا ما شكل تفاعلا بين القاصد والمؤول في العملية التواصلية، وبذلك يستطيع المتكلم أن يوصل مقصده إلى المخاطب، وفي بعض الأحيان يكون قصد المتكلم مبهما، لأنه في مقامات معينة يبهم أكثر مما يبين " فإذا كان المتكلم واضحا كليا أو جزئيا، يلجأ المخاطب إلى التأويل التداولي، مستعينا بالسياق بشقيه²

فالمتكلم يصرح ببعض مقاصده فقط، ويترك المجال للمخاطب للغوص والبحث عن مقاصد الكلام الكلية، وعليه " تقوم الدراسات القصديّة على البعد التأويلي، وهو تأويل النص وملفوظه باعتباره صادرا عن شخص قد لا يصرح عن مقاصده إلا قليلا، وعلى المحلل في هذا المجال، أن يبحث عن هذه المقاصد في جميع الكلام الذي تلفظ به المتكلم، ثم البحث في مختلف الظروف التي أسهمت في صدور هذا الكلام³

وعلى المخاطب في هذه الحالة أن يكون عارفا بظروف إنتاج الخطاب أو الكلام، حتى يتوصل إلى معرفة ما يقصده المتكلم، ويكون المتكلم مسلما " بأن للملفوظ معنى يجب البحث عنه، وفق قواعد ومبادئ تأويلية، أي وفق الطريقة التي تنتهي به إلى القول: لقد فهمت⁴، وبهذا تكون دائرة

¹ - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، 1995، ص 140

² - محروس بريك: التأويل التداولي في كتاب سيبويه، من كتاب المؤتمر الدولي السادس لقسم النحو والصرف، سيبويه إمام العربية، ج 2، 2010، ص 1045

³ - أحمد كروم: مقاصد اللغة، ص 157

⁴ - عبد السلام إسماعيل علوي: تداوليات التأويل، ص 231

التواصل مكتملة، لأن المؤول قد أدى دوره في الفهم و " لما يحصل الفهم تبطل الحاجة إلى التأويل، وأن التأويل لا يقوم إلا لأجل تحصيل الفهم وإدراك المقاصد " ¹ ، وتلك الغاية الأسمى التي تضطر المتلقي إلى توظيفه.

فالمتكلم يحاول إفهام السامع قصده، والسامع /المخاطب يحاول استنباط وفهم ما يقصده المتكلم لاسيما كان الخطاب صريحا أو مباشرا، لغويا أو غير لغوي، وبهذا فالتداولية " تؤكد دور المعارف غير اللغوية في تأويل الأقوال وفهم المقاصد اعتمادا على الاستدلال" ² والتأويل في مجمله يستند على المبادئ التداولية، إذ " ليست مهمة التداولية الأساسية سوى تأويل القول تأويلا تاما ... ويتمثل جانب من هذه المهمة في اختيار أحد التأويلات " ³ ، بشرط معرفة السياق الذي ورد فيه القول، وذلك لأهمية السياق في عملية تأويل أهداف المتكلم. ويتغير كل من السياق والقصد يتغير معاني وأغراض العبارات اللغوية في السلسلة الكلامية، ومن ثمة فالسياق والمقام لهما دور أساسي في تأويل ومعرفة ما ينويه المتكلم.

1.3 - دور السياق في تأويل المقاصد:

يلعب السياق دورا مهما في تحديد مقاصد الخطاب، إذ لا يمكن تأويل المقاصد، إلا بالإمام به فهو: " عملية شاملة تستدعي كل ما يحيط بالخطاب، من عناصر تساعد على ضبط المعنى، فيستغلها المتكلم باعتبارها آليات تكشف عنه وتسهم في تأويله حتى يستطيع الوصول إلى مبتغاه من مقاصد وأهداف، وتتنوع هذه المقاصد والأهداف حسب تنوع السياقات من لحظة إلى أخرى في مجرى الخطاب " ⁴

¹ - عبد السلام إسماعيل علوي: تداوليات التأويل ص 231

² - آن روبول ، جاك موشلار : التداولية اليوم، ص 264

³ - آن روبول ، جاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية ، ص 133

⁴ - خليفة الميساوي: سلطة الواصلات البراغماتية في فهم الخطاب وتأويله، ورد في كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة،

فلسياق دور مهم في تحديد المعنى والقصد، كما تختلف المقاصد باختلاف السياقات، فلا يمكن لأي خطاب أن يقوم بمعزل عن السياق، ولا يمكن أن يؤول بعيدا عنه " فالقول يؤول اعتمادا على سياق ما، فيكون القول والسياق معا مقدمات عملية التأويل التداولية"¹

القول والخطاب يؤولان اعتمادا على السياق بشقيه، فبواسطته يؤول اللبس وتتم العملية التواصلية بنجاح بين المتخاطبين، وهذا ما يراه "هايمس" (Hayms) حيث يقول: "السياق يضطلع بدور مزدوج، إذ يحصر مجال التأويلات الممكنة ويدعم التأويل المقصود"²

كما يمثل المقام والسياق " مجمل القرائن والأطر التي تنزل فيها التواصل اللغوي، والتي ينعدم استنادا إليها اللبس من بعض الأقوال، وتتحدد إحالة بعضها وتضبط تأويلاتها، وتدقق وتدرك المقاصد المباشرة وغير المباشرة"³

فإدراك المقاصد سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة، يكون بواسطة السياق والمقام، ومن ثم يستطيع المؤول أن يضبطها.

كما يمكن للمخاطب أن يؤول الخطاب وإن كان المتكلم غائبا عنه " كما أن المخاطب حتى ولو لم يكن شاخصا إلى المتكلم ببصره فإنه يتعين عليه فهم وتأويل ما يوجه إليه من خطاب بما ينيه ويفترضه من مكونات مقام إنشاء ذلك الخطاب"⁴

و المقام هو الذي يساعد على تأويل النصوص والخطابات، سواء كان المتكلم حاضرا أو غائبا، لذلك فالغرض الرئيس من الخطاب هو إفادة السامع بحضور المتكلم أو بغيابه، وهذا ما يجعل المخاطب يعجز نوعا ما من الإحاطة بكل حيثيات الخطاب، ولهذا " لا بد من الاستعانة

1 - آن رويول ، جاك موشلار : القاموس الموسوعي للتداولية ، ص 147

2 - إدريس مقبول : البعد التداولي عند سيوييه ، ص 255

3 - آن رويول ، جاك موشلار : التداولية اليوم ، ص 266

4 - إدريس سرحان: التأويل الدلالي التداولي ، ص 153، 154

بالمقتضيات المقامية والسياقية بغرض استخلاص المستلزمات التي تخدم تحقيق المطالب وإدراك المقاصد من الخطاب¹

ومعرفة وضبط مقاصد المتكلم لا تكون عفوية واعتباطية، فيجب دائما المثول أمام السياق والمقام، لأنه يساعد المخاطب على معرفة ما يحتويه الخطاب من مقاصد، ولكن السؤال المطروح:

- هل هناك توافق بين المتكلم والمخاطب في بناء الخطاب؟

- كيف يسهم كل منهما في إنجاز القصد وتأويله؟

2.3 - التوافق بين القاصد والمؤول:

إن المتكلم والمخاطب والقصد والتأويل والمقام، كلها عناصر تؤدي دورا كبيرا في العملية التخاطبية التداولية بما يتحقق نجاحها.

وإذا كان المتكلم يكون قاصدا والمخاطب يكون مؤولا، فكيف يتم التفاهم بينهما لإنجاح

العملية التواصلية؟

يكون التفاهم بين القاصد والمؤول بفضل الاتفاق المسبق بينهما، " ولا يتم الاتفاق بشكل

علني وإنما يتم بطريقة ضمنية و عفوية لدرجة لا ننتبه إليه في مواقفنا التواصلية، فإذا كان تعاقدا

مسبق فإن شرط تحقيق التواصل يكون مضمونا عفويا، كما تساعد التعاقدات على تحقيق التواصل المباشر... وغير المباشر²

وتسهل التعاقدات المسبقة للمؤول فهم مقصود المتكلم، وبالأخص إذا كانت المعارف

مقربة بين الطرفين، كأن ينتميان إلى مجموعة كلامية وعرفية واحدة، أو إلى مجال معرفي مشترك، أو

ينتميان إلى طبقة عمرية واجتماعية واحدة.

1 - حسان الباهي : الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ص 51

2 - عبد السلام إسماعيل علوي : تداوليات التأويل ، ص 232

يقول "فان دايك": "إذا لزم أن يحصل الملاحظ على معلومات مسبقة حول مقاصد الفاعل وأغراضه... كما هو الحال الحاصل بين أقرب الأصدقاء أو بين المرء وزوجه، وبالعكس قد يكون من الصعب أن تقول الأفعال في ثقافات يوجد فيها جزء من المواصفات والاتفاقات مجهولا لنا"¹ إذا حصل المؤول على معلومات مسبقة من القاصد، وترجع إلى الأحوال الاجتماعية بين المتخاطبين، فإذا كانت أقرب كان التأويل أنجح و أنجع، وإذا كانت أبعد كان أعسر وأصعب.

فالمعرفة المشتركة هي أساس وجوهر ذلك التفاهم والتعاقد "فالمعرفة المشتركة أساسا للافتراضات السابقة، حتى أصبح اختيار إستراتيجية الخطاب للتعبير عن القصد الخطوة الأولى عند المرسل في الإنتاج وعند المرسل إليه في التأويل"²

فكل من المتكلم والمخاطب يأخذان بمبدأ التعاون والقوانين التخاطبية، إضافة إلى المعارف المشتركة، فالمتكلم يريدنا أيضا " أن نفهم بأن مقصوده ليس هو المعنى المعروف في الخطاب والذي لامسنا عبثيته وعدم ملاءمته، وإنما هو معنى آخر، وقد حول لنفسه أن يقول مالا يقصد، لأنه على علم بواقع معارفنا المشتركة، وعلى علم بأننا قادرين على اكتناه ما يقصد مما يقال استنادا إلى تلك المعارف"³

والمتكلم في بعض الأحيان يضمن أكثر مما يبين، ويترك المجال للمخاطب ليفتح آليات

التأويل لاستخراج المقاصد المضمرة، وذلك طبعا لتوفر المعارف بينهما.

كما يكون أيضا - المتكلم - هو الحامل للكلام وهو الذي يقيد بعضه عن بعض ولذلك

" فالمتكلم - شخصية وكلاما - هو الذي يوجه المخاطب فيما بينه هذا الأخير من فرضيات لتفسير وتأويل المعنى"⁴

1 - فان دايك : النص والسياق ، ص 247

2 - عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص 182

3 - عبد السلام اسماعيل علوي : تداوليات التأويل ، ص 215

4 - إدريس سرحان : التأويل الدلال التداولي، ص 133

فالمتكلم هو القاصد الحامل للكلام، فهو الذي يوجه المخاطب، والمخاطب يبني مجموعة من المعطيات - وفق المعرفة المشتركة والافتراض المسبق و مبدأ التعاون - لتأويل ما يعني بكلامه. ولا يبني المتكلم الكلام في عزلة عن مخاطبه، بل يفعل ذلك عن طريق بعض الفرضيات والمعطيات المسبقة عن شخصية مخاطبه ، كالجوانب الاجتماعية والثقافية ... وملكاته اللغوية، ومدى استعداده لتأويل العبارات اللغوية لأن العبارة " تتأثر بما دعاه المتكلم من حال المخاطب، يعني بحال المخاطب، المنعكسة في نفس المتكلم وليس حال المخاطب في ذاتها ، فالمخاطب حينئذ يتحول إلى مثير من المثيرات التي تعمل في نفس مبدع الكلام، وبمقدار تأثره بهذا المثير يتضح ذلك على عباراته وأحوال صياغتها"¹

في هذا الصدد يقول "طه عبد الرحمان"² "فما تكلم أحد إلا وأشرك معه المخاطب في إنشاء كلامه، كما لو كان يسمع كلامه بأذن غيره وكان الغير ينطق بلسانه، فيكون بذلك إنشاء الكلام من لدن المتكلم وفهمه من لدن المخاطب عمليتين لا انفصال لإحدهما عن الأخرى؛ وانفراد المتكلم بالسبق الزمني ما كان ليلزم عنه انفراد بتكوين مضمون الكلام، بل ما أن يشرع المتكلم في النطق حتى يقاسمه المخاطب دلالاته؛ لأن هذه الدلالة الخطابية لا تنزل على ألفاظها نزول المعنى على المفردات في المعجم، وإنما تنشأ وتتكاثر ... من خلال العلاقة التخاطبية"²

فالمتكلم أثناء إنشاء الكلام، يقاسمه المخاطب في فهمه، فلا يكون انفصال بينهما، وعليه فالدلالة الخطابية لا تكون بعلاقة اللفظ بالمعنى، ولكن بتقاسم المتكلم والمخاطب هذه الدلالة من خلال العلاقة التخاطبية.

3.3 - المخاطب واختيار التأويل الأنسب:

هناك معضلة أخرى في العملية التأويلية، وهي مدى قدرة المخاطب على الوصول إلى تأويلات تتلاءم مع السياق، ماهو التأويل الذي يختاره المخاطب؟ وعلى أي أساس يختار هذا دون الآخر؟

¹ - إدريس سرحان: التأويل الدلال التداولي، ص 134

² - طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 45

هناك آراء مختلفة في هذا الصدد، فمثلا يرى " سبربر " (sperber) أنه في حالة تعادل عدة تأويلات للخطاب من حيث ملاءمتها، يختار المخاطب التأويل الأفقر إعلاميا، يقول: "إنها قاعدة نابعة من كون المتكلم يعتبر مسؤولا عن أقواله، ولذا فإن هذه المسؤولية لا تكون ثابتة ومؤكدة، إلا عن التأويل الأضعف (لأن المتكلم لا يستطيع التملص منه أو التنكر له)، أي التأويل الذي تكون له نتائج أقل، وهو بالتالي الأقل إعلاميا"¹

فالمؤول يختار التأويل الأضعف والأفقر إعلاميا، ولكن يبقى هذا الطرح فيه نوع من الغموض والالتباس، أما " طه عبد الرحمان " فله رأي آخر إذ يرى بأن " التأويل الذي يختاره المخاطب هو الذي يحقق فائدة، يقول: " قد يستخرج المتعقب من الدليل بمقتضى ألفاظه وأحواله تأويلات متميزة مختلفة فيما بينها، مع العلم أن أولها بالدليل ما كان منها أبلغ في الفائدة"² وقد تتساوى التأويلات في الفائدة بالنسبة للمخاطب، فأى تأويل يختار ؟ يجب " طه عبد الرحمان " عن ذلك بقوله: "... إلا أنه قد يحدث أن تتساوى هذه التأويلات في الفائدة، فيكون أحدهما أفيد باعتبار مخصوص ، والثاني أفيد باعتبار آخر ، والثالث أفيد باعتبار غيره ... ومتى سلمنا بأن ممارسة الدليل مقيدة بالبقاء على توجيه موحد، وهدف مشترك، علمنا أن التأويلات الكثيرة التي يمكن أن يحتملها الدليل تأخذ بفضل مواصلة التخاطب في التساقط والتناقض إلى أن يستقيل واحد منها بالوفاء بالعرض على الوجه الأفضل"³

فهناك تأويلات متساوية في الفائدة، ومن خلال العملية التخاطبية تبدأ بعض التأويلات في التناقض، ثم يستقل التأويل الأفيد للعرض المطلوب.

يمكن القول من خلال ما أشرنا إليه إن الفهم الصحيح والأفيد في العملية التخاطبية، يكون على أساس مجموعة من الكفاءات التي تتوافر لدى المتكلم والمخاطب، فماهي الكفاءات المطلوبة من المؤول حتى يتسنى للخطاب التواصل أن يكون ناجحا؟

¹ - إدريس سرحان : التأويل الدلالي التداولي ، ص 140

² - طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 167

³ - المرجع نفسه، ص 167

4.3 - كفاءات المؤول* :

هناك مجموعة من الكفاءات التي يلجأ إليها المؤول لفهم وتأويل الخطاب، أهمها:

أ - الكفاءة اللسانية :

يجب على المؤول أن يكون عارفاً باللغة المستعملة، وكذلك بالنظام اللغوي، حتى يتسنى له معرفة الخلل الموجود فيه، وكذلك الترابط بين الوحدات اللغوية، وبذلك "تترابط فيه شتى أنواع المكونات المعجمية أو النحوية أو المنطقية أو الأسلوبية (أي معرفة مختلف مجالات اللغة) أو التصنيفية أو الخطابية، أي معرفة القواعد الخاصة بهذا الخطاب أو ذلك"¹

فالمؤول يجب أن "يعلم بأن لكل خاصية تنغيمية معنى خاص، وأن لكل صياغة صرفية معنى معيناً، وأن لكل وحدة صرفية دلالة معجمية، وأن تركيب هذه الوحدات يكون بحسب الأساليب وكل أسلوب له خصائصه"²، وعلى الرغم من ذلك تبقى الكفاءة اللسانية غير كافية للمؤول ما لم تكن مدعومة بالكفاءة التداولية.

ب - الكفاءة التداولية :

تقوم هذه الكفاءة بتزويد المخاطب بالمعارف غير اللغوية، ولا يمكن القول إن خطاب ما يمثل دخلاً للتأويل ما لم يتم التعرف بواقع ورود هذا الخطاب ومعرفتنا بواقع المتكلم، وهي في مجملها معارف متعلقة بـ **سياق الحال**، ويرى الزركشي في هذا المجال أن "دلالة السياق... هو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط نظيره وغالط في مناظرته"³

* فهذه الكفاءات حسب نظرية النحو الوظيفي هي أساس المتخاطبين في العملية التواصلية، ويسمى سيمون دايك " بالملكات، يقول "تتكون القدرة التواصلية المتوافرة لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات وهي: الملكة اللغوية، والملكة المنطقية والملكة المعرفية والملكة الإدراكية والملكة الاجتماعية" ينظر أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 16

¹ - أوريكيوني: المضمرة، ص 284

² - عبد السلام إسماعيل علوي، تداوليات التأويل، ص 217

³ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 200

وإذا كانت الكفاءة اللسانية تساعد على اكتشاف البنية الخطية الأفقية للخطاب، فإن المعارف السياقية تكشف سياق الحال ومقتضيات الخطاب، أما النوع الثاني يتعلق بالكفاءة الموسوعية.

ج - الكفاءة الموسوعية :

يتزود مستعملو اللغة الطبيعية برصيد من المعارف سواء " اشتقت من العبارات اللغوية، أو من معارف مختزلة غير لغوية، تشكل ذلك المخزون الموسوعي التي تناط به مهمة الإدراك بصفة عامة"¹ وترى "أوريكيوني" أن "الكفاءة الموسوعية تمثل باعتبارها خزاناً رحباً يضم معلومات خارجية تعبيرية أدائية تتناول السياق ، أو باعتبارها مجموعة معارف ومعتقدات ، ونظام تمثيلات العالم المرجعي وتأويلاته ، وتقويماته ، ونطلق عليها تبعاً للظروف ، اسم (بديهيات الاعتقاد) و (المعارف الإدراكية) و (المعلومات المسبقة) ... "²

وتفاوت الكفاءة الموسوعية بين الناس، لاسيما في معارفهم أو معلوماتهم، ما يشكل تفاوتاً بين المتكلمين والمتخاطبين، بنسب مختلفة، فالقدرة الموسوعية نسبية إذا ما قورنت باللسانية وسبب ذلك؛ ارتباط القدرة الموسوعية بعوامل خارجية مختلفة لا يتعرض لها كل المتكلمين.³

د - الكفاءة الاستدلالية :

إن غاية التأويل هي البحث عن ملاءمة الخطابات غير الملائمة، فالانتقال من عدم الملاءمة إلى الملاءمة لا يتم إلا بموجب عمليات استدلالية " تتدخل كفاءتنا الاستدلالية للربط بين ما يعرضه المرسل وبين ما توفر لدينا بموجب كفاءتنا اللسانية والتداولية من أجل الوصول أخيراً إلى المعنى المقصود"⁴

¹ - بنعيسى عسو أزييط : الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري (من التجريد إلى التوليد) مستويات البنية

الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج2، ط1، 2012، ص 383

² - أركيوني : المضمّر ، ص 285

³ - ينظر بنعيسى عسو أزييط : الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري ، ج2/ 385

⁴ - عبد السلام إسماعيل علوي : تداوليات التأويل ، ص 219

وتختلف الكفاءة اللسانية والتداولية على الاستدلالية، فاللسانية معيارية، والتداولية معرفية سياقية موسوعية، والاستدلالية عملية منطقية تعتمد على المقدمات والنتائج.

وبناء على ما سبق ترى " أوريكيوني " أن قوام العمل التأويلي في إنشاء تمثيل للقول يتسم بطابعه الدلالي التداولي التواصلي، وذلك بجمع المعلومات المستخرجة من القول بفضل الكفاءة اللسانية فضلا عن المعلومات التي يملكها مسبقا بفضل الكفاءة الموسوعية ، وتتطابق قوانين الخطاب بفضل الكفاءة التداولية التواصلية ، ومع مبادئ المنطق الطبيعي بفضل الكفاءة المنطقية ، فالمتكلم ينتج قولا يكون مراعيًا للأصول على جميع المستويات.¹

5.3 - الإضمار* التداولي وبعده التأويلي:

تولي التداولية اهتماما كبيرا للمضمرات في الخطاب ، لأنه يحتوي جوانب مستورة وضمنية، فالخطاب لا يعتمد التصريح دائما ، بل يجعل المخاطب من خلال عملية التأويل يبحث عن غير المصرح به ، الذي يتلفظه المتكلم بقصد معين، وينكشف من خلال الظروف السياقية والمقامية. وقد وردت مصطلحات للإضمار وهي : *implicite, implicite, implicite* ، وترجع إلى مادة معجمية وهي *implicite* والتي تترجم إلى مادة "ض.م.ر"²

فالمضمرات تمكن من تفهم أدق للآليات التأويلية، فالفهم الشامل للملفوظات يضم فهم مقتضياته، ومضمراته وسائر استلزامياته.³

يبدو أن المضمرات هي الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى الخفي والمستور، لذا فالمتكلم يقول أشياء ويقصد أخرى، تقول " أوريكيوني " : " يقصد من التكلم بشكل بين أن نتحدث عن

¹ . ينظر أركيوني : المضمّر ، ص 541

* وجاء بمعاني مختلفة كالتضمين ، والمسكوت عنه ، الحذف ، الضمنية ، المضمّر ...

² - ينظر بنعيسى عسو أزييط : الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري، ج 1 / 73

³ - ينظر باتريك شارودو. دومنيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 298

أمر ما، في حين يراد من التحدث بشكل مضمّر أن نوحى لأحد الأشخاص بالتفكير في أمر ما¹

ويقوم المخاطب . استنادا إلى العمليات الذهنية . إلى تأويل القضايا المضمرة استنادا إلى سياق التلفظ ، تقول " أوريكيوني " : " المضمّرات هي المعلومات القابلة للنقل عبر قول معين، والتي يبقى تفعيلها خاضعا لبعض خاصيات السياق التعبيري الأدائي (وقد تتضمن جملة من مثل: (إنها الساعة الثامنة) فبحسب ظروف فعل قولها معنى (أسرع) أو (لا تستعجل) هذا ويتطلب فك شفرتها حسابا تأويليا²

فالإضمار هو عدم التصريح بالقول، وبفضل التأويل التداولي والظروف السياقية، يتمكن المؤول من حل شفرة معاني هذا القول.

ويوجز " طه عبد الرحمان " مفهوم المضمّر بقوله هو " وضع مصطلح الإضمار للتعبير عن معنى عدم التصريح المتعلق بالدليل فليل معنى مضمّر وقضية مضمرة³

واستعملت مصطلحات مرادفة للمضمّر، فجاء بمعنى الحذف والذي لا يساوي التقدير، والترك الذي لا يساوي الذكر، والاستتار الذي لا يساوي الظهور* .

1 - أركيوني : المضمّر ، ص 40

2 - المرجع نفسه، ص 74

3 - طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 146

* - الإضمار والحذف: يقال " كل مضمّر محذوف " باعتبار الحذف هو إسقاط الكلام إن جزءا أو كلا، ولا يقال " كل محذوف مضمّر " فقد يحذف المتكلم من كلامه ما لا يعلم به، بينما الإضمار حذف لما هو معلوم للمستدل، فيسأل عما أضمر (فالإضمار حذف لا عن جهل، بل حذف يطالب فاعله بإثباته).

- الإضمار والترك: (كل مضمّر متروك) فالترك إهمال لبعض الكلام، ولا يقال (كل متروك مضمّر) فقد يترك المتكلم من كلامه ما هو غافل عنه، ولما كان المتكلم غافلا عما ترك، فقد خلا فعله من الاستفادة، أما الإضمار هو ترك يستثمره المستدل لفائدة الدليل، فهو ترك لا عن غفلة بل ترك مستفاد منه.

- الإضمار والاستتار: (كل مضمّر مستتر)، فالاستتار هو اختفاء جزء من الكلام أو كله ولا يقال (كل مستتر مضمّر) فقد يقع اللفظ مستترا في كلام المتكلم من غير أن يقصد إلى ستره، فالإضمار هو الاستتار الذي تعرف من المتكلم الإرادة له، ينظر طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 146، 147

والدلالة المضمرة تكون كمايلي:¹

- الدلالة المضمرة التي للمتكلم القصد في إرسالها
- الدلالة المضمرة التي يمكن للعبارة أن تحملها من غير أن يكون للمتكلم القصد في إرسالها والأولى على ضريين :
- الدلالة المضمرة القصدية الضرورية لصدق العبارة وهي الاقتضاء
- الدلالة المضمرة القصدية غير الضرورية لصدق العبارة يطلق عليها المفهوم وهي المستنبطة من المعنى الحرفي.

1.5.3 - أسباب الإضمار:²

- الاحتراز عن التطويل حتى لا يتعب المخاطب في تحصيل المطلوب
- الاقتصاد في التعبير أو الميل إلى الإيجاز
- اعتقاد المتكلم بأن المخاطب عالم بالمعنى المضمّر، وبإمكانه أن يستدل عليه ، فيضمّر ما علمه المخاطب ويظهر ما جهله ، حتى إذا تعاطى لإظهار ما علم المستمع ، ذهب هذا الأخير إلى افتراض أن للمتكلم قصداً مخصوصاً لا يدل عليه صريح اللفظ.

2.5.3 - مميزات الإضمار التداولي:³

- يتميز الإضمار التداولي بمميزات نذكرها كمايلي :
- ينطلق المعنى المضمّر من السياق، فالملفوظات في السياقات المختلفة ليس لها إلا تأويل واحد
- لا بد من معرفة مسلك لتأويل في بيان أن المتكلم يتضمن ضميراً، وأن مضمون مقدماته المصرح بها هو كذا، ومضمون نتيجة هو كذا، لأن الكلام حمال لوجه، ولو بدا ظاهر المعنى، لأن الظاهر لا ينفي الاحتمال، فيتعين ضبط قوانين التأويل لنتمكن من تطبيق نظريتنا في الدليل.

¹ - بنعيسى أزييط: الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري، ج1/ 102

² - بنعيسى أزييط : مداخلات لسانية، ص 28

³ - ينظر بنعيسى أزييط: الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري ، ج1/121، وينظر طه عبد الرحمان : اللسان

والميزان، ص163، 165

- لا يجب أن تكون الملفوظات قابلة لأن تحمل مضمرات دون أن تكون هذه المضمرات محط انتقاد من طرف المخاطبين، فهي تقنية بلاغية... تسمح للمتكلم أن يقول وأن لا يقول بمعنى أنها تسمح بالفهم والاستنتاج مع المحافظة على المعنى الحرفي للعبارة المنطوق بها.

- كل مضمر مسكوت عنه يقوم بتأويله المخاطب، فللمخاطب أن يسأل المتكلم عما يقصده بقوله.

- هناك قواعد تضبط الممارسات الإضمارية التداولية ومنها :

__ لا تقل ما لا يفيدك ولا يفيد غيرك.

__ لا تقول غيرك ما لم يقل.

__ لا عبرة بإضمارك عند وجود تصريحك.

__ لا ينسب لك قول ما لم تتكلم.

فهذه بعض المميزات الإضمارية التداولية التي تختلف عن الإضمارات الدلالية ، والتي تهتم بالقواعد التي تحدد ألفاظ الدليل ، مثلا : زيد أعلم من عمر وعمرو أعلم من بكر ، فزيد أعلم من بكر.

3.5.3 - أقسام الإضمار :

يقسم الإضمار إلى : مضمرات مفهومية ، ومضمرات اقتضائية ، ومضمرات قضائية

1 - المضمرات المفهومية *

فحد المضمر المفهومي " أنه لازم من لوازم المصرح به من الدليل التي تقبل الإلغاء ، بحيث لا يلزم عن اجتماع نقيضها بالمصرح به كذب ولا بالأولى لغو"¹

* ورد مصطلح المفهوم عند الاصوليين ، يعرفه الآمدي بقوله " فهو ما فهم من اللفظ في غير محل النطق ؛ والمنطوق وإن كان مفهوما من اللفظ ، غير أنه لما كان مفهوما من دلالة اللفظ نطقا خص باسم المنطوق ، وبقي ما عداه معرفا بالمعنى العام المشترك، ينظر علي بن محمد الآمدي : الإحكام في أصول الأحكام، علق عليه وصححه: عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعة للنشر، المملكة العربية السعودية ج1، ط 1 ، 2003 ، ص 84

¹ - طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، ص 153

ويقدم "طه عبد الرحمان" مثالا: لو قال قائل (بعض المسكرات حرام) ومقصوده (ليست كل المسكرات حرام) واعترض معترضا (لا أسلم بأن بعض المسكرات حرام والنص وارد بتحريمها كلها) فيعترض بقوله بعض المسكرات ، بل كلها حرام.
وهو ينقسم إلى قسمين: ما يسمى مفهوم الموافقة، وما يسمى مفهوم المخالفة.

أ - في مفهوم الموافقة:

وهو " ما يكون اللفظ في محل السكوت موافقا لمدلوله في محل النطق، ويسمى أيضا فحوى الخطاب "1

ومثاله: تحريم شتم الوالدين، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلْعَنَ عِنْدَكَ الْكَبِيرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾²، فإن الحكم المفهوم من اللفظ في محل السكوت موافق لحكم المفهوم في محل النطق " فالمتقصد إنما هو كف الأذى عن الوالدين، وأن الأذى في الشتم والضرب، أشد من التأفيف "3

وبذلك يكون اعتقاد المتخاطبين في مقام غيره، أي ليس في نفس المقام، نفس مقام السكوت، ولكن في مقام النطق وبذلك يكونان متوافقين.

وعليه " فلا تقل لهما أف " تلزم عنها مجموعة من المضمرات التالية:

- لا تشتمهما ، - لا تقتلها ، - لا تأذيها إلى غير ذلك من الأقوال المضمرة.

ب - في مفهوم المخالفة:

فهو " ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفا لمدلوله في محل النطق، ويسمى دليل الخطاب أيضا "4

1 - الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ج 1 / 84

2 - الإسراء 23

3 - الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، 85

4 - الآمدي: المرجع نفسه، ص 88

فهو مخالفاً للأول لأن مدلول اللفظ في السكوت ليس نفسه في النطق، ويرتكز على مفهوم التخصيص الذي هو " نفي مثل حكم المنطوق في محل السكوت وذلك مما لا يعلم من مجرد تخصيص محل النطق بالذكر دون نظر عقلي يتحقق به أن التخصيص للتأكيد أو النفي...¹ فدلالة التخصيص تنقسم إلى قسمين:

- دلالة القصر على الذات : مثل الله إله ، فالمضمرة المفهومية بمفهوم المخالفة يستلزم الله وحده إله أو ليس غير الله إله ، أو لا إله إلا الله تتضمن النفي والحصر
- دلالة القصر على الصفة : مثل الخمر رجس ، فالمضمرة المفهومية بالمخالفة يستلزم الخمر رجس لا غير.

2 - المضمرة الاقتضائية :

يتمظهر الاقتضاء بطابع لا قولي - حسب ديكرو - فالمتكلم يقدم الاقتضاء على أنه جانب مشترك بينه وبين المخاطب ، وبما أنه مشترك بين المتخاطبين ، فلا يمكن من ثمة إلا قبوله ، وهنا يبرز الجانب الأساسي للاقتضاء وهو إطار تندرج فيه المحادثة.²

فمثلاً : - كف زيد عن التدخين

- زيد لا يدخن الآن ،

- المقتضى : كان زيد يدخن

ويرى " ديكرو " أن بنيتا النفي والاستفهام لا يغيران محتواها القضوي.

- هل كف زيد عن التدخين ؟

- هل زيد لا يدخن الآن ؟

- المقتضى : كان زيد يدخن.³

¹ - الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ص90

² - ينظر شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ورد في كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص373

³ - ينظر المرجع نفسه، ص272

فالاقتضاء يكون في البنية اللغوية، ويبدو جليا أن هناك تداخلا بين الاقتضاء والافتراض المسبق* على اعتبار هذا الأخير له أهمية بالغة في المجال التخاطبي لأنه لا يمكن التواصل مع المخاطب إلا بافتراض مسبق ينطلق منه الكلام، وعلى هذا فالافتراض المسبق هو ما يقتضيه اللفظ مسبقا، وهناك من يفرق بينهما، على اعتبار أن الاقتضاء يؤدي إلى نتيجة مختلفة ففي قولك "أرى حصانا" كاذبا فإن مفهوم الاقتضاء يوجب أن يكون قولك أرى حيوانا إما صادقا أو كاذبا، أما الافتراض المسبق يقتضي أنه إذا كانت الجملة الأولى كاذبة فالثانية تكون صادقة كقولك "توقف زيد عن ضرب عمرو" تفترض أن زيد كان يضرب عمرو، فالجملة صادقة وإن كذبت الأولى.¹

* فالافتراض المسبق (presupposition) : هو شيء يسبق التفوه بالكلام، أي أنه موجود عند المتكلمين وليس في الجمل، وحسب "أركيوني" الافتراضات هي تلك التي لا تشكل مبدئيا موضوع الخطاب الكلامي، تنتج تلقائيا من صياغة القول التي تكون مدونة فيه بشكل جوهري وتكون الافتراضات من حيث المبدأ منعدمة السياق. ويقوم الافتراض على الاستدلال، أي صدق المفترض والمقدر عن صدق القضية التي تستدعي الافتراض، والافتراض لا يزول بنفي القضية (وهو نفسه الاقتضاء وقدمنا أمثلة في المتن).

- ومن صفاته أنه يرتبط بالصورة اللغوية، وليس بالمعنى، فهو قابل للانفكاك.

- ومن أنواعه الجوهرية :

— أنه وجودي، وتكون واقعية عند وجودها في سياقات المتكلمين ولا يكون في تراكيب التملك فقط، وإنما في أي عبارة اسمية، مثل: نحن نادمون لأننا أخبرناه تفترض أخبرناه.

— افتراض مسبق غير واقعي: والذي تفترض عدم صحته، مثل: حلمت أنني ثري تفترض لست ثريا.

— افتراض مسبق تداولي: وهو كل المعلومات التي ينقلها القول والتي تتعلق بشروط النجاح، وأطلق عليها "سيرل" شروط نجاح الفعل الكلامي. فمثلا: اغلق النافذة، تفترض أن النافذة مفتوحة، ويكون هناك متكلم، ويمثل للأمر، وغير ذلك، وهي شروط جوهرية، ويمكن القول أنها من الأمور المنطقية التي يجب أن تتوفر، وقد سبق الإشارة إليها في هذا البحث، ينظر في هذه المفاهيم إلى: جورج يول: التداولية، ص 51، 54، 55، 56، وينظر أركيوني: المضمرة، ص 48، 49، 70،

وينظر عادل فاخوري: محاضرات في فلسفة اللغة، ص 70

¹ - ينظر محمود أحمد نحلة آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 30

3 - المضمرات القضائية :

حد المضمر القضائي " أنه لازم من لوازم الجانب المصرح به من الدليل التي لا تقبل الإلغاء، ويفضي إلغاؤها إلى التناقض"¹

مثاله : المسكر حرام يتضمن النيذ حرام، فلو أنكر القائل هذا المعنى : المسكر حرام، لكن النيذ ليس حراما، فهنا يفقد الصدق ولا يكون لغوا، بل تناقضا.

ويظهر من خلال هذه النظرة البسيطة أن الإضمار له صلة وثيقة بالتأويل التداولي، لأنه يبحث عن المخفي والمستور من خلال العملية التواصلية التفاعلية.

4 - التكميل :

يعتبر التكميل من مظاهر التأويل التداولي " لاعتماده على السياق في الوصول إلى معنى الكلام"²

فالتكميل يحدد الكلام المحذوف الذي يوضح قصد المتكلم مستندا على الأبعاد السياقية والمقامية، فهو يتحقق على المستوى التركيبي للوصول إلى المستوى التداولي، يرى " روبرت " أن " المتكلم العادي لا ينطق جملا تامة - في كل الأحوال - إنما ينطق بطريقة روتينية كلمات أو عبارات أو جملا ناقصة، وهو بذلك ينجز كلاما مفهوما ... ويقترح إكمال تلك الجمل من خلال المؤشرات السياقية الثابتة"³

فلو مثلا قالت الأم لطفلها إلى غرفة نومك، فهنا يكون التكميل بناء على سياق الحال بالإضافة إلى المعرفة المشتركة، فهنا المعرفة المشتركة بينهما مقربة وبالتالي تسهل عملية التأويل فهنا يوجد حذف، وعلى المتلقي تكميله، من خلال السياق والقصد وهو مثلا (لقد سهرت طويلا) وكذلك يوجد حذف فعل الأمر...

¹ - طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 156

² - محروس بريك: التأويل التداولي في كتاب سيبويه، ص 1048

³ . p26 Robert j : The pragmatics of non sentences نقلا عن المرجع نفسه، ص 1049

5 - التوسيع:

يعني التوسيع تقدير المحذوف على المستوى الدلالي، دون المستوى التركيبي، ويلجأ المتلقي إلى نوعين¹:

- الجمل التي تحتوي على حذف واجب.
- الجمل التامة التي يراد من ورائها معنى آخر أكثر اتساعا من معناها اللغوي وهو المعنى التداولي ويعتمد التوسيع على المعرفة المشتركة والافتراضات المسبقة والبعد المقامي، فمثلا: لو قال أحد سأكون في البيت في وقت متأخر؛ أي في وقت متأخر من هذه الليلة دون سواها. أو طفل يبكي لأذى أصابه، تقول له إنك لن تموت، فالقصد ليس أنه لن يموت أبدا، ولكن لن يموت بسبب ذلك الأذى.

ففي الجملتين لا تقصد ما تقوله حرفيا، وإنما تقول شيئا وتريد شيئا آخر موافقا للمقام والمعرفة المشتركة، فالمراد منهما قصدهما التداولي وليس معناهما الحرفي.

6 - التضمين:

فالتضمين يتحدد بالاضمار وبالمعاني غير المباشرة " يعني المتكلم شيئا فيما وراء الجملة، دون اللجوء إلى تقدير محذوف بعينه، ودون لجوء إلى التعبيرات المجازي؛ فعندما تكون المعاني مستنتجة من المعلومات الصريحة المنطوقة، فنحن نتحدث عما هو مضمّر أو ضمني أكثر مما نتحدث عما هو غير مكتمل²

فمثلا في الجملتين:

- معطفك على الأرض (احمل معطفك)
- زيد سينجز الامتحان يوم السبت (لن أستطيع تلبية دعوة الغداء)

¹ - محروس بريك: التأويل التداولي...، ص 1054

² - المرجع نفسه، ص 1061

فالمعنى الدلالي خارج السياق هو إجبار، أما في سياقهما التداولي يتضمنان التنبيه من ناحية والاعتذار من ناحية أخرى.

خلاصة الفصل:

من خلال المفاهيم التي أشرنا إليها في هذا الفصل خالصنا إلى أن التأويل من المصطلحات الشائعة في ضروب المعرفة الإنسانية، وقد تنوعت دلالاته بتنوع الحقول المعرفية التي يشغلها. وجدنا بأن التأويل في القرآن الكريم يتوافق مع السياق التداولي، لأنه لا يمكن استنباط قصد الخطاب القرآني إلا بالإحالة إلى ما تحمله الآية من سابق لها ولاحق. يقوم التأويل النحوي على استخراج المعنى الخفي بعيدا عن الاستعمالات المألوفة في التركيب.

مثلت الهرمينوطيقا أكبر جانب لتأويل النصوص، لاسيما أكانت دينية أم غيرها. وقد استفدنا من هذه المراحل للتنظير للتأويل التداولي، الذي يتوافق معها إلى حد كبير. ركزت التداوليات الحديثة على التأويل التداولي، لأن المخاطب يحاول توضيح مقاصد المتكلم المفقودة في العملية التواصلية من خلال السياق والافتراض والمسبق والمعرفة المشتركة بينهما (بين المتكلم والمخاطب)، كما يقوم المضمرة التداولي كذلك على البعد التأويلي لاحتوائه على جوانب مخفية في الخطاب، لأنه يجعل المخاطب يبحث عن غير المصرح به.

الباب الثاني

مظاهر وآليات القصد والتأويل

التداولية في الخطب الأموية

الفصل الأول

مظاهر القصد والتأويل التداولية

في الخطب السياسية

- مقدمة الفصل:

يهدف هذا الفصل إلى تطبيق مظاهر القصد والتأويل التداولية على الخطب السياسية في العصر الأموي، وقد اخترنا بعض النماذج من الخطب لما تحمله من مظاهر تداولية تجسد فيها عنصري القصد والتأويل في جوانبها السياسية المختلفة.

وقد استهل الفصل تحديد بعض الحالات القصدية العقلية الموجودة في الخطب، كقصدية الصمت، والرغبة...، ومدى لجوء الخطيب لمثل هذه الحالات.

ثم تطرقنا إلى قصدية الافتتاح في الخطب باعتبارها شرطاً جوهرياً يلجأ إليها الخطيب، وبعد ذلك تطرقنا إلى الأداء اللفظي وغرض الخطيب من استعماله، ومن ثم تناولنا قصدية التكرار وبعده التأويلي.

كما حددنا إنجاز القصد في الرابط " الواو " ، ثم قصدية الفعل الكلامي وتأويلاته المختلفة والمتباينة.

تمهيد:

يمكن اعتبار القصد والتأويل آليتين تشكلان أبعادا خطابية تداولية، توفر للخطب كل المقتضيات التي يقصدها الخطيب من خطبه في مجال تواصله معين. ويستعمل الخطيب مجموعة من الأدوات يوظفها لتحقيق مقاصده، والجمهور المتلقي يؤول هذه المقاصد وفقا لمقتضيات الأحوال.

لذا وفرت الخطابة السياسية كل المقتضيات المقصدية التي يحاول كل خطيب أن يجسد بها الواقع قصد بلوغ هدف معين، على اعتبار أن النموذج السياسي بدا من أكثر المواد انتشارا وذيوعا لاشتداد صور الصراع الحزبي...، الأمر الذي انتهى بالخطبة السياسية إلى أن تشق طريقها من واقع مواقف جديدة تعد وليدة نظام الحكم الأموي وكان من هؤلاء " كبار الولاة والقادة ممن أسهموا في ضمان الأمن والاستقرار للحكم الأموي، وعرف بعضهم بعنفه وشراسته وقسوته مع الرعية، خاصة مع الأحزاب المعارضة للخلافة الأموية"¹

لقد امتاز عصر الخلافة الأموية بظهور معارضة حادة لها من قبل الخوارج والشيعة والزييريين، وهي معارضة تقوم على منازعة الخلافة، فكان كل حزب يروج لمبادئه على حساب إظهار فساد عقيدة الأحزاب الأخرى...، وبذلك انتشرت الخطابة السياسية في كل مكان وعلى كل لسان. فكان لبني أمية خطباؤهم، وكان للأحزاب الأخرى خطباء.

ولأن لهذه الخطب مجموعة من الخصائص الفنية والتداولية نسعى إلى تحليل بعض النماذج، بالاعتماد على بعض الآليات المقصدية عند الغرب وتوظيفها كلما توفرت شروطها، ومستعنين في ذلك ببعض ما ورد في الدراسات التراثية، ثم نحاول استكشاف هذه المقاصد عن طريق عملية التأويل التداولي، على اعتبار أن الخطابة الأموية تقوم على ثلاث أقطاب أساسية في العملية التواصلية، هي القصد والتأويل والإقناع.

¹ - مي يوسف الخطيب : النشر الفني بين صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 166 ، 167

1 - الحالات القصصية في الخطب السياسية:

الحالات القصصية في الخطب، هي عبارة عن حالات شعورية واعية، تنتقل من العقل إلى العالم، ومن العالم إلى العقل - كما أشار إلى ذلك جون سيرل - يعتمد عليها الخطيب ليحاول الوصول إلى أغراض محددة، وقد تعددت هذه الحالات في مجموعة من المظاهر، أهمها:

1.1 - الصمت :

يعد الصمت من الحالات القصصية الشعورية التي تنتج من وعي المتكلم، يوظفه المتكلم قصد الدلالة على غرض ما، وهناك ارتباط بين الحالة الشعورية للصمت والواقع أو العالم الخارجي، فيكون هناك تطابق بين قصصية الصمت والعالم، فحسب "هسرل" كل وعي يتوجه إلى موضوع ويقصده "إن قصد الشيء أو عنيه هو التوجه إليه... وكل فعل معيش يتوجه إلى شيء، فإذا بالإدراك، إدراك لشيء، والتمثل تمثل لشيء، والتذكر تذكر لشيء.. والحب حب لشيء، والأمل أمل بشيء"¹، والصمت صمت لشيء.

وتجلت هذه الحالة في خطبة الحجاج* حين ولي العراق سنة 75 هـ

حدث عبد الملك بن عمير الليثي قال : " بينا نحن في المسجد الجامع بالكوفة... إذ

أتى آت فقال : هذا الحجاج قد قدم أميراً على العراق، فإذا به قد دخل المسجد معتما

¹ - عبد الكريم شرفي: من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص92

* ولد سنة 42 هـ وأهلكه الله في رمضان سنة 95 هـ كهلاً ، وكان ظلوماً جباراً ، ناصبياً ، سفاكاً للدماء ، وكان ذا شجاعة وإقدام ، ومكر ودهاء ، وفصاحة وبلاغة ، وتعظيم للقرآن... تم ولايته على العراق 20 سنة... وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه... ، وبدأ حكمه من الكوفة قويا حازماً منذ دخوله إليها ، بعد أن أمر رجاله أن يبقوا على مقربة منها ، ودخل في صحبة عدتها اثنا عشر رجلاً فقط ، ثم توجه إلى المسجد وصعد منبره مثلثاً ، وقد خطب خطبته المشهورة ينظر شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق مأمون الصاغري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 4، ط2، 1982، ص343، وينظر أمير بن محمد المدري : الحجاج بن يوسف الثقفي مواقف من حياته (دماء وعطاء) ،

بعمامة غطى بها أكثر وجهه، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر، فمكث ساعة لا يتكلم، فقال الناس بعضهم لبعض؛ قبح الله بني أمية...¹

مظهر الصمت في هذا الملفوظ هو " مكث ساعة لا يتكلم " وهو صمت ناتج عن قصدية واعية، لأن قصده موجه إلى موضوع في العالم الخارجي.

و يمكن أن يكون قصده هو جلب الانتباه والإصغاء، فتكون الحالة القصدية هي الصمت والموضوع المفكر فيه من قبل الخطيب هو الإصغاء والانتباه، الذي يراه الخطيب بمثابة الطريقة المثالية للفت انتباه الجمهور، حتى يكون كلامه ذا وقع في الأسماع والأذهان، لأن خطابه - الموجه لأهل الكوفة - كان خطاباً مباشراً، أمام جمهور حاضر، وبمفهوم المخالفة، لو كان الجمهور غائبا، لما لجأ إلى هذه الحالة، لأنه أراد أن يوصل مجموعة من الدلالات.

- التأويل الثاني للحالة القصدية :

لجأ الحجاج إلى الصمت ليعطي لنفسه هيبة أمام الجمهور المتلقي، يقول " الجاحظ " :
" استكثر من الهيبة صامت "²

فالحالة القصدية الواعية التي أرادها " الحجاج " هو الصمت والموضوع المفكر فيه هو الهيبة، هذا ليصنع لنفسه أمام الجمهور الحاضر هيبة يستقوي بها عليهم، لأنه قدم واليا على العراق؛ ومن خصوصيات الولاة والأمراء أن يكونوا ذوي رهبة وهيبة ووقار أمام الجمهور، فلو عاملهم بلين ورخاء لاستضعفوه وعاكسوه وأخرجوه وطردوه، لأن أهل العراق معروف عليهم أنهم أهل فتن، و"الحجاج" كان أدري بذلك.

فالحجاج قصد من صمته حالة شعورية في نفسه موجهة إلى موضوع بعينه، وهو محاولة

معرفة ردود أفعال الجمهور، هل هم عنه ساخطون ؟ أم أنهم راغبون ؟

¹ - أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ، ص 274

² - الجاحظ : البيان والتبيين ، ج1 / 194

وتجلى أن يكون صمت "الحجاج" على حكمته، حيث يعرف مواضع الصمت ومواضع الكلام، يقول "الجاحظ": "إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب"¹ يمكن أن تمثل قصدية الصمت عند "الحجاج" في الملفوظ السابق كمايلي:

الحالة الواعية الصمت ← الموضوع المفكر فيه هو الحكمة.

وبذلك لجأ "الحجاج" إلى الصمت لأن فيه حكمة كبيرة يستطيع من خلالها أن يستحوذ على عقول المتلقين ويقنعهم بأرائه.

- تأويل الجمهور لصمت الحجاج :

ربما تحمل دلالة الصمت عند الجمهور المتلقي عدة تأويلات وذلك باختلاف ثقافة المجتمعات في نظرتها إلى الصمت كعلامة سيميائية تندرج ضمن النسق التواصلية غير اللغوية، ومن بين التأويلات التي يخرج بها الجمهور:

- أن "الحجاج" رجل غامض وشريه ومن ثمة لا يصلح أن يكون واليا على العراق، حتى قال بعضهم "قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق"²

- يرى الجمهور أن الحجاج معتد بنفسه، متكبر، متجبر، من يحسب نفسه حتى يصمت هذا الصمت الرهيب، فغاظهم ذلك منه، لأنهم غير معتادين على هذا الصمت من قبل الولاة السابقين.

وفي الأخير يمكن القول أن ذات الحجاج ظهرت من خلال قصدية الوعي وهي ذات بانية له لا يمكن فكها عنها، فهي الأساس الذي بنى عليه خطبته أمام الجمهور المتلقي.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين ، ج1/ 194

² - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 274

والحالة القصدية الشعورية انطلقت من العقل إلى العالم، لأن الحجاج هو الذي قام بالمطابقة بينه وبين العالم المتمثل في مظهر الصمت، و الجمهور المتلقي لا يستطيع أن يغير مقاصد الخطيب على اعتبارها مقاصد شعورية واعية تنطلق من الذات البانية إلى العالم الخارجي.

2.1 - الرغبة:

تعتبر الرغبة من الحالات القصدية العقلية التي أشار إليها " سيرل " فهي "من الظواهر العقلية، كالإعتقاد، و الأمل، و الرغبة،...¹ "، والتي تنم عن شعور عقلي قصدي يتوجه من العقل إلى العالم مباشرة، فيكون هناك حالة قصدية واعية وموضوع مرغوب فيه في العالم. وقد لجأ " يزيد بن الوليد " * إلى هذه الحالة القصدية في خطبته ** لما قتل " الوليد بن يزيد " يقول: " أيها الناس، إني والله ما خرجت بطرا... ولا رغبة في الملك... ولكن خرجت غضبا لله ولدينه"²

¹ . جون سيرل: القصدية، بحث في فلسفة العقل، ص 24

* هو أبو خالد بن الوليد بن عبد الملك(162هـ)، لقب بالناقص لكونه نقص الجند من أعطيائهم، تولى الحكم بعد قيامه بانقلاب على ابن عمه "الوليد بن يزيد"، إذ تحرك من ضاحية المزة إحدى ضواحي دمشق وسيطر على المسجد الجامع، وأرسل قائدا استطاع القبض عليه...، وهو أول من خرج بالسلاح في العيدين...، لم يتمتع بالخلافة بل مات من عامه في السابع من ذي الحجة، فكانت خلافته ستة أشهر، وكان عمره خمسة وثلاثين سنة، وقيل ستة وأربعين سنة، ويقال أنه مات بالطاعون، ينظر جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط 2، 2013، ص 408، 409

** تقوم هذه الخطبة على حوار بين الخطيب(يزيد بن الوليد) والجمهور المستمع الذي يتوجه إليه، فقد صاغ خطابه بناء على افتراض أن المستمع يضمم خطابا خفيا ينطوي على موقف مناوئ له، لأن الخطيب متهم بجرمة قتل يحاول أن يقنع الجمهور بإقرار حكم يبرئه من تهمة تصمه بالعار، أو الحاكم الذي اغتصب الحكم، ينظر محمد مشبال: صورة الخطيب في الخطابة السياسية، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 6، 2015، ص101

² . الجاحظ : البيان والتبيين، ج2/141

إن الظاهر في كلامه أمام الجمهور المتلقي أنه لا يرغب في الملك، فرغبته الظاهرة تجلت في تغيير نظام الحكم الذي كان قبله، لما كان فيه من فساد للدين، وللشريعة الإسلامية، ففي نظره حكم " الوليد بن يزيد " كان مخلاً للتعاليم الدينية، بحكم فجوره وطغيانه ...، فقد أراد أن يبين للجمهور ورعه الديني وصفاته الأخلاقية الحميدة ليحاول التأثير فيه وإقناعه بأنه على صواب. فهذه هي الحالة القصدية الظاهرة.

كما يمكن أن تخرج الحالة القصدية لمظهر الرغبة إلى عدة حالات خفية، يكون الخطيب قد أضمرها لحالة قصدية واعية تبناها في ذهنه ليحاول الوصول إلى أهداف سطرها، ومن بينها: - رغبة " الخطيب " في تبرير الفعل الذي ارتكبه في حق "الوليد بن يزيد"، وهو فعل شنيع في نظر الجمهور، لذا فإن أول ما يجول بخاطره أنه قاتل، لذلك حاول تبريء نفسه من هذا الفعل الذميمة، حتى قال " ولقد خسرت إن لم يرحمني ربي"¹

أما عن الحالة القصدية الخفية للرغبة فهي رغبته في الحكم، لذلك انقلب على " الوليد بن يزيد " ، وبذلك فهي حالة قصدية مناقضة ومخالفة للحالة القصدية الظاهرة.

3.1 - الرؤية ومقاصدها السببية :

تعتبر الرؤية من الحالات القصدية الواعية، وهي تعمل وفق حالات قصدية سببية، لأن " عقولنا توجد أيضا في اتصال سببي مع العالم، حين نرى الأشياء تسبب الموضوعات التي تراها بتجارنا البصرية عنها"²

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/141

² - جون سيرل : العقل واللغة والمجتمع ، ص 157

يقول الحجاج : " ... فلما رأى عيون الناس إليه، حسر اللثام عن فيه ونهض.."¹

تم الرؤية في نظر " الحجاج " عن حالة قصدية واعية تتصف بالسببية، لأن هناك علاقة بين القصدية والسببية، فالرؤية هنا جاءت نتيجة حالة إرادية إدراكية، سببت للحجاج سببية قصدية، فسبب الرؤية هنا هو وجود " أعين الناس " أو وجود " جمهور " ،فهو الذي تسبب في رؤية الحجاج.

ومنه فاتجاه السببية القصدية يكون من العالم إلى العقل، وجود الجمهور هو السبب في الرؤية، أما الحالة القصدية فيكون لها اتجاه ملاءمة من العقل إلى العالم، لأن الحجاج بهذه الحالة كان له موضوع مفكر فيه اتجاه الجمهور.

إذن فالحالة القصدية لها اتجاه مطابقة من العقل إلى العالم، والحالة السببية القصدية لها اتجاه مطابقة من العالم إلى العقل، لأن هناك خطيب وجمهور.

والرؤية هنا هي رؤية لشيء ما في العالم الخارجي، ولكن الرؤية تختلف باختلاف الموضوع المفكر فيه بالتحديد في تلك اللحظة، لأنه يمكن أن يرى أشياء أخرى غير الجمهور.

والغاية الجوهرية لـ"الحجاج" من خلال هذه الحالة - لما رأى أعين الناس تنظر إليه - هو اطمئنانه بأنهم على استعداد وتأهب لسماع ما يقول.

4.1 - الأفعال القصدية العقلية وتأويلاتها الممكنة:

تعد قصدية الأفعال العقلية من القصد التي نفعها وتتم بقصد معين بشرط أن تتوفر شروط الإشباع أو التحقق في الفعل القصدي، لأنه في بعض الأحيان يمكن أن نجسد أفعالنا بطريقة قصدية ولا تكون قصدية لغياب شروط التحقق، ترى "أنسكومب" (Anscomb) في هذا الصدد أن " كل ما نفعه، نفعه على العموم بقصد ما، ولأسباب معينة، فمعرفة الفاعل

¹ - أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ، ص 274

لما يقوم به، هو الذي يقدم وصفا يجعل ما يحدث بمثابة تنفيذ لقصد ما، فالمعرفة التي يتوفر عليها الفاعل فيما يخص مقاصده، ليست معرفة بالمعنى الخالص، إلا متى تحول القصد إلى فعل¹

ويمكن أن نجسد هذا بفعل " القتل " لما قتل " يزيد بن الوليد " ابن عمه " الوليد بن يزيد "

* لقد اعترف " يزيد " صراحة أمام الجمهور المتلقي أنه قتل ابن عمه، ففعل القتل

حدث بالفعل وهو أمر مثبت لا يمكن نكرانه وجحوده، وبذلك فهو فعل قصدي موجه إذ تحول القصد إلى فعل، ولكن السؤال المطروح ألا يمكن أن تصاحب قصدية الفعل مقاصد قبلية ومقاصد مصاحبة، يقول " سيرل " : " يكون لكل الأفعال القصدية مقاصد مصاحبة للأفعال، ولكن الأفعال القصدية لها مقاصد قبلية، بشرط أن تكون هناك علاقة وثيقة بين القصد القبلي والقصد المصاحب للفعل² "

ففعل القتل الذي قام به " يزيد " يحمل قصدا قبليا حاول أن يسلكه وفي نفس الوقت

ينجزه، وهي فكرة بلورها في وعيه قبل تنفيذها، فقام بإجراءات ذهنية وعقلية من مثل :

- بحث عن حجج تنجيه من القيل والقال بعد فعل القتل.

- استشارة حاشيته في تنفيذ القتل.

أما عن المقاصد المصاحبة للفعل القصدي، فهي التي تحمل المضمون القصدي من

خلال مجموعة من الأفعال غير المقصودة ولكنها تتم بصورة مقصودة، فبدونها لا يصل الفاعل إلى قصده الحقيقي.

¹ - حسان الباهي : فلسفة الفعل، اقتران العقل النظري بالعقل العملي، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2016، ص 192

* اجتمع عليه أعيان من رعية " يزيد " وهجموا عليه وقتلوه، وكان المتولي لذلك " يزيد بن الوليد بن عبد الملك "، ينظر أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب، 206

² - جون سيرل: القصدية بحث في فلسفة العقل، ص 118

ففاعل القتل صاحبه مجموعة من الأفعال القصدية الخلفية فهي " مجموعة القدرات العقلية اللاتمثلة التي تمكننا من تشكيل التمثلات العقلية، فإذا كانت للقصدية شروط للتحقق تخصها فإنها لا تستطيع اكتساب هذه الشروط إلا من خلال خلفية من مجموعة من القدرات التي تعد في حداثها حالات قصدية، أي لا تكون حالاتنا القصدية على ما هي عليه إلا بسببها"¹، أي غير المعلنة من قبل الخطيب، ويمكن أن تكون كمايلي:

- اجتماع الرعية وإيجاد الطريقة المثلى للوصول إليه.

- السير والتوجه نحوه مع وجود وسائل للسير.

- الوسيلة التي تم بها القتل.

إلى غير ذلك من الأفعال الخلفية المصاحبة.

وعلى الرغم من أن الأفعال القصدية غير معلنة من قبل الخطيب إلا أن بغياها لا يتم الفعل القصدية وهو القتل.

وقد تحقق فعل القتل وفق المقاصد القبليّة والمقاصد الخلفية المصاحبة، وبهذا يمكن القول

إن الحالة القصدية الواعية التي أرادها الخطيب تحولت إلى فعل حقيقي، وعليه يمكن التساؤل

عن الأسباب والدوافع التي جعلته يقوم بهذا الفعل، يقول: "... وظهر الجبار العنيد،

المستحل لكل حرمة، والراكب لكل بدعة.. مع أنه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ولا

يصدق بالثواب والعقاب"²

¹ جون سيرل : القصدية بحث في فلسفة العقل، ص 183

² - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/141

فمن الأسباب التي جعلته يقوم بهذا الفعل، وقد رصدها على شكل حجج هي :

- الجبار العنيد.

- المستحل لكل حرمة.

- الراكب لكل بدعة.

- لا يؤمن بيوم الحساب ولا يصدق بالثواب والعقاب.

فهذه الأسباب التي ذكرها هي التي بررت له ارتكاب هذا الفعل، وليحاول التملص من

ارتكابه لهذا الفعل السيء، قدم الضحية في صورة مشينة مخيبة لتوقعات الجمهور.

وفعل القتل لم يكن وليد الفجأة من قبل الفاعل، فقد حدث بصورة قصدية ناتجة عن

حالة شعورية واعية موجهة إلى الموضوع الذي فكر فيه.

ونجد هذا الفعل القصدي تكرر عند " الحجاج " كذلك لما قتل " عبد الله بن الزبير "،

وقد كان فعله موجهاً لأنه يتوفر على معرفة مسبقة ل " ابن الزبير " وهو تمسكه بالخلافة وعدم

التخلي عنها، وربما أيضاً لجأ إلى هذا الفعل للتقرب من الخليفة " عبد الملك بن مروان " الذي

كان يؤرقه " عبد الله بن الزبير " في توليه الحكم في الحجاز، يقول " الحجاج " : " ألا إن ابن

الزبير كان من أحبار هذه الأمة، حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها، وخلع طاعة الله،

واستكن بحرم الله..."¹

قدم " الحجاج " مجموعة من الحجج حتى يوهم الجمهور أن الفعل الذي قام به هو

لصالح العباد، ولصالح الدولة الأموية وللم شمل المسلمين حتى يصبحون تحت راية واحدة

ويستقر الحكم، كما قدم استراتيجياته الضمنية بأن الانحراف عن دين الله،

¹ - أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب، ص273، 274، للإستفادة أكثر يرجع إلى نص الخطبة كاملة

- ويقصد بها الانحراف عن ولي الأمر- يوجب العقاب في الدنيا وفي الآخرة؛ وهو القصد القبلي الذي بناه في فكره، وعليه ففعل القتل حدث فعلا.

ويمكن تمثيله على شكل قياس خطابي:

- إن " عبد الله بن الزبير " كان من أحبار هذه الأمة، فخلع عن طاعة هذه الأمة فعاقبناه.

- آدم عصا الله الذي أكرمه فعاقبه بإخراجه من الجنة.

وآدم أكرم من ابن الزبير ومكة أعظم حرمة من الكعبة.

- فكل من يقع في المعصية يعاقب، لذلك قتلت ابن الزبير.

من خلال ما سبق ذكره جاز لنا القول بأن الحالات القصدية التي رصدتها الخطباء في خطبهم موجهة إلى مواضيع وظواهر موجودة في العالم الخارجي، تدور في فلك الخلافة والحكم آنذاك، وفق قصدية الملاءمة من العقل إلى العالم، واتجاه سببية قصدية من العالم إلى العقل فوجود الجمهور المتلقي سبب جوهري لتبني هذه المقاصد وتحقيقها من قبل الخطيب.

2 - قصدية الافتتاح في الخطبة:

إن افتتاح الخطبة هو الذي يهيء النفوس، وينبه السامعين إلى موضوعها، فمنهم من يفتتح بحكمة ومنهم من يفتتح بالحمد ومنهم من يفتتح بمثل "... ومن الخطباء من يفاجئ السامعين في مفتح كلامه بما يزعجهم"¹

وهذا ما فعله " الحجاج " الذي افتتح خطبته ببيت شعري فقال* :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

¹ - محمد أبو زهرة : الخطابة تاريخها أصولها ، ص 81

* البيت لسحيم ابن وثيل الريحاني قاله الحجاج متمثلا ، وقوله " أنا ابن جلا " أي الواضح الأمر المنكشفة ، وقيل ابن جلا ، الصبح لأنه يجلو الظلمة ، وهو مثل يضرب للمشهور المتعالم ، أي أنا الظاهر الذي لا يخفى ، ينظر أحمد زكي ضفوت : جمهرة خطب العرب ، ص 274

هناك من النقاد من يرى أن افتتاح هذه الخطبة ببيت شعري فيه إسقاط لما هو معهود عند العرب " فقد تجلّى فيما أورده الحجاج من الشعر قصيده ورجزه، إذ بدأ خطبته ببيت ولم يبدأها بحمد الله والصلاة على نبيه، فجاءت أشنع بترا من بتراء زياد ابن أبيه ¹"

إن غياب البسملة والحمدلة في بداية الخطبة هو غياب قصدي من قبل الخطيب، لذلك افتتحها ببيت شعري يتناسب مقاميا مع طبيعة الخطبة، وقد اختاره عن غيره من الأبيات الأخرى، لأن كل الصفات الواردة في البيت نسبها الحجاج إلى نفسه، ليعرف بها أمام المتلقي بالاعتماد على الدلالات التي تحملها.

ولعل افتتاح " الحجاج " خطبته ببيت شعري توضح لنا بجلاء كيف يمكن استثمار السياق الاجتماعي والمقامي لبناء مسلك تخاطبي متعدد المنابع والأهداف، يشتمل على مجموعة من المقاصد:

- القصد الأول : هو إشارة إلى سبب سياسي؛ لأن العراق في ذلك الوقت غلبت عليهم الأحزاب الدينية وخصوصا حزب الشيعة الذي تمتلك من الحجج الدينية ما يفوق براعة الحجاج، لأنهم أقدر على استنباط الحجج من القرآن والحديث.
- القصد الثاني : حاول إزعاج أهل العراق واستفزهم، من خلال التلاعب بمشاعرهم.
- القصد الثالث: الاستعلاء بنفسه وتبيان عظمته أمام الجمهور المتلقي، وكأنه يقول " أنا الحجاج الظاهر المعروف "
- القصد الرابع : تجسيد صور مفزعة لكل متمرّد أو عاص .

¹ - غازي طليمات، عرفان الأشقر : النشر في العصر الأموي ، ص 153

ولكن السؤال المطروح : لماذا خالف الحجاج ما اعتاد عليه الخطباء في العصر الأموي ؟
إن الناظر لافتتاحية " الحجاج " يرمي الخطيب برقة الدين، ولكن على العكس من ذلك
،فرغم جبروته وظلمه، إلا أنه كان يعظم القرآن، ولم يغفل على الاحتجاج به في خطبه، بدليل
أن هناك من الخطب بدأها بآي من القرآن، منها:

خطبة له بالبصرة افتتحها بآية قرآنية فقال: " قال الله تعالى: "

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ " التغابن 116 فهذه لله وفيها مثوبة ،وقال "وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا" التغابن 116 ... " ¹

وعليه فالحجاج رغم ظلمه وسفكه للدماء، إلا أنه لم يكن مقصرا ولا مستهترا بالجانب
الديني والعقائدي.

ونجد " زياد بن أبيه " * أيضا في خطبته البتراء يفتتح من غير تحميد، حيث بدأها بقوله:
" إن الجهالة الجهلاء... " ² ،وقد عكس بذلك كل التقاليد الإسلامية المعهودة في افتتاح
الخطب، ولكن الخطيب "زياد" قصد إلى ذلك قصدا معينا محاولا تغيير صورته أمام الجمهور
المتلقي لأنه على معرفة مسبقة بهم.

ويمكن تأويل مقاصده على الشكل التالي:

- أراد " زياد " أن يثير الرعب في صدور الناس وبث الفرع فيهم، وبذلك فالموقف هو الذي برر
تجاوز التقاليد الإسلامية.

- كان قصده الخروج من هذا النمط المتوارث إلى نمط جديد يراه أجدر في مثل هذه المواقف.

¹ - أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ، ص 282

* ولده معاوية على البصرة وخراسان وسسجتان سنة 45هـ، فأظهر من الحزم وحسن التدبير ما جعل معاوية يضم إليه
الكوفة، فأصبح واليا على العراق حتى سنة 53هـ ، كان يخلط سياسته باللبن ولم يكن يعمد إلى سفك الدماء إلا حين
تعجزه الحيلة ،فكان سياسيا ماهرا يحسن تصريف الأمور إلى أبعد غاية، ينظر شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي ،العصر
الإسلامي ص 424

² - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 2/62

- كان في حالة قصدية، يريد من خلالها إعمال قبضة حديدية مع جمهوره الذي لا يريد رحمة ولا شفقة بهم.

- حاول أن يشعر الجمهور بأنه رجل سياسة، يتقن سياسة تسيير الأمور.

- ربما تأثر بالقرآن، بالتحديد سورة التوبة التي وردت بلا بسملة.

فهو بهذه البداية يبرز أن قصده كان عدائيا تجاه الجمهور، حين رأى بأن القوم تورطوا في الضلالة وانحرفوا عن هدي الإسلام.

أما في خطبة " يزيد " فقد افتتحها بالحمد " ولما قتل يزيد بن الوليد ابن عمه الوليد بن يزيد... بعد أن حمد الله وأثنى عليه"¹

كان قصده من افتتاحها بالحمدلة تهيئة نفسه لعقد التواصل مع الجمهور ولفت انتباههم ومحاولة التقرب إليهم بطرق سلمية غير عنيفة.

وهذا غير بعيد عن خطب الخوارج، وهذا ما نجده في خطبة أبي حمزة الشاري " لما أخذ أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي الشاري مكة صعد المنبر متوكئا على قوس عربية، فحمد الله وأثنى عليه"²

لقد بدأ الخطيب خطبته بالحمد والثناء على الله، وكان غرضه من ذلك تهيئة نفوس السامعين ولفت انتباههم لكشف بعض الحقائق التي تبناها في خطبته، ويمكن أن يكون في موقف ضعف، وهذا ما جعله محافظا على تعاليم الخطب الإسلامية.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/141

² - حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، ص 491

وفي الأخير يمكن القول إن جل الخطب الأموية لم تخرج عن طابعها الديني، وما خرج عن المؤلف كان مقصودا من قبل الخطباء، إذ السياق والمواقف الحالية هي التي تفرض على الخطيب مثل هذه البدايات.

3 - الأداء اللفظي وغرض الخطيب :

تضمنت الخطب الكثير من الألفاظ والتراكيب اللغوية المتداولة، فقد خرجت من باب التنظيم والبناء إلى باب التداول والاستعمال، ففي جانب الاستعمال لها جانبان أساسيان " أحدهما: الجانب المتصل بالسامع، ويعبر عن هذه العلاقة بالدلالة لأن محصل علاقة اللفظ بالمعنى عند السامع أن تصدر أحدهما يوجب الانتقال إلى تصور الآخر، والثاني الجانب المتصل بالمتكلم ويعبر عن هذه العلاقة بالاستعمال؛ بمعنى أن المتكلم يستعمل اللفظ في المعنى ويتخذة أداة لتفهيمة¹

ويقول "التوحيدي" : "... وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى، أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائدا عن الزمان... ولهذا كان المعنى ثابتا على الزمان² فهو يشير إلى الخلاف بين اللفظ والمعنى، ودورها في التعبير المنهجي للعملية التخاطبية، فحقيقة الكلام هي العلاقة التخاطبية وليست اللفظية، يقول " طه عبد الرحمان " : " يتبين أن حقيقة الكلام ليست هي الدخول في علاقة مع الغير؛ بمعنى أن الذي يحدد ماهية الكلام إنما هو العلاقة التخاطبية وليس العلاقة اللفظية وحدها"³

ووظف الخطباء هذه الألفاظ باستمرار في الخطب، بما يناسب مقامها وظروفها، فقد تفننوا في اختيارها، فاختاروا أدقها وأبلغها، وأجدرها على نقل الغرض المقصود.

¹ - أحمد كروم : مقاصد اللغة ، ص 185

² - أبو حيان التوحيدي : الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق، محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الطليعة، بيروت، ط 1، 2005 ، ص 102

³ - طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 215

ففي قول "الحجاج" : " فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتن، و اضجعتم في مراقد الضلال وسننتم سنن الغي"¹

وظف " الحجاج " هذه الألفاظ توظيفا محكما، حيث استعملها في مواضعها، وأحسن اختيارها، فلم تكن غريبة، ولا مستهجنة، يستطيع الجمهور فهمها بسهولة، وهذا ما جعلها تتناسب مع المعاني والأغراض، والمقام.

ونلمح من خلال هذه الألفاظ، أن الحجاج انتقل من الجانب الأخلاقي إلى الجانب السياسي، فهو يعلم مسبقا أن أهل العراق، أهل فتن وتمرد على ولاية الأمر، كما أنهم عصاة خارجون عن سلطة الحاكم.

وقد لجأ من خلال هذه الألفاظ إلى **القصد الضمني**، الذي يتعلق حسب " طه عبد الرحمان " بالمعاني المضمرة، والمجازية غير المستقلة عن المقامات"²

وهو القصد الذي أراد " الحجاج " توصيله إلى الجمهور، وقد تم التعبير عنه بألفاظ وتراكيب صريحة، ففي قوله :

- "أوضعتم في الفتن " تؤول حسب المقام وقصد الخطيب، إلى أن أهل العراق يتمادون في تدبير الفتن، ونشرها بين جميع الناس.

- " اضجعتم في مراقد الضلال " وتؤول إلى أن أهل العراق يركنون إلى مراقد الضلال؛ أي مراقد الفسق والفجور.

- " سننوا سنن الغي " وتؤول إلى أن أهل العراق يسنوا سنن الغي أمام المجتمع، وهذا ما رآه الحجاج أخطر عليه وعلى تسيير حكمه، وكأنه يدعو إلى إيقافه قبل اتساعه.

¹ - أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ، ص 276

² - طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 216

أراد " الحجاج " كذلك أن يصل من خلال هذه الألفاظ إلى إقناع الجمهور، عدم الخروج عن طاعته، وعصيانه، ويمكن أن نمثلها كحجج لنتيجة ضمنية.

- الحجة الأولى : أوضعتم في الفتن

- الحجة الثانية : اضجعتم في مراقد الضلال

- الحجة الثالثة : سننتم سنن الغي

- النتيجة الضمنية : والتي تفهم من خلال المقام والقصد هي عدم الخروج عن طاعة ولي

الأمر.

وقد جاءت هذه الحجج مرتبة من الأضعف إلى الأقوى، حتى يستطيع استمالة

الجمهور وإقناعهم.

ويمكن أن نمثلها وفق هذا السلم كمايلي :

- النتيجة : عدم الخروج عن طاعة ولي الأمر

- ح3: سننتم سنن الغي

- ح 2 : اضجعتم في مراقد الضلال

- ح 1 : أوضعتم في الفتن

وفي الأخير يمكن القول أن " الحجاج " استعمل ألفاظا غليظة وعنيفة، وهذه من سمات

الخطابة السياسية في ذلك العصر.

وهذا ما أورده " زياد بن أبيه " في خطبته " البتراء " حيث يقول : " أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء... وإيائي ودعوى الجاهلية، فإني لا أجد أحدا دعا بها إلا قطعت لسانه...، سفكت دمه...، ومن حرق على قوم حرقناه، ومن نقب بيتا نقبت عن قلبه، ومن نبش قبراً دفنته فيه حيا... ضربت عنقه"¹

نلاحظ أن "الخطيب" على المستوى اللفظي يبرز قوته على استجماع الألفاظ الدالة على القصد الذي يرمي إليه، وهي ألفاظ تنم على أنه رجل سياسة، فإذا بأجزاء الخطبة تبنى من هذه الألفاظ من مثل: الجهالة، الضلالة، قطع اللسان، سفك الدماء، الحرق، التنقيب، النبش، ضرب العنق...

والناظر إلى هذه الألفاظ يرى بأنها ألفاظ قوية وعنيفة تثير الفزع في نفوس الجمهور، وبأن هذا الرجل لا يعرف الرحمة والشفقة، وأنه شديد القسوة خصوصا مع الأقوياء، وكأنه استجمع مبررات قبلية جعلته يسقط هذه الصفات عليهم، فقتلهم ورماهم بها، كأنها سهام موجهة إلى أجسادهم.

فغرضه من توظيف هذه الألفاظ هو محاولته توصيل رسالة مشفرة إلى الجمهور المتلقي،

وقد تضمنت قصدين ثانوي ورئيسي " القصد الرئيس هو الإيحاء بذات الحكم في ذهن المستمع، أي دفعه إلى إصدار نفس الحكم، أما القصد الثانوي فهو قصد التعبير عن الاعتقاد الشخصي في صحة مضمون الحكم، فالمقصد الثانوي ليس مطلوباً لذاته بل يوضع لخدمة المقصد الرئيس"²

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/62، 63، 64

² - عز العرب لحكيم بناني: الظاهرية وفلسفة اللغة، ص 154

ويمكن أن نؤولهما كمايلي:

- المقاصد الثانوية:

- استعمل هذه الألفاظ الغليظة والقاسية لأنه يعلم مسبقا مظاهر الفساد والفتن واختلال القيم عند أهل العراق، ورأى بأن هذه الألفاظ هي الأنسب في مثل هذه المواقف.
- إعادة العراق إلى حياة أفضل مما كانت عليه، إلى حياة آمنة مطمئنة بعيدة عن الغي والفوضى والضلال.

- القصد الرئيسي:

كان قصده من توظيف هذه الألفاظ القوية هو رسم منهجه وخطته في تسيير شؤون العراق، ورأى بأنها هي الدافع في تسهيل هذا المنهج.
حاول الخطيب من خلال القصدين الثانوي والرئيسي، أن يحمل الجمهور المتلقي أنه على اعتقاد كبير في صحة ما ذهب إليه وبذلك الإيمان أصبحت طريقه معبدة للتأثير فيهم وتغيير حياتهم الاعتقادية الباطلة، فهو يلزمهم بتبني اعتقاده وصحة المضمون الذي أصدره.
يمكن القول إن الألفاظ التي وظفها كل من "الحجاج" و "زياد" ألفاظ غليظة تتماشى مع طبيعة الجمهور، استعانا بما لتصوير الجوانب السياسية والكشف عن نظام الحكم المتبع وهو الوعد والوعيد لأهل المعصية. كما تأتي هذه الألفاظ بمثابة انعكاس لغرض الخطيبين لرسم منهجهما وخطتهما في تسيير أمور الولاية.
وكل منهما ولي على العراق، وقد استعملا تقريبا نفس النبرة الحادة الموجهة للجمهور، وهذا ما ذهب إليه "الحسن البصري" بقوله: "" تشبه زياد بعمر فأفرط، وتشبه الحجاج بزياد فأهلك الناس ""¹، أي أن كلا منهما بالغ في تشبيهه بقدوته إلى درجة الإفراط والإهلاك.

¹ - الجاحظ : البيان والتبيين ، ج 2 / 66

أما الألفاظ التي وظفها " يزيد بن الوليد " في خطبته فهي ألفاظ تعكس ما جاء به " الحجاج " و " زياد "، ألفاظ لينة تتماشى مع طبيعة الخطبة، غير منفصلة عن سياقها السياسي، أصبغها بألفاظ دينية عبر فيها عن ذاته، كقوله: " ...غضبا لله، داعيا إلى كتابه وسنة نبيه... " ¹

أراد من خلال هذه الألفاظ أن يوهم الجمهور المتلقي بمتانة دينه وغيخته عليه، ولكن قصده المضمّر هو تقديم صورة حسنة عن نفسه جديرة بنيل ثقتهم، ورمى ابن عمه بألفاظ مستوحشة وهادمة لصورته من مثل: المستحل للحرام، لا يصدق بالثواب...
ومما سبق ذكره يمكن القول إن الخطباء استعملوا ألفاظا موحية تخدم المعاني من جهة والأغراض والمقاصد من جهة أخرى، فقد كانت لينة في بعض المواقف وغلظية وعنيفة في مواقف أخرى بحسب ما يقتضيه المقام وهذه من سمات الخطابة السياسية في ذلك العصر، فكل خطيب يحاول أن يفرض فكره وينفذ خطته السياسية في تولى شؤون البلاد.

¹ - الملاحظ: البيان والتبيين، ج2/141

4 - قصدية التكرار وتأويله التداولي:

يعد التكرار من الآليات الأساسية التي يحقق بها الخطيب مقاصد متعددة، بعبارة وأساليب مختلفة " وأن يكون النظر فيه إلى المعنى من جوانب متعددة"¹ ويقوم التكرار كذلك بوظيفة إيقاظ المشاعر وتقرير الحقائق، مما يساعد على الإفهام وتأكيد الكلام كما أنه يمثل عنصرا من أهم عناصر التماسك المعجمي لأنه " يعتمد على تكرار العناصر المعجمية نفسها كالكلمات والعبارات، وهو ما يعني التأكيد على عناصر معينة من خلال النص"²

وقد نبه البلاغيون العرب قديما على أهميته، ولاسيما في الخطب، لأن الخطيب يستعين به كلما استدعاه المقام التخاطبي إلى ذلك، فإذا كان مقام إطناب كان التكرار أولى، وذلك تلبية لحاجة كلامية يستشعرها "الخطيب".

ويرتبط التكرار أيضا بالحث على تغيير وجهة المتلقي أو الجمهور، فإذا كان الخطاب سلطويا، كان قصد الخطيب إلزام الجمهور إلى الاستجابة له، من خلال اعتماده على آلية التكرار اللغوية.

وهذا ما تجسد في الخطب السياسية التي يشيع فيها التكرار شيوعا مطردا، وسنأخذ للتمثيل على ذلك بعض النماذج من الخطب :

حيث وظفوا التكرار بنوعيه التام والجزئي:

1.4- التكرار التام: وهو: " التكرار التام أو المحض هو تكرار اللفظ، والمعنى والمرجع واحد"³

¹ - محمد أبو زهرة : الخطابة تاريخها وأصولها ، ص 66

² - رانية فوزي عيسى : علم اللغة النصي، رسائل الجاحظ نموذجًا، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2014 ص 196

³ - عثمان أبو زنيد ، نحو النص ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1، 2010 ، ص 139

وسنمثل له بحرف التوكيد " إن " في خطبة " الحجاج " الذي تكرر في الخطبة عدة مرات مضافا إلى ياء المتكلم، نحو قوله : " إني لأحمل الشر... " و " إني أرى أبصارا طامحة " ، و " إني لصاحبها... " ، " إني والله يا أهل العراق ... " و " إني والله لأعد إلا وفيت... " ¹

لقد تكرر حرف التوكيد " إن " في الخطبة بشكل مكثف، حيث أدى تكراره إلى ملأ الفجوات التي كان من الممكن أن تعتري الخطاب، وتحققت بذلك الوظيفة الانتباهية لدى الجمهور، التي أدت إلى الإسهام بدرجة عالية في تركيزهم على قول الخطيب، وبذلك عبرت "إن" عن واقع تخاطبي صادر عن الخطيب وموجه إلى الجمهور، القصد منه المحافظة على استمرار انتباه الجمهور إلى أغراض الخطبة، المتمثلة في تأكيده على ما يقول، وصرامته في التنفيذ.

وبما أن تكرار الحرف " إن " كان مضافا إلى ذات المتكلم وهو " الحجاج " ، فقد حاول من خلال توظيفه لها إبراز ما يتميز به من صفات أمام جمهور المتلقي، كصفة الاعتداد بالنفس والعارف بخبايا الناس، والموفي بوعوده، والمحدد لخصمه.

وقد كان استعمال ضمير " الأنا " من لدنه، قطب الرحى الذي دارت حوله معاني الخطبة من أولها إلى آخرها.

أما عن القصد المضمّر الذي ابتغاه " الحجاج " من خلال توظيفه للتكرار التام، فهو محاولة تسليط الضوء على نقطة جوهرية، وهي التأكيد على أنه المتصرف في شؤون الولاية، المكلف بتسيير أمورها، وبذلك فهو المفوض بسلطة الأمر والنهي من الخليفة التي تؤهله لأن يطاع لمكائنه وتنفذ أوامره، ومن خرج عنها نفذ فيه وعيده.

¹ - أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ، ص 274 وما بعدها

كما دل التكرار بـ "إني" في خطبة "الحجاج" إلى قصد وهو نفي الآخر وتقزيمه من خلال الاستبداد برأيه، في عدم إشراكه لغيره.

وقد لجأ "الحجاج" من خلال التكرير بـ "إني" إلى تحقيق مقصدية التهيج، وهي حسب "هنريش بليث" (heinrich plett) "تكمّن في البحث عن الانفعالات العنيفة (الحقد، الألم، الخوف) التي تسيطر على الجمهور"¹، التي ترمي إلى البحث عن الانفعالات التي تسيطر على الجمهور، لغرض إفزاعه أو تخويفه من أجل الإبقاء على توحي الحذر الصادر عن ولي الأمر.

كما لجأ "يزيد بن الوليد" إلى التكرار التام في قوله: "إني والله ما خرجت أشرا ولا بطرا... ولكن خرجت غضبا لله ولدينه..."²

لقد كرر الفعل "خرج" في موضعين مضافة له تاء المتكلم التي تعود عليه، فقد رصد من خلاله علاقة عاطفية مع الجمهور من خلال المشاعر التي انتابته، وقد كان في حالة توتر انتهت به إلى تكرار الفعل، الذي حاول من خلاله التأكيد للجمهور المتلقي أنه لم يخرج للطغيان وطلب السلطة بقدر غيرته على الدين.

إن تكرير الفعل "خرج" فيه نوع من التعالق بين الأولى والثانية، فالثانية هي المقصودة من قبل الخطيب لأنها جاءت بعد الرابط "لكن" * الذي يدعم حججا قوية، وبذلك كانت أبلغ وأفيد من الأولى، ووجهت القول إلى النتيجة المقصودة.

¹ هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص27

² - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/141

* تعتبر لكن من روابط التعارض الحجاجي، تعارض بين ما يتقدم الرابط، وما يتلوه، والمتكلم يقدم الحجة الثانية باعتبارها الأقوى، ينظر أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص62

أما قصده الضمني من خلال هذا التكرار هو محاولة التأثير في الجمهور وإقناعهم بأنه جدير بنيل ثقتهم ونفي تهمة القتل التي لطخت سمعته، محاولا الظهور في صورة البطل الذي أزاح حاكما مفسدا لا يحتكم إلى شرع الله، وهذا من مقاصد التكرار الذي من فوائده كما يقول "الزركشي": "زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة؛ ليكمل تلقي الكلام بالقبول"¹ وهذا ما فعله "يزيد" الذي حاول زحزحة ذلك الاعتقاد الراسخ في ذهن الجمهور بأنه قاتل، وهذا التكرار يتناسب تأكيدا وإصرارا مع القصد الذي يحمله "الخطيب".

ويمكن أن يأتي التكرار خشية النسيان، يقول "الزركشي": "إذا طال الكلام، وخشي تناسي الأول أعيد ثانيا تطرية له"² وسنوضح ذلك بمثال:

يقول "زياد بن أبيه": "كأن لم تسمعوا بآي الله، ولم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته..."³

كرر الخطيب في هذا الملفوظ لفظة "تسمعوا" في موضعين مختلفين، زادت في إطار الملفوظ وحمل الجمهور على الانتباه لأنه يحمل قضية جوهرية تمس الجانب العقائدي للدين الإسلامي، فرماهم بالابتعاد عن دين الله بل كأنهم ليسوا من الإسلام في شيء، لذلك حاول أن يستوقفهم بهذا التكرار ليراجعوا أنفسهم.

والقصد الجوهرية الذي حمله التكرار هو تذكيرهم بـ "تسمعوا" الثانية بما أعده الله لهم من ثواب لأهل الطاعة وعذاب لأهل المعصية.

¹ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 630

² - المرجع نفسه، ص 630

³ - حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، ص 460

كما حاول إحكام الحجة على الجمهور وإدانتهم بالخروج عن طاعة الله، وهو ما ينتج عنه تجاهلهم للأصل بدءاً من آيات الله، وتجاهلهم للأصول تجاهلوا الفروع، وتجاهلهم للفروع خرجوا عن الملة ولم يعرف لهم حدوداً.

كما حمل التكرار **قصداً مستقبلياً** وهو "الموجه إلى الآتي من الزمن"¹، بغرض تحصيل الفائدة للجمهور تمثل في دفعهم إلى الرجوع إلى ما جاء به الدين الإسلامي، وهو يعلم أن هذا الاستيعاب سوف يحصل مستقبلاً لأنه يخاطب جمهوراً مسلماً قابلاً للعودة إلى ثوابه بعد غيئه.

2.4. التكرار الجزئي (الاشتقائي): وهو: "ما يكون بالاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي"²

من حالات التكرار الجزئي التي وظفها "الحجاج" في خطبته نذكر ما يلي:

- (سننتم - سنن) من قوله : " ...وسننتم سنن الغي "³

نلاحظ ترابط الجزئين اللذين أصبحا بمثابة الكل الموحد، الذي لا انفصام فيه، قصد الحجاج بهذا الاستخدام اللغوي للتكرار الجزئي للجذر " سنن " أن بعضاً من أهل العراق، سنوا سنناً ذميمة أمام غيرهم، وما عليه إلا أن يوقفها قبل أن تعمم لأنها خطر على حكمه بصفته والياً عليهم.

- (إعطائكم - أعطياتكم) من قوله : " ...إن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم ... "⁴

¹ - ينظر إدريس مقبول : في تداوليات القصد، ص 1215

² - عثمان أبو زنيد : نحو النص، ص 139

³ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 276

⁴ - المرجع نفسه، ص 277

ربط " الحجاج " بهذا التكرار المعجمي بين الوجدتين " إعطاء " و " أعطيات " وجعلهما متصلتين، ينمان عن قصد ضمني أراده " الحجاج " ، تمثل في رفع شأن أمير المؤمنين الذي أمره بإعطاء الأعطيات، كما تدل على أمانة الحجاج في تبليغ الأمانات إلى أهلها.

بالإضافة إلى هذين النموذجين ، توفرت الخطبة على الكثير من التكرارات الجزئية ، مثل :

الوحدات المعجمية التالية : (قالاً ، قيل ، تقول) و (لأضربنكم ، ضرب) ...

لقد قامت التكرارات الجزئية التي وظفها " الحجاج " في مجملها، على ال **قصد**

المستقبلي؛ بمعنى أن الحجاج كان له قصدا من هذا التكرار وهو فعل أشياء في المستقبل، إن لم يغيروا في سلوكياتهم وتوجهاتهم.

كما وظف " زياد بن ابيه " هذا الفرع الاشتقاقي في أكثر من موضع،

مثل (أحدثتم، الحدث) و (يصلح، الصلاح) إلى غير ذلك، فقد حملته أجزاء الخطبة في طياتها أكثر من التكرار الكامل أو التام، ومن نماذجه:

- (الجهالة - الجهلاء) في قوله : " إن الجهالة الجهلاء"¹

نلاحظ أن الخطيب ربط بين اللفظتين ربطا محكما وجعلهما متناسقتين فيما بينهما،

فتمثل قصده الظاهر في وصف الجهالة بالجهلاء، والجهلاء جاءت توكيدا للفظة الجهالة.

أما **قصده الضمني** تمثل في رؤيته للقوم قد تورطوا جميعهم في الجهالة والضلالة وقد

استمر الكل في الفساد وبذلك احتلت القيم.

وقد كان قصده من توظيفها في أجزاء الخطبة هو إبراز مساوئ أهل العراق الذين وقعوا

في الفتن والضلال، وقصدا ضمينا يحمل حتمية عنفه وقسوته في تسيير شؤون البلاد.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/62

5 - إنجاز القصد في الرابط " الواو " :

أشار علماء العربية إلى القصد في العطف، والعطف هو " الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه "1

ويرى " الشريف الجرجاني " أنه : " تابع يدل على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعه، يتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف العشرة، مثل : " قام زيد وعمرو " ، فعمرو تابع مقصود بنسبة القيام إليه مع زيد "2، وبالتالي فالعطف يرتبط بالقصد بين التابع والمتبوع.

أما عن دلالة العطف ب " الواو " يقول : " السيرافي " : " أجمع النحويون واللغويون من البصريين والكوفيين، على أن الواو للجمع من غير ترتيب " ، وأقول : إذا قيل " جاء زيد وعمرو " فمعناه أنهما اشتركا في المحي، ثم يحتمل الكلام ثلاثة معان : أحدهما أن يكونا جاء معا، والثاني : أن يكون مجيئهما على الترتيب، والثالث : أن يكون على عكس الترتيب "3 -
توظيف " الواو " في الخطبة الأموية السياسية:

لقد هيمن " الواو " على أجزاء الخطب الأموية، بحيث ساهم في تحديد الترابط بين أجزائها من البداية إلى النهاية بشكل منظم " إنه تحديد للطريقة التي يترابط بها السابق مع اللاحق بشكل منظم "4

والخطبة بنويا هي عبارة عن كلمات وجمل متتالية متعاقبة خطيا، وحددت " الواو " العلاقة بين ما يسبقها ويليهما بشكل منسق ومتسق، فهي بهذا تساهم في اتساق الخطبة، وتجعلها كلا موحدًا.

1 - أبو هشام الأنصاري : شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص 491

2 - علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني : معجم التعريفات ، تحقيق ودراسة ، محمد صديق المنشاوي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ص 127

3 - أبو هشام الأنصاري : شرح قطر الندى وبل الصدى ، ص 500

4 - محمد خطابي : لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 23

وبالإضافة إلى دورها في تنظيم النص، فإنها ترتبط بالجانب التخاطبي والتواصلية، و يضعها "الخطباء" وفق مقاصدهم، وحسب المواضيع التواصلية الملائمة لها. وستقوم بتحليل بعض النماذج من الخطب السياسية، لاستكشاف وظيفة "الواو" وتحديد القصد الذي تنتجه.

يقول "الحجاج": "...أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله.."¹

ربط "الواو" في هذا الملفوظ الجمل خطياً، بين الجملة الأولى "إني لأحمل الشر بحمله"، والجملة الثانية "أحذوه بنعله"، والجملة الثالثة "أجزيه بمثله". فمن خلال الرابط "الواو" يمكن فهم دلالة الجمل فيما بينها، حيث ساهمت في ربط هذه الجمل ربطاً محكماً من الناحيتين النحوية والدلالية، فلا يمكن فهم معنى الجملة الأولى إلا بالرجوع إلى الثانية.

أما من الناحية التداولية، فقد عطف الخطيب جملة "إني لأحمل الشر بحمله" على الجملتين "أحذوه بنعله" و "أجزيه بمثله"، وتضمن فهم دلالة القصد من العلاقة بين الجملة الأولى، التي تدل على معنى مقصود، وهو قدرة الحجاج وقوته على البطش والردع والتخويف، والجملة "أحذوه..". و "أجزيه..." تابعتان لمقصود حمل الشر.

وبذلك فقد حقق الجمع بين هذه الأفعال فائدة الإشراف، التي تسير في سياق ووجهة واحدة، وفي هذا الصدد، يقول "عبد القاهر الجرجاني": "واعلم أنه إذا كان المخبر عنه في الجملتين واحد كقولنا: هو يقول ويفعل ويضر وينفع، ويسيء ويحسن، ويأمر وينهي... ويأكل ويشرب، ازداد معنى الجمع في الواو قوة وظهوراً، وكان الأمر حينئذ صريحاً"²

¹ - أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ، 275

² - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 174

فإذا كان الجمع بين الفعلين عائدا على ذات واحدة، فإن فائدة الإشراف في هذا الموضوع، تكون أقدر على إتمام القصد، لأنها تسير على وتيرة واحدة.

ويمكن أن نؤول مقاصد "الحجاج" الضمنية من خلال حرف العطف "الواو" إلى مايلي :

- يمكن أن تحمل قصدا إخباريا، يخبر "الحجاج" فيه الجمهور أنه يحمل شرا في قلبه أتجاههم.

- تحمل التهديد والوعيد ليظهر قوته أمام الجمهور المتلقي.

- ملزم بتنفيذ هذه الوعود، لأن الحجاج لا يعرف الرحمة والشفقة.

كما يمكن أن يستعمل العطف - الواو - حجاجيا ، بترتيبه للحجج ووصل بعضها ببعض، بل وتقوي كل حجة منها الأخرى، وتعمل على الربط النسقي أفقيا.¹

فالمقاصد التي حملها " الواو " حجاجيا تضمن التأثير في المتلقي، وقد لجأ إليه "الحجاج" بهدف الإقناع.

جاء "الواو" ليوصل الحجج بعضها ببعض، فرتب الحجج ترتيبا أفقيا، وبالتالي حقق الاتساق الحجاجي للخطبة.

- فالحجة الأولى : إني لأحمل الشر بحمله.

- الحجة الثانية : أحذوه بنعله.

- الحجة الثالثة : أجزيه بمثله.

يلاحظ أن " الواو " حمل قيمة حجاجية، إذ ربط بين الحجج، وعمل على إشراف الحجج للوصول إلى نتيجة مضمرة غير مصرح بها من قبل الخطيب، وهي اتصافه بالقوة والبطش

والجبروت، وقد حملت هذه النتيجة مقصدين تمثل في :

- إخافة الجمهور من جهة.

- محاولة إقناعه والتأثير فيه من جهة أخرى.

¹ - ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص 472

وفي الأخير يمكن القول إن " الواو " حقق الوصل بين الجمل من الناحية النصية، كما ساهم في تحقيق مقاصد المتكلم في مواقفه التواصلية، وساهم أيضا في إقناع الجمهور المتلقي واستمالته.

ونجد كذلك " أبو حمزة الشاري " * قد وظف الرابط " الواو " في كل أجزاء الخطبة فكان بمثابة العمود الفقري الذي ربط أجزاء الخطبة ربطا خطيا لغويا ارتبط به السابق مع اللاحق والعكس، كما وظفه توظيفا قصديا يتلاءم مع طبيعة الجمهور والمقام في عمليته التخاطبية. ومن أمثلة ذلك " وولي عمر بعده، فسار سيرة من كان قبله، وجبى الفياء، وأعطى الأعطية، ومصر الأمصار، ودون الدواوين، وجمع الناس على قيام شهر رمضان، وجلد في الخمر ثمانين، وغزا العدو في ديارهم...¹"

استعمل الخطيب مجموعة من الجمل المعطوفة موظفا إياها توظيفا قصديا موافقا للسياق اللغوي وهو التابع من غير إخلال بين ما يسبق الرابط وما يلحقه، وبذلك حقق معاني دلالية على المستوى اللساني، إذ بغياب هذا الرابط يفقد النص خصوصيته الدلالية واللغوية. أما على مستوى السياق غير اللساني فإن الرابط دل على الترتيب بين الجمل المتعاطفة، ترتيبا جليا لا خفاء فيه، فولاية عمر تحققت بمجموعة من الجمل التي جاءت بعدها وهي: أعطى الأعطية، مصر الأمصار، دون الدواوين، جمع الناس على الصيام، جلد شارب الخمر، فلا يمكن أن نسبق جملة على الأخرى، ونقول مثلا (جلد شارب الخمر، وجمع الناس على الصيام.. أو نقول دون الدواوين وأعطى الأعطية...)، فيكون هناك اختلال على المستوى الدلالي والتداولي، لأن الجمهور لا يستسيغ أن يبدأ مثلا بجلد شارب الخمر، ثم يجمع الناس

* هو من خطباء الخوارج، كان من القادة الخطباء، والفتاك الشجعان، خطب في المدينة، وراح يستعرض تاريخ الراشدين والأمويين، استعراضا يحلل فيه سياسة كل خليفة، كما رد فيها على من غيره بجنده الشباب.

¹ - حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، ص 492

للصيام أو يعطي الأغطية، وعليه فالرابط هنا عمل على الترتيب والتدرج، وهذا قصده الخطيب قصدا ليحاول الوصول إلى ما يصبو إليه.

وحققت كذلك هذه الجمل المتعاطفة بواسطة الرابط " الواو " مبدأ الإشارك والذي تمثل في قصد واحد وهو محاسن عمر رضي الله عنه، فقد ذكر الخطيب معظم المظاهر الإيجابية ومعظم المحاسن التي جاء بها أثناء توليه الخلافة، وقد اعتمدها كحجج دعمت الطرح الذي تقدم به.

أما فيما يخص المقاصد التي تجلت بواسطة هذا الرابط يمكن أن نؤولها حسب المقام التخاطبي إلى مايلي:

- المقاصد الثانوية التي تدعم طرحه، ذكر محاسن عمر وسيرته على نهج من سبقوه في الخلافة لاسيما ما جاء به أبو بكر المقتدي بمناب الرسول الكريم.
- المقصد الرئيس: من خلال ذكر محاسن عمر ومن جاؤوا قبله، وصل إلى ما يصبو إليه وهو توليه الحكم، وكأنه يناشد أهل مكة ويقول لهم إن وكلتموني على هذه البلاد فسوف أعمل بما جاء به الأولان، أسير على خطاهم واحتكم إلى شرع الله وسنة نبيه.
- وعمد أيضا إلى الرابط " ثم " الذي هو " حرف عطف، يشرك في الحكم، ويفيد الترتيب بمهلة"¹ حيث ربط به أجزاء الخطبة برمتها، يقول: " وولي عمر... ثم ولي عثمان... ثم ولي علي... ثم ولي معاوية... ثم ولي يزيد... ثم ولي مروان... ثم ولي بعده يزيد بن عبد الملك..."²

¹ - الحسن بن قاسم المرادي : الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق، فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص 426

² - حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، ص 292، 293

عمل هذا الرابط " ثم " على ترتيب الشخصيات التاريخية وجل ما جاؤوا به في تسيير شؤون الحكم، فبدأ بالرسول ثم الخلفاء الراشدين وذكر حسناتهم وطريقة تعاملهم مع الرعية، ثم انتقل إلى خلفاء وولادة بني أمية مع ذكر سيئاتهم بكل أساليب الشتم فرماهم بالفجور والعصيان والخروج عن طاعة الرحمان، لا يnehون عن المنكرات والفواحش.

ويسير هذا الترابط في اتجاه مستمر للأحداث والشخصيات بواسطة الرابط، ويمكن تأويل مقاصده المعلنة وغير المعلنة كمايلي:

- لجأ إلى القصد الآني وهو " فعل قصدي يكون في لحظته وزمنه عند التلبس بالفعل"¹ وقد تمثل في الخطبة في التأثير على المتلقي لينظر إلى الشخصيات ويفاضل بينها، وكيف مارسوا سلطاتهم على الخلافة.

- القصد المضمرة الذي أراده الخطيب هو إقناع الجمهور وتغيير نظرتهم للخلافة الأموية.

ويمكن اعتبار القصد الآني والقصد المضمرة مقاصد ثانوية تخدم القصد الرئيسي وهو القصد الذي من أجله ألقى الخطبة، وهي أن الخوارج أصلح للخلافة من غيرهم وأن الخليفة يمكن استبداله في حال خروجه على المنهج الرباني والسنة النبوية.

ولهذا نجد الخطيب قد مارس عمله الحجاجي عن طريق الرابط وفقا للتسلسل الزمني، وكان تسلسل الأحداث تسلسلا منطقيا، ويمكن أن نمثله على شكل قياس خطابي كمايلي:

- بنو أمية خالفوا دين الله (حسبه)

- الخوارج متبعون لما جاء به الرسول والخلفاء الراشدون (بذكر محاسنهم)

- الخوارج أصلح للخلافة من غيرهم.

¹ - إدريس مقبول : في تداوليات القصد، ص 1216

ووظف " زياد بن أبيه " أيضا هذا الرابط - الواو- باستمرار في الخطبة، لخدمة المحتوى المفهومي الذي يخدم السلسلة الكلامية، وسنأخذ نموذجا من خطبته، يقول : " وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرق قوما غرقناه، ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نكب بيتا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبراً دفناه فيه حيا"¹

نجد أن مقاصد هذا الرابط هو الإشراك من غير ترتيب، فكانت عقوبة من غرق قوم غرقه في الماء، ومن حرق دار قوم حرقه بالنار، وكانت عقوبة نابش القبور دفنه حيا، هذه الجمل ومعانيها الدلالية التي خدمت الجملة الأولى أن لكل مذب عقوبة، الذي عطف بها الجمل التي جاءت بعده

فالقصد الظاهر هو كشف عقوبة كل مذب، أما القصد الضمني أنهم إذا تراجعوا عن غيهم هادئهم وسالمهم.

لقد اعتمدنا الرابط " الواو " في الخطب، لأنه من أكثر الروابط دورانا، وظفه الخطباء باستمرار في خطبهم، ساهم في اتساق الخطبة من ناحية ومن ناحية أخرى في انسجامها، فأبرز مقاصدها التداولية، حسب المواضع التواصلية الملائمة لها، كالقصد الآني والمستقبلي، والظاهر، والضمني.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/63

6 - مقاصد الفعل الكلامي وتأويله في الخطب:

تعد الأفعال اللغوية مبحثاً أساسياً لدراسة مقاصد المتكلم، وتمثل وظيفة القصد في قدرته على تحليل الغرض من أي فعل لغوي، على اعتبار أن القصدية هي جوهر الأفعال الكلامية، حيث تعد عنصراً أساسياً ضمن شروط نجاح الفعل الكلامي.¹ ويأتي دور المتلقي المؤول من أجل محاولة تفسير معاني وسلوكات المتكلم، من خلال استعانتة بالعمليات الذهنية، التي تمكنه من الوصول إلى فك مغالقتها.

ولقد تنوعت الأفعال الكلامية التي وظفها " الخطباء " في خطبهم، بتنوع المقاصد والأغراض التي كانوا يبتغون توصيلها إلى الجمهور، ومن أبرزها نذكر مايلي :

1.6 . الأفعال الإخبارية ، مقاصدها وتأويلاتها:

وظف " الحجاج " في خطبته الكثير من الأفعال الإخبارية، حيث وظفها في معظمها ليعبر بها عن قصده وتحديد موقفه تجاه الجمهور السامع.

وقد خرجت معظم الإخباريات إلى أغراض إنشائية، كانت هي تحديدا الأغراض التي قصدها المتكلم، ولهذا تجاوز " الحجاج " فعل الإخبار إلى إنجاز أفعال متضمنة في أقواله.

ومن أقوال " الحجاج " التي تشير إلى ذلك " أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله...وإني لأرى أبصارا طامحة وأعناقاً متطاوله... " ²

هل يمكن اعتبار هذا القول فعلاً إخبارياً أراد منه الحجاج إفادة الجمهور بمعلومات أو أخبار لا يعرفها، على اعتبار أن الخبر كما يرى " الزركشي " " القصد به إفادة المخاطب " ³ أم

¹ - ينظر ذهبية هو الحاج: التداولية واستراتيجية التواصل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015، ص 191

² - أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ، ص 275

³ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص 510

أنه قول أراد به " الحجاج " إنجاز أفعال إنشائية، كالتهديد أو التحذير، أو الأمر...؟
ولمعرفة ذلك سنحاول تحليل هذا القول الإخباري إلى مكوناته الثلاث: القولية، والإيجازية،
والتأثيرية.

1.1.6 - فعل القول :

يتكون فعل القول حسب " أوستين " من الفعل اللفظي، وهو النطق بألفاظ تشكل
تركيبا نحويا ينتج عنه معنى دلاليا محددًا.

وقد اشتمل الفعل اللفظي في قول " الحجاج " على مجموعة من الأصوات المكونة
للكلمات الموجودة في الملفوظ، كالأفعال والأسماء والحروف نحو: أحمل، أعناقًا، أبصارًا، أحذوه،
إن، الواو...

وتتساق هذه الكلمات وفق مقام محدد مشكلة نظاما لغويا صحيحا من الناحية الصوتية،
والمعجمية، و التركيبية، وهذا ما يؤدي إلى منح التراكيب اللغوية معنى دلاليا، يقوم على اختيار
ألفاظ محددة لتأدية معاني محددة، يقول " فان دايك " : " اختيارنا للألفاظ هو اختيارنا للمعاني
والدلالات"¹

وقد نجح " الحجاج " في اختيار الألفاظ التي تتوافق مع المعاني المقصودة ومع أقدار
السامعين وطبقاتهم وحالاتهم المقامية، يقول " العسكري " عن أهمية ذلك " ينبغي أن تعرف
أقدار المعاني فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين و بين أقدار الحالات فتجعل لكل طبقة كلاما،
ولكل حال مقاما، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار
الحالات"²

¹ - فان دايك : النص والسياق ، ص 265

² .العسكري : الصناعتين ، ص 125

أما عن الألفاظ التي اختارها، فقد كانت مزيجاً بين الأفعال والأسماء، وحروف معان، فمن الأفعال نجد (أحمل ، أحمذو ، أرى) وتراوحت زمنياً بين المضارع والماضي. ومن الأسماء (الشر ، أعين ، طامحة ، متطاولة ، أعناق...) فقد غلبت عليها الصفات.

ومن حروف المعاني (إن ، لام التوكيد ، الباء ، الواو).

امتاز فعل القول في هذا المنطوق بالخصائص الأساسية التي جاء بها " أوستين " هي علاقة الترابط اللغوي الموجودة بين المستويات البنوية، الصوتية منها والنحوية والصرفية والدلالية. وقد اتصف هذا القول الإخباري بفعل التوكيد الذي تكرر بصيغتي " إن " و " لام التوكيد " في سياق الرد على أهل العراق، المنكرين لسلطة الولاة عليهم، على الرغم من إيمانهم بذلك، وهذا ما برر لـ " الحجاج " الاعتماد عليه، وتقويته، يقول " الزركشي " عن وظيفة التوكيد " إنما يؤتى به للحاجة للتحرز عن ذكر مالا فائدة له، فإن كان المخاطب ساذجاً ألقى إليه الكلام خالياً عن التأكيد، وإن كان متردداً فيه حسن تقويته بمؤكد، وإن كان منكراً وجب تأكيده...¹

2.1.6 - الفعل القضوي:

ويشمل الفعل القضوي - في تعديل سيرل - المتحدث عنه أو المرجع، والمتحدث به أو الخبر، ولا يقع وحده، بل يستخدم دائماً في فعل إنجازي في إطار كلامي مركب؛ لأنك لا تستطيع أن تنطق بفعل قضوي دون أن يكون لك مقصد من نطقه.²

¹ - الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ص 310

² - ينظر علي محمود حجي الصراف: الأفعال الإنجازية، ص 54

وبالعودة إلى الملفوظ والتدقيق في محتواه الخبري، نجد أن المحتوى القضوي يشكل محور القضية، وقد أحال إلى مرجع محدد هو جمهور أهل العراق، وقد أسند الأفعال (أحمل، أأخذو، أرى...)، وهي عبارة عن محمولات، لمواضيع تخدم المحتوى القضوي أو القضية أو الخبر وهو إخبارهم بأنه يتصف بالقوة والحزم، وفي كل محمول هناك شيء مغاير للمحمولات الأخرى ولكنها توحدت من حيث حالتها الإخبارية، المتمثلة في الإخبار عن وقائع في العالم الواقعي.

وقد خرج الفعل القوي والفعل القضوي الذي تضمن الإخبار وجاء على شكل تأكيدات إلى مجموعة من المقاصد.

3.1.6 - مقاصد الفعل الإنجازي:

- القصد الإخباري : وهو " ما يقصد إليه المتكلم من حمل لمخاطبه على معرفة معينة، هذه المعرفة التي ليست سوى ما أراد المتكلم من الكلام فكل كلام يحمل في الغالب خبراً مضموناً، وهذا الخبر سواء توحد أو تعدد، إنما يأتي ليبين عن موقف خاص من قضية، فيكون بذلك مفيداً لأمر قد يعرفه المخاطب تذكيراً وتنبيهاً، أو يجهله فيكون تعريفاً له وتبصيراً"¹

وهو وجوب حمل للمخاطب فائدة معينة، يقول الجاحظ : " لا خير في كلام لا يدل على معنك، ولا يشير إلى مغزك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزلت"²

وعليه فالقصد من الإخبار هو تحقيق فائدة صادرة عن المتكلم وموجهة إلى المخاطب.

وقد هدف "الحجاج" من خلال قصده الإخباري إلى تبصير جمهور العراق، وتذكيرهم بأنه يتصف بالقوة والقسوة والسلطان المدعومة بسلطة الخليفة.

¹ - إدريس مقبول : في تداوليات القصد ، ص 1212

² - الجاحظ : البيان والتبيين ، ج 1/ 116

وقد حمل هذا الملفوظ قصدا أوليا تجسد في نطق الجملة، بحروفها، وألفاظها، وتراكيبها، وهو شرط تحقيق الجزء الأولي من الملفوظ.

والقصد الثاني: تمثل في أنه لم يقصد نطق الجملة في حدوداتها، بل كان يعينها من خلال هذه التوكيدات، وهو بهذا يحقق شروط ملاءمة على شروط ملاءمة؛ بمعنى تحقق القصد الثاني من الأول.

أما القصد الثالث: يتمثل في أن قصد المتكلم يجب أن يفهم من قبل الجمهور، بشرط أن يتعرف الجمهور معرفة قصدية القصدين الأولين؛ أي أن يكون الجمهور على علم بأن الخطيب نطق بالجملة قصديا، ومن هنا يتحقق القصد التواصلية المنشود من العملية التخاطبية بين الخطيب والجمهور.

وعليه فالملفوظ التقريري الذي حمل التوكيد، قصد به الخطيب معاني التهديد والوعيد، وبذلك خرجت قوته الإنجازية من الإخبار إلى الإلزام؛ الذي يندرج حسب "سيرل" ضمن صنف الإلزاميات، أو ما يسمى بالتهديد الإلزامي، الذي يكون مضمونه في مصلحة المستمع. و"الحجاج" ملزم بتنفيذ هذه الأفعال في المستقبل، وقد حملت أقواله قصدا مستقبليا. فمن خلال الملفوظ التقريري المدروس، أراد "الحجاج" أن يقنع الجمهور بتغيير أفكاره التي تدور على الفتن والفرق السياسية، وبتغيير مواقفه تجاه الولاية.

وبهذا تجلّى مقصده المستقبلي الحقيقي في إتباع أوامره، والنهي عن الخروج عن طاعته بصفته واليا جديدا عليهم.

4.1.6 - الفعل التأثيري: ويقصد به "الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقي" ¹، وهذا ما أراده "الحجاج" حيث أحدث أثرا في الجمهور السامع، وهذا ما جعله - الجمهور السامع -

¹ - أحمد محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 46

يخاف ويفزع من تهديدات " الحجاج " لأنهم على علم أنه لا يعرف الرحمة والشفقة، إضافة إلى ذلك فهو الوالي على هذه البلاد المخول للسلطة بأمر من الخليفة "عبد الملك بن مروان".

5.1.6 - الحالة القصدية للملفوظ الإنجازي:

تعتبر الحالات القصدية حالات عقلية، والأفعال الكلامية هي تمثيل لهذه الحالات، وهي مشتقة من القصدية الأصلية (العقلية)، وعليه فالمؤول يؤول العبارات المنطوقة ولا يؤول الحالات القصدية.

يشكل هذا الملفوظ الإخباري اتجاه مطابقة من العبارة إلى العالم وليس العكس، والحالة القصدية هي الاعتقاد*، فإذا كانت العبارة صادقة أو غير صادقة، فالعيب يكمن في العبارة وليس في العالم.

- ومن النماذج القولية أيضا الذي خرج فيها الإخبار إلى إنجاز فعل إنشائي، قول " الحجاج":
" إن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم، وأن أوجهكم إلى محاربة عدوكم مع
"المهلب بن أبي صفرة"، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه إلا
سفكت دمه، وأنهبت ماله، وهدمت منزله"¹

لقد تضمن هذا القول أكثر من ملفوظ، وهي ملفوظات وجمل إخبارية، اتفقت في الفعل الكلامي الظاهر واختلفت في المقاصد؛ ففي قوله "إن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم" حملت فعلا قوليا مباشرا، تمثل في التأكيد على أن أمير المؤمنين أمره بدفع ما يستحقون من أعطيات، وهو إخبار صريح جاء لتحقيق فائدة للمتلقي.

* للاستفادة أكثر في علاقة الإخباريات بالحالة القصدية، يرجع إلى العلاقة بين الحالات القصدية والأفعال الكلامية، ورد ضمن هذا البحث.

¹ - أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب ، ص 277

وأما قوله " سفكت دمه " و " أنهبت ماله " و " هدمت منزله " هي عبارة عن أفعال إخبارية مباشرة، ظهرت من خلال توظيفه، للأفعال اللفظية " سفكت " و " هدمت " و " أنهبت " التي جاءت في صيغة الماضي للدلالة على المستقبل، وهي ألفاظ قاسية من حيث المعنى، وظفها " الحجاج " لاعتبارها الأنسب في هذا الموضوع.

وقد خرج هذا الملفوظ الإخباري من قصد الإخبار الصريح الأول إلى قصد الإخبار الثاني الضمني؛ فالقصد الأول تمثل في إخبار أهل العراق، أنه من تخلف عن مواجهة العدو ومحاربه انجر عنه ما أخبر به، أما القصد الضمني وهو القصد الثاني أو قصد القصد، فيمكن تأويله انطلاقاً من القصد الصريح، بشرط الاستعانة بالسياق وظروف الحال، على اعتبار أن الخطيب يقول أشياء ويقصد أخرى.

وبذلك خرج قول الحجاج من الإخبار إلى فعل التهديد والوعيد، الذي يصنفه " سيرل " ضمن الأفعال الإلزامية؛ بمعنى أنه ملزم بتنفيذ هذه الأنواع من العقاب في المستقبل، وهو معاقبة أهل العراق بسفك الدم، ونهب المال، وهدم المنزل .

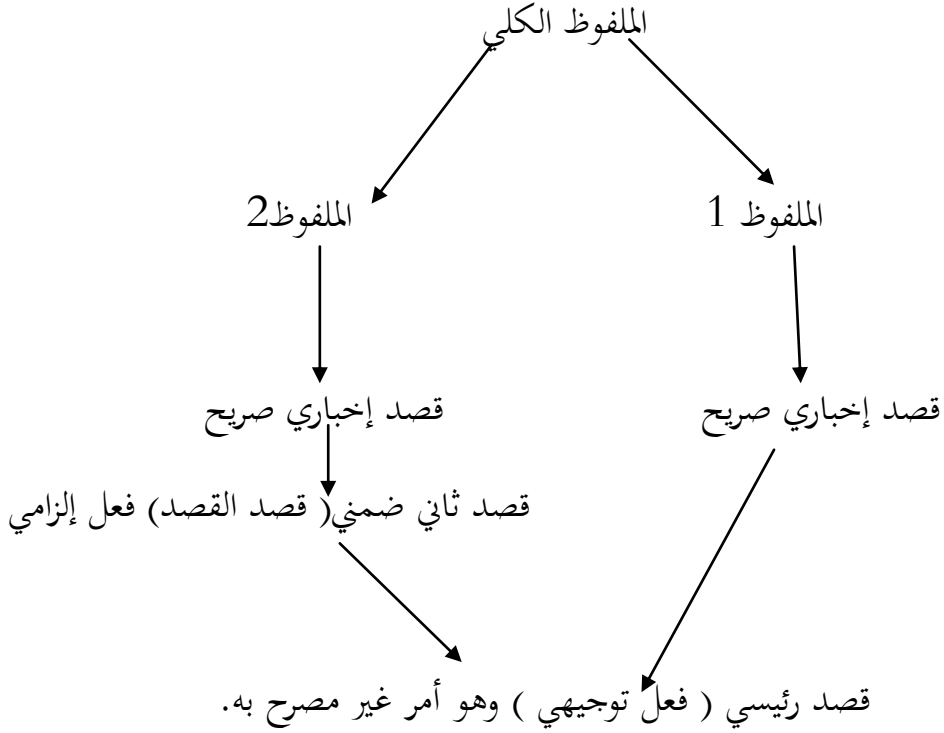
وعليه فالملفوظ الأول والثاني حملاً قصداً واحداً غير مصرح به لفظاً، تمثل في الأمر، أي تكليفهم القيام بفعل.

ويمكن أن يؤول ذلك إلى : أمركم يا أهل العراق بتنفيذ كل الأفعال التي وكنتم بها، وقد تحقق إنجاز هذا الفعل لتوفره على شرط نجاحه، وهو صدوره عن سلطة مؤسساتية، متمثلة في تفويض الخليفة سلطته للحجاج على ولاية أهل العراق . ويمكن أن نمثله وفق المخطط التالي :

- الملفوظ 1 ⇐ إخبار (قصد صريح)

- الملفوظ 2 ⇐ إخبار + إلزام

- الملفوظ الأول + الملفوظ الثاني ⇐ الأمر



وتضمنت خطبة " زياد بن أبيه " ملفوظات إخبارية، ليفيد الجمهور من ناحية وبيّن لهم موقفه السياسي من ناحية أخرى، يقول : " قربتم القرابة، وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتغضون عن المختلس، كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عقابا، ولا يرجو معادا، ما أنتم بالحلماء، ولقد اتبعتم السفهاء"¹

يقف الخطيب في هذا الملفوظ على لوم أهل العراق ومؤاخذتهم على تفشي مظاهر الفساد والفوضى، وكثرة الاعتداءات التي حلت بالبلاد.

نلاحظ أن الخطيب أحسن اختيار الألفاظ وتوظيفها، فقد وظفها توافقا مع حال الجمهور فهي غير غريبة عليهم، كما جاءت متفقة في أبعادها النحوية والتركيبية والصوتية

¹ - الجاحظ : البيان والتبيين، ج2/62، 63

والدلالية، وظفها في هذه الملفوظات الإخبارية لخدمة مقصده الإخباري، والوصول إلى الغاية التي يريد الوصول إليها.

أنجز الخطيب فعل الإخبار عن طريق مجموعة من المقاصد أهمها:

- القصد الإخباري: وقد كان قصد الخطيب في هذه الملفوظات حمل الجمهور المتلقي على مجموعة من المعارف والآراء ينيهم فيها ويذكرهم بالابتعاد عنها لأن الجمهور على وعي بهذه الأفعال الشنيعة.

ففي قوله "قربتم القرابة وباعدتم الدين" كان قصده من هذا الملفوظ الإنجازي تذكيرهم بالتخلي على كل ما أسقطه الدين، لأنهم في رأيه فضلوا القرابة وصلات الرحم وتناسوا الدين ومقوماته التي تحق الحق وتبطل الباطل.

- الإخبار بأنهم "يعتذرون بغير العذر"، قصد إخبارهم بأنهم التزموا في انتحال أعذار غير مبررة في كل الأعمال التي يقومون بها، فهي حسبه أعذار لا تهدف إلى التقويم الصحيح لا للأمة ولا للدين في شيء، فأعذارهم باطلة مردودة عليهم.

- الإخبار بأنهم "يغضون على المختلس" وكان قصده هاهنا التنبيه على أنهم تغاضوا عن المختلس والمستلب لحرمت الله، وهذا التجاوز كان عن قصد منهم، دفعهم إلى ارتكاب الجرائم والمنكرات.

وقد نتج عن هذه المقاصد الإخبارية **القصد التواصلي** وهو ما حمّله الخطيب للجمهور من معرفة مقاصده الإخبارية ليحصل تفاهما بينه وبين الجمهور، ولكن السؤال المطروح هل حصل التفاهم بينهما؟

يمكن القول أن التفاهم يحصل بالقوة نظرا للسلطة التي يملكها، وهو الوالي على العراق، والمنحول من قبل الخليفة "معاوية".

أما عن **قصد القصد** الذي تفرع عن المقاصد السابقة - القصد الإخباري والقصد التواصلية - هو إلقاء اللوم والعتاب عليهم من جراء هذه الأفعال والمظاهر الشنيعة التي مست المجتمع العراقي.

وهذه المقاصد التي لجأ إليها الخطيب تنم عن **قصد مستقبلي** حيث تخرج القوة الإنجازية للإخبار إلى قوة إنجازية مستلزمة تفهم من خلال المقام، وهو النهي ويدخل في باب التوجيهيات وحالته القصدية تنطلق من الجمهور إلى الخطيب، فهو ينهاهم عن هذه الأفعال الشنيعة والخسيسة التي لا ترضي الله في شيء.

يمكن أن يساء فهم فعل الإخبار الذي لجأ إليه الخطيب من قبل الجمهور المتلقي، لأن الخبر في العادة يحتمل الصدق أو الكذب.

وعليه فالسؤال المطروح، هل الخبر الذي وجهه " زياد " إلى الجمهور يحمل الصدق أم الكذب؟

يقول " بلانشي " : "... فحتى الإخبار يتطلب شروط نجاح تشبه تلك التي يشترطها الوعد، لاسيما الصدق"¹

وبهذا يمكن القول أن الخطيب كان صادقاً في أقواله، فقد أخبر ببعض السمات التي يتصف بها أهل العراق، وهي سمات ذميمة، على اعتبار أنه يحمل عليهم معتقدات قبلية جعلته يصدر هذه الأحكام المطلقة.

وقد أضفى كذلك بعض الخصائص التي تضمنها الفعل، انطلق فيها من الواقع والعالم الخارجي.

¹ - فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 116

كما اشتملت أيضا خطبة " أبو حمزة الشاري" على أفعال لغوية إخبارية، كان قصد الخطيب منها الوصف حيث قام بوصف الرسول والخلفاء الراشدين.

ومن قوله: " وأما هذه الشيع فشييع جهلت كتاب الله وأعظمت الفرية على الله."¹

لقد حمل هذا الملفوظ فعلا إخباريا، تلاءمت ألفاظه مع معانيه، وقد قام الخطيب بوصف هؤلاء الشيع بأرذل الصفات التي لا تمت للإسلام بصلة، وكان غرضه من هذا الفعل هو توضيح وجهة نظره للجمهور المتلقي، فتمثل قصده الإخباري في تبصير أهل العراق بأن هذه فرق ضالة لا تؤمن بكتاب الله ولا بيوم الحساب والعقاب.

أما القصد الضمني فهو التأثير في المتلقي وتصويب فكره بالابتعاد عن هذه الشيع، وكأنه ينهاهم ويأمرهم .

أما عن قصد القصد فهو الحصول على التأييد من قبل الجمهور الحاضر.

وبهذا فالملفوظ الإنجازي الإخباري الذي أصدره الخطيب المتجسد في إيضاح بعض الأفكار التي كان يحملها يدخل في باب الأفعال الإيضاحية كما يسميها " جون أوستين"، بالإضافة إلى هذا الفعل فهناك أفعال أخرى، كما شملت كذلك أفعال الحكم* وهو حكمه على كل الشخصيات التي ذكرها في الخطبة مرة بالإيجاب ومرة بالسلب مثل قوله: " ثم ولي معاوية لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن لعينه، فاتخذ عباد الله خولا، ومال الله دولا ، ودينه دغلا"²

¹ - حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، ص494

* وهو إصدار حكم فاصل في صالح مسلك معين للفعل، ينظر أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة، ص192

² - المرجع نفسه، ص492

في هذا الملفوظ أصدر الخطيب حكما مطلقا هاجم فيه معاوية لما تولى أمر الدولة الأموية، فوصفه بأقبح الصفات، وكان قصده الرئيس أن هذا الخارج عن الشريعة والدين لا يصلح لخلافة أمة إسلامية تؤمن بالله وتسن بسنة نبيه.

من خلال تحليلنا لبعض النماذج لمقاصد الأفعال الإخبارية وتأويلاتها نلاحظ مايلي:

- يتم الفعل الإخباري عن طريق الفعل القولي النحوي والصوتي والدلالي محترما القواعد اللغوية كسلامة الألفاظ والتراكيب
- الملاءمة بين الفعل الإخباري والعالم الخارجي، فشرط الملاءمة فيه تنطلق من الكلمات إلى العالم لأن الخطيب هو المسؤول عن نقل الخبر
- تضمنت الإخباريات أفعال الإيضاح وأفعال الأحكام الصادرة من الخطيب
- خروج الأفعال الإخبارية من قوة الإخبار إلى قوى أخرى مستلزمة من السياق والمقام وقصد الخطيب
- توفر شرط الصدق في الإخباريات، وهذا يرجع إلى مصداقية الخطيب عندما يتحدث على فكرة معينة
- توفره على العديد من المقاصد، وكانت المقاصد الإخبارية هي قطب الرحى التي دارت عليه جل الأفعال، بالإضافة إلى أخرى تضمنتها السياقات وأغراض الخطيب

2.6 - الأفعال التوجيهية بين القصد والتأويل:

الأفعال التوجيهية هي محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه ملائماً مع المحتوى الخبري للتوجه، وهي من الأفعال الدالة على الطلب، يقول "السكاكي": "...وأما في الطلب فلأن كل أحد يتمنى، ويستفهم، ويأمر، وينادي" ¹، وغرضها الإنجازي "محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما" ²، وسنورد هذه الأفعال الطلبية في الخطاب، مركزين على الجوانب القصدية لكل فعل، وتأويلاته الممكنة.

1.2.6 - إنجاز القصد في النداء:

لقد تنبه اللغويون العرب قديماً إلى أهمية القصد في أسلوب النداء ودوره في تشكيل المنطوق اللغوي، ويتغير القصد بتغير الحكم النحوي. وقد عرفوه لغة واصطلاحاً كمايلي :

- لغة هو " الدعاء بأي لفظ كان، واصطلاحاً طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو، ملفوظ به أو مقدر، والمراد بالإقبال ما يشمل الإقبال الحقيقي والمجازي، المقصود به الإجابة كما في نحو: يا الله ولا يرد، يا زيد لا تقبل، لأن ياء لطلب الإقبال لسماع النهي" ³ و حسب هذا التعريف فإن النداء يقوم على القصد، وفقاً لطلب الإقبال الذي يستدعي طرفين، داع ومدعو؛ أي متكلم ومخاطب، وبهذا فالنداء يخرج إلى الاستعمال انطلاقاً من فعل التلغظ، لأنه " فعل لغوي يتصل بالقصد لكونه ينشأ بفعل المتكلم حين يعبر به عن أمر في نفسه بأسلوب يقصد منه التنبيه ويحمل المنادى عليه على الالتفات" ⁴

¹ - السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه، عيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983. ص165

² - محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص82

³ - حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية، ص197

⁴ - أحمد كروم: مقاصد اللغة، 139، 140

وقد اعتمده الخطباء بشكل لافت في الخطب، بدليل أنه متوفر في معظم الخطب الأموية، وسنقوم بتحليله في بعض الخطب السياسية.

بدأ "الحجاج" خطبته بأسلوب نداء، في قوله: "يا أهل الكوفة أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله..."¹

حمل هذا النداء الذي وظفه الخطيب فعلا قصديا صريحا تمثل في المؤشر اللغوي، حرف النداء "الياء"، ويتعلق القصد الصريح حسب "طه عبد الرحمان" بالمعاني الظاهرة والحقيقية² كما حمل فعل النداء في ملفوظ "الحجاج"، قصدا تواصليا، باعتباره موجها من الخطيب إلى الجمهور، وقد كان الخطيب هو "الحجاج"، والجمهور هم أهل الكوفة الحاضرون أثناء إلقاء الخطبة، وحرف المنادى به عليهم هو "الياء".

وقد تحقق هذا النوع من القصد بفضل توفره على شروط نجاحه في العملية التخاطبية. ويمكن اعتبار النداء في هذا الملفوظ، من وجهة نظر تداولية، نوعا من صنف الأفعال الكلامية التوجيهية التي وضعها "سيرل"، وقد تمثل القصد منه في رغبة الخطيب توجيه الجمهور إلى القيام بشيء ما.

أما القصد الضمني أو القوة المتضمنة في الفعل الإنجازي للنداء يمكن تأويله إلى تأويلات متنوعة منها:

- لفت الخطيب لانتباه الجمهور، وعرض الأفكار التي يريد إيصال معانيها ومقاصدها؛ لأن الأصل في النداء هو التنبيه "على عظم الأمر وعلو شأنه"³

¹ - أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ، ص 275

² - طه عبد الرحمان : اللسان والميزان ، ص 216

³ - سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني : المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق، عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2013، ص 430

- وجه النداء توجيهها مباشرة لأهل الكوفة لكونه الجمهور الحاضر، وتوجيهها ضمناً إلى أهل العراق عامة باعتباره، جمهوراً غائباً.

كما يمكن للنداء أن يخالف القوة الإنجازية للحمل، يقول "أحمد المتوكل": "المنادى يخالف دائماً من حيث قوته الإنجازية (النداء) الحمل"¹.

وقد تشكل الحمل في قول "الحجاج" "يا أهل الكوفة أما والله إني لأحمل الشر بحمله، وأحذوه بنعله، وأجزيه بمثله" من محمول وموضوع، فالمحمول تمثل في الأفعال (أحمل، أحذوه، وأجزيه) التي أسندت إلى الموضوع وهو الشر، والقوة الإنجازية في البنية الحملية تتضمن التوكيد والقسم، وقد خرجت إلى قوة إنجازية أخرى متضمنة في القول وهي التهديد، وبذلك انتقلت من القصد الأول إلى القصد الثاني (من القصد إلى قصد القصد)، وتمثل خاصية النداء في أنه من الوظائف الخارجية التي تخرج عن البنية الحملية للقول، وبالتالي فقوته الإنجازية التي هي التنبيه مخالفة للقوة الإنجازية للحمل.

كما ظهر فعل النداء عند "الحجاج" في قوله: "يا أهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق...، أما والله لألحونكم لحو العصا*، ولأقرعنكم قرع المروة**، ولأعصبنكم عصب السلمة***..."².

جاء هذا الملفوظ في صيغة الإثبات مؤكداً بالحرف "إن"، ومتضمننا لفعل النداء "الياء" أخبر فيه "الحجاج" عن مجموعة من الإجراءات العقابية التي سيواجه بها مستقبلاً

¹ - أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985، ص 172

* لحا العصا: نزع لحاءها؛ أي قشرها

** المروة: حجارة بيض براقية

*** السلمة: شجر كثير الشوك

² - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، 276،

أهل العراق في حال بقائهم على الحالة التي وجدهم عليها، وهي صفات الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، وبذلك خرج الحجاج بفعل الإخبار إلى إنجاز قوة متضمنة في القول، دلت عليها، بالإضافة إلى النداء دلالات الألفاظ (أحونكم، أقرعنكم، أعصبنكم) المتضمنة لمعاني التهديد.

وبناء على ما تقدم يظهر بأن النداء يحمل مقاصد تداولية، تتصل بظهور القصد تارة وبخفائه تارة أخرى من قبل الخطيب، وبذلك يفتح أبوابا على فعل التأويل التداولي، انطلاقا من مقام الخطبة.

وتجسد فعل النداء أيضا في خطبة "زياد بن أبيه"، يقول: "أيها الناس، إنا أصبحنا لكم سادة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا..."¹

ذكر "زياد" هذا النداء في الجزء الخاص بالأساسة؛ أي بنظام حكمه السياسي، ولم يستهل به الخطبة كما هو معهود عند الخطباء ونحن نعلم أن لفظ النداء هو "فاتحة التواصل بين الطرفين، إذ يفتح القناة بين المتلفظ والسامع المعني بذلك التلفظ"²، والسؤال المطروح لماذا؟ وما هو قصده من ذلك؟

يمكن تفسير هذا بأن الخطيب لم يستهل الخطبة بأسلوب النداء لأنه في بداية الخطبة لجأ إلى أسلوب الردع والتخويف واللوم للأفعال الشنيعة التي يقوم بها أهل العراق، وكأنه وضع الجمهور في قفص الاتهام، مارس عليهم سلطته القضائية والتي خرجت لصالحه بأنهم مجرمون وخارجون عن الطاعة.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/64

² - الأزهري الزناد: دروس البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، العربية للنشر،

صفاقس، تونس، ط1، 1992، ص132

أما في الجزء الثاني الذي بدأه بأسلوب النداء، حاول تقريب الجمهور منه بعد أن اطمأن بأنهم سوف يعملون بما جاء به، فانتقل من الحكم القضائي إلى الحكم الاستشاري، وكأنه يستشيرهم بالحكم السياسي الذي هو بصدد تطبيقه عليهم.

نجد الخطيب في هذا النداء قد استغنى عن أداة النداء " يا " وذلك لتحقيق القرب بينه وبين الجمهور الملتقي، ورأى بأن الإضمار أفصح وأقنع من الإظهار لإقبال أهل العراق على الحكم المطبق من قبله.

وبين لهم أيضا بأن حكمه السياسي ينطلق من التفويض الإلهي، وأن الخليفة هو سلطان الله في الأرض، وهو ما حاججهم به من قوله " نسوسكم بسلطان الله " و " ندود عنكم بفيء الله الذي حولنا "

وقد خرج هذا النداء إلى عدة مقاصد يمكن أن نفهمها من خلال مقامه على الشكل

التالي:

- حمل قصدا ظاهرا وذلك من خلال المؤشر اللغوي "أيها"، في قوله: "أيها الناس"
- حمل قصدا تخاطبيا بتوفر العناصر الأساسية في العملية التخاطبية، الخطيب فقد كان موجها من زياد، الجمهور وهو الطرف الثاني، والمقام واستحضره في ذلك أثناء توليه الخلافة.
- القصد التواصلية: وقد حاول إيصال أفكاره إلى الجمهور بقصد إفهامهم على طريقة الحكم التي يتبناها، وقد تفرع إلى عدة مقاصد:
- قصد أولي: وهي الرغبات والمعتقدات والآمال التي يحملها الخطيب في ذهنه ليحاول توصيلها إلى الجمهور والتأثير فيه.
- قصد ثانوي: وهو محاولة الجمهور معرفة مقاصد الخطيب الصادرة منه حتى يتسنى لهم موافقته في الرأي أم لا، هل يمكن أن نقول بعد ذلك إن الجمهور على وعي بمقاصد المتكلم؟

يمكن القول نعم لأن الجمهور على سعة من البلاغة والبيان والفطنة، وهذا ما يمكنهم من فهم كل عبارة تنطق.

- القصد الثلاثي: وهو ما يرمي إليه الخطيب من جعل الجمهور يقدم إجابة بالقبول لفحوى خطابه، ثم تقديم الموافقة.

الجمهور قدم الموافقة لأنه هنا ملزم، لأن الخطاب يصدر عن مؤسسة عليا، وبذلك لا يمكنه المجادلة، على الرغم من أن أفراد عصابة أهل فتن وفساد.

أما عن قصده الرئيسي من وراء النداء فهو دعوتهم إلى إتباع ساستهم في تولى شؤون الدولة متى تطلبت الحاجة لذلك.

وقد تواتر " النداء " كذلك في خطبة " يزيد بن الوليد " الذي وظفه مرتين في الخطبة

حيث، يقول: " أيها الناس، إني والله ما خرجت بطرا... " وفي قوله: " أيها الناس إن لكم أن لا أضع حجرا على حجر..."¹

و لا يستقيم النداء وحده، فمن الضروري إصباح مضمون الخطبة الذي يعد ضروريا بعد

النداء فهو الذي يشرحه ويترجم مقاصده.

واستهل "الخطيب" في جزئي الخطبة بـ " أيها " محذوفا منها " الياء " وذلك ليعقد

التواصل بينه وبين الجمهور، ويحقق القرب والتلاحم معه.

ففي الجزء الأول " أيها الناس إني ما خرجت... " نجد أن النداء قد ابتعد عن التنبيه إلى

التحبيب، ويتضمن هذا المعنى عددا من المواقف المتقاربة.²، فقد حاول الخطيب من خلال هذا

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/141، 142

² - ينظر الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية، ص 136

النداء أن يكسب الجمهور بأرق العبارات وألطفها ليستميل قلوبهم، وقد كان هذا الإطار والتقرب مقصودا.

والقصد المضمّر الذي حاول الوصول إليه من خلال تقربه واستعطاف الجمهور له هو النظر إليه نظرة طيبة تمحي تلك الصورة السيئة التي تدور في أذهانهم أما النداء الموجه في الملفوظ الثاني، الذي حمل قصد القصد فهو إغراؤهم بجلب المصالح للبلاد وتحسين ظروفهم المعيشية.

ومن خلال هذه التحليلات لمقاصد النداء وتأويلاتها الممكنة نستنتج مايلي:

- عقد النداء التواصل بين طرفي الخطاب.
- رأينا بأن مضمون الخطبة ضروري بعد النداء.
- جاء للتنبيه وهو تنبيه الجمهور لحل القضايا التي يحاول الخطيب إيصالها إلى المتلقي من خلال مقاصده وأغراضه.
- خرج النداء من التنبيه إلى أغراض ومقاصد أخرى فرضها المقام والعملية التخاطبية بين الطرفين.
- القوة الانجازية للقضية الحملية، تختلف عن القوة الانجازية التي يحملها النداء فقد تكون التنبيه أو المحاباة أو الإغراء...
- يكون ظاهرا تارة و مخفيا تارة أخرى ليفتح آليات التأويل التداولي.
- حمل عدة مقاصد ظاهرة وضمنية انطلاقا من المقام التواصلية.

2.2.6 - الاستفهام قصديته وتأويله:

ورد مصطلح الاستفهام عند العرب القدماء بمعنى " حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع النسبة بين الشيئين أو لا وقوعها، محصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور"¹

ويعد الاستفهام بلاغيا من أنواع الطلب، وألفاظه الموضوعية له هي " الهمزة ، وهل ، وما ، ومن ، وأي ، وكم ، وكيف ، وأين ، وأنى ، ومتى ، وأيان "².

أما تداوليا فهو من " الآليات اللغوية التوجيهية بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم فإن المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة عن ذهن المرسل إليه، وتسيير الخطاب تجاه ما يريد المرسل"³

كما تتمثل وظيفة الاستفهام في جلب انتباه المتلقي من خلال طرح تساؤلات سواء أكانت مجهولة أم معلومة لدى المتلقي، وذلك لأنه لا يقتصر على طلب معرفة المجهول فحسب، بل أيضا كما يقول " ابن وهب " : " من الاستفهام ما يكون سؤالا عما تعلمه لتعلمه"⁴

لقد تضمنت الخطب السياسية العديد من الملفوظات الاستفهامية تضمنتها مقاصد الجازية مستلزمة من القصد الصريح.

ونأخذ بعض النماذج ونحللها تحليلا قصديا تداوليا، مستنجدين بالمقام والسياق في تأويلها وفهمها من قبل الخطيب.

¹ - التفتزاني : المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم ، ص 409

² - المرجع نفسه ، ص نفسها

³ - الشهري : استراتيجيات الخطاب ، ص 352

⁴ - ابن وهب : البرهان في وجوه البيان ، ص 94

لجأ الحجاج إلى هذا النوع في قوله : " أني والله لا أعد إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت ولا أخلق إلا فريت، فأياي وهذه الشفعاء والزرافات والجماعات، وقالوا وقيلوا، وما تقول ؟ وفيم أنتم وذاك؟"¹

تمثلت قوة هذا القول الإنجازية في التحذير، لأن الخطيب يحاول أن يحذر السامع من أمر ما وهو فعل القيل والقال وكثرة السؤال مما يثير الشك ويبعث على الفتن بين الناس، وهو الفعل الذي كانت تمارسه وقت "الحجاج" في العراق فرق سياسية وطوائف دينية معارضة لحكم بني أمية.

ويمكن أن يؤدي الاستفهام في قول " الحجاج " إلى وظيفة حجاجية تتمثل في التأثير على المتلقي، بالاستناد على ما يمتلك من سلطة تحوله إلى تحويل الاستفهام إلى إقناع، من خلال إقناع المتلقي بتغيير أفكاره السياسية ومعتقداته الدينية، بما يتماشى مع مصلحة الدولة الأموية.

أما عن الحالة القصديّة للاستفهام في قول " الحجاج " فقد شكلت اتجاه مطابقة من العالم إلى إلى الكلمة، بمحاولة إحداث تغيير في واقع الجمهور، وجعله متطابقا مع مضمون الفعل اللغوي.

أما عن شرط صدق هذا الفعل فهو رغبة "الحجاج" في توجيهه إلى المتلقي والسيطرة على ذهنه والتحكم في مجريات الأحداث.

ونجد في خطبة " زياد بن أبيه " الاستفهام بالهمزة في قوله: " أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية..."²

¹ - أحمد زكي صفوت : جمهرة خطب العرب ، 276

² - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/63

ينتمي هذا الملفوظ إلى الخطبة السياسية، وهو صادر من سلطة أنتجته وهو " زياد بن أبيه " توجه به ظاهريا إلى مخاطب وهو الجمهور المتلقي المائل أمامه وهم أهل العراق، وتمثل هذا الملفوظ الانجازي بالاستفهام بالهمزة*

وقد حمل قصدا ظاهرا وهو الاستفهام الموجه إلى الجمهور الذي طمح ببصره إلى الدنيا والاستمتاع بها، والمؤشر له هو أداة الاستفهام الهمزة.

كما تجسد القصد الضمني - انطلاقا من القصد الظاهر - في تعجبه من تلك المفارقات التي أدت إلى الانشغال والانغماس في ملذات الدنيا، وهم العارفون بأنها إلى زوال.

وقد تفرع القصد الضمني إلى مقاصد أخرى:

- مؤاخذتهم على هذه السلوكات التي لا تمت للإسلام بشيء.

- تغافلهم عن الآخرة التي هي دار القرار.

وبذلك يمكن القول أن الاستفهام بالهمزة انتقل من السؤال إلى التعجب، ونجد التعجب انتقل إلى قصد آخر، فالخطيب كان مستنكرا منهم ومنكرا عليهم تناسيهم دينهم، وكأنه يمزج بين الحس السياسي والحس الديني، فالمائل أمام هذا الملفوظ يرى بأن الخطيب هو رجل دين وليس رجل سياسة.

ومن ثم فالماقصد المذكورة آنفا خرجت إلى القصد الجوهرية الذي يمكن أن نرصده من خلال العملية التأويلية والمقام إلى أن الخطيب يوجب العقاب على مرتكبي هذه الأعمال الظالمة التي لا ترضي الله ولا تحتكم إلى شريعته.

* ترد الهمزة لطلب التصور، كما انفردت أيضا بأنها تدخل على المنفي، كما ترد للإنكار والتوبيخ والتعجب بخلاف " هل " ، ينظر المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، ص 341، 342

نلاحظ أن هذا الملفوظ الاستفهامي خرج إلى مجموعة من القصود وهي القصد الظاهر، والقصد الضمني الذي تمثل في التعجب، وهذا القصد خرج إلى الإنكار، وكلها خرجت إلى قصد جوهرى، وبذلك تمثل في (قصد قصد قصد القصد)

وقد تضمن في نفس الجزء من الخطبة ملفوظا استفهاميا يقول: " ألم تكن منهم نهاية تمنع الغواية عن دلج الليل وغارة النهار؟"¹

فهو عبارة عن ملفوظ إنجازي ظاهره الاستفهام المؤشر له بالهمزة، وباطنه مقاصد أرادها الخطيب وحاول الخروج إليها، فقد خرج الاستفهام إلى :

- الإنكار : خرج القصد الظاهر إلى قصد ضمني تمثلت قوته الإنجازية في إنكار أهل العراق صمتهم بأن يمنعوا الغواية عن دلج الليل، ألا يوجد منهم رجل واحد ينهي المنهمك في الضلالة.

وكأنه فهم من هذا الصمت أنه كان مقصودا من قبلهم، ولكن السؤال المطروح هل الصمت كان مقصودا من قبل أهل العراق، أم أنه ادعاء باطل من قبل الخطيب؟

يمكن القول أنه كان مقصودا لأنه يملك افتراضات مسبقة حولت له هذا الفهم، وهذه الافتراضات هي:

- يعلم أنهم أهل فتنة وفساد وسوء خلق.

- ابتعادهم عن الدين؛ لأنه رصد لهم مجموعة من الأفعال الشنيعة التي يقومون بها.

وقد خرج الإنكار إلى قصد آخر مضمرة وهو التوبيخ وهو القصد الأساسي الذي قصد إليه الخطيب، الذي ألقى كل اللوم والعتاب على هذه المنكرات الذميمة، مستهجننا إياهم بكل صيغ التوبيخ ومؤاخذتهم على تخاذلهم على هذه المنكرات.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/ 63

وعليه يمكن القول أن الملفوظات الاستفهامية التي أدرجها " زياد " في خطبته تنم على الصفات الذميمة التي يحملها أهل العراق، وهذه الأفعال توجب العقاب.

تأسيسا على ما سبق ذكره في تحليلنا للملفوظات الاستفهامية نستخلص مايلي:

- خرج الاستفهام من السؤال إلى أغراض ومقاصد أخرى كالتحذير والتعجب والإنكار والتوبيخ والتأكيد، وذلك فرضه السياق والقوة المتضمنة في الفعل.
- حمل مقاصد ظاهرة وضمنية، وبالتالي تعددت التأويلات
- حمل مضمرات فهمت من خلال التأويل التداولي للملفوظ
- خروج الملفوظ الواحد إلى عدة قصود (القصد وقصد قصد القصد) والتي فرضتها طبيعة الملفوظ والقصد التخاطبي بين المتكلمين والسياق التداولي.

3.2.6 - إنجاز القصد في الأمر:

يعد الأمر من الأفعال التوجيهية - حسب تصنيف سيرل - الذي يكون ملائماً للمحتوى الخبري، وتختلف مفاهيمه باختلاف وتعدد المرجعيات المعرفية لكل باحث في هذا المجال.

والأمر هو إنشاء طلب يتعلق بتحقيق فعل على وجه الاستعلاء. وله مظاهر تركيبية، فيكون إما فعلاً صريحاً، ويستعمل مع المخاطب، فيكون الأمر مباشراً من الأمر إلى المأمور، أو يأتي على صيغة اسم فعل، مثل صه بمعنى (اسكت)، أو مه (بمعنى خذ)...، أو مع الحروف الداخلة على الفعل المضارع المجزوم.¹ وهذه الأفعال الصريحة أو المباشرة لها شروط استعمالها "أهمها أن تصدر ممن يمكنه إصدار الأوامر، وممن تكون له ظروف ومواصفات تخول له إصدارها"²، وإلا فإنه لن يفيد إلا الطلب بحسب قرائن الأحوال وماناسب المقام، كالدعاء والتلطف، والالتماس، ومقام الإذن، والتهديد...³

فنجد أن الأمر يخرج إلى مقاصد أخرى، وخروج دلالاته عن الدلالة الأصل، ناتج عن التأويل التداولي، والكفاءات التأويلية للمخاطب.

وسنستخرج من الخطب السياسية بعضاً من أفعال الأمر، وما ينم عنها من مقاصد مختلفة بحسب المقام التداولي. ومن أمثله مايلي:

¹ - الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية، ص 120

² - خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص 214

³ - ينظر السكاكي: مفتاح العلوم، ص 318، 319

يقول " زياد بن أبيه " : " كفوا عني أيديكم وألسنتكم، أكفف عنكم يدي ولساني"¹

ينتمي هذا الملفوظ إلى خطاب سلطوي أنتجه " زياد بن أبيه " حين ولي واليا على أهل العراق، موجهها إلى أهل العراق.

جاء هذا الملفوظ الإنجازي في صيغة الأمر (كفوا) ، ورد في صورته على سبيل الاستعلاء لأن الخطيب أعلى رتبة من الجمهور الذي وجه إليهم الخطاب.

وقد خرج الأمر إلى عدة قصود حسب قرائن الحال والمقام منها :

- القصد الأول: تمثل في الطلب، فقد طالبهم بكفهم عنه أيديهم وألسنتهم، وهي كثرة الأفعال السيئة التي ترتكبها أيديكم، وكثرة القيل والقال في أشياء لا تنفعكم.

- القصد الثاني: وهو قصد القصد، خرج إلى النصح والإرشاد، وقد أمرهم أن يكفوا عنه هذه الأعمال، ليأمنوا شره، ويتجنبوا شراسته (أكفف عنكم يدي ولساني)

- القصد الثالث: وهو قصد قصد القصد، خرج إلى التحذير، وقد حذرهم إن لم يكفوا عن هذه الأفعال، فالسيف هو دواؤكم، الذي يداوي به كل متمرّد خرج عن طاعته.

من خلال هذه التأويلات يمكن أن نخلص إلى الشكل التالي:

القصد الأول (الطلب) + القصد الثاني (النصح) ← قصد آني لأن الخطيب قصد بهذه الأفعال الوقت الحاضر أمام الجمهور.

القصد الثالث (التحذير) ← قصد مستقبلي، لأن الخطيب قصده في المستقبل إن لم يستجيبوا لما أملاه عليهم.

والحالة القصدية للأمر أخذت اتجاه مطابقة من العالم إلى الكلمة، لأن العيب والإشكال لا يكون في الخطيب - الصادر عنه الأمر - ولكن في الجمهور الموجه لهم هذا الأمر،

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/63

لأن الأمر في أيديهم في تنفيذ هذه الأوامر أو عصيانها، وقد كان الأمر الموجه صادرا من سلطة عليا، وعليه لا يمكن عصيان الأوامر.

3.6 - إنجاز القصد وتأويله في الوعد:

يعد الوعد من الأفعال الكلامية التي يلجأ إليها المتكلم ليعبر عما يقصده وينويه في المستقبل، وهو إنجاز يلزم به المتكلم نفسه.

ومن الأفعال الواردة في الخطب السياسية، نأخذ نموذجا من خطبة "يزيد بن الوليد" يقول: "إن لكم علي ألا أضع حجرا على حجر... ولكم عندي أعطياتكم في كل سنة... فلکم أن تخلعونني"¹

يشتمل هذا القول على مجموعة من الملفوظات الانجازية، أنجزها "الخليفة" متوجها بها إلى الجمهور، وقد تضمن أفعالا وعدية غير مباشرة، وغير مصرح بها بصيغة "أعد"، قدم فيها الخطيب نفسه المسؤول الأول على البلاد، وبذلك فهو ملزم بتنفيذ هذه الوعود. ففي الملفوظ الأول "إن لكم عندي..." فهو بهذا الوعد حاول أن يطمئن الجمهور بأن يهتم بشؤون البلاد قاطبة، ويسد حاجياتهم قبل حاجياته، ولا يبالي بنفسه بقدر ما يبالي بهم، وقد دعم هذا الالتزام بمجموعة من الحجج، من مثل: "لا أكري نхра، ولا أكنز مالا، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد ثغره..."²

وقد حمل هذا الفعل قصدا مستقبليا، أي أنه ملزم بهذه الأفعال مستقبلا.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/142

² - المرجع نفسه، ص142

أما في قوله " لكم عندي " ويحمل كذلك وعدا بتنفيذ، وهو إعطاء الأعتية والرذق، وبالتالي أأزم نفسه بالقضاء على الفقر وتحسين ظروف العيش بينهم، وهو المسؤول عن هذه الإأراءات مستقبلأا.

فقد حمل أيضا قصدا مستقبلأا ظاهرا وهو التزامه بهذه الوعود، وقصدا مستقبلأا خفيا غرضه مؤازرته وطاعته في الحكم.

وفي قوله " لكم أن تخلعوني " تجسد الوعد الذي أأزم به نفسه من خلال الفعلين الآنفي الذكر، فإذا لم يلتزم بتحسين ظروف البلاد وظروف معيشة المسلمين فعليهم أن يخلعوه من السلطة.

وعليه أأاز لنا القول أن شروط الفعل الأناأازي تحققت، وللتأكيد سوف ندرجها كمايلي:
- لقد تحققت قاعدة المحتوى القضوي، فالملفوظ صادق، أنجزه الخطيب أأاضرا أأراد به مستقبلأا، فقد أأزم بها الخطيب نفسه وبالتالي يفعلها ولا يسندها إلى غيره (فالخطيب لم يعد الأجمهور أن هذه الوعود سوف ينجزها شخصا آأرا)

- الشروط التمهيدية تحققت لأن الخطيب أأادر على إنأاز هذه الوعود، لكونه خليفة (في موقف سلطوي)

- شرط الصدق: الخطيب كان مخلصا، لأنه ينوي الفعل الموعود بوقوعه، فهو لا ينوي الوعد غير الصادق.

- أما الشرط الأساسي وهو التزام الخطيب بما يقصده وينويه دون تراخ، وقد دعمه بقوله " وإن أنا لم أوف فلکم أن تخلعوني "

- الفعل التأثيري:

من خلال هذا الفعل الإنجازي المتمثل في الوعد، حاول الخطيب استمالة وإقناع الجمهور، من أجل مؤازرته وطاعته لتحسين ظروف البلاد أفضل مما كانت عليه مع الخليفة السابق وهو ابن عمه "الوليد بن يزيد".

- ناتج الفعل التأثيري:

لم ترد ردود الجمهور في الخطبة، وعليه يتعسر علينا تأويل ما يكونه من تولي " يزيد بن الوليد " الخلافة عليهم.

ولكن من خلال مقام الخطبة العام وتحليلنا لبعض مقاصد المتكلم، نستشف أن الجمهور كان رافضا لحكمه، لأنه قتل " ابن عمه " من أجل الخلافة، و هذا الفعل الشنيع الذي حرمه الإسلام لا يشفع له من قبل الجمهور.

ربما كانت هذه المعاملة اللطيفة والحسنة مع الرعية تثبت مدى تعلقه للجمهور من أجل مساعدته على تسيير شؤون الحكم، بدليل الوعود التي أظهرها لهم علنا وهي وعود مغرية.

- خلاصة الفصل:

تضمنت النتائج التي خرج بها هذا الفصل إلى مايلي:

- تضمنت الخطب السياسية بعض الحالات القصدية، كالصمت، والرغبة، والرؤية...، وهي حالات واعية بانية تنطلق من قصدية الوعي إلى الموضوع المفكر فيه في العالم الخارجي، تدور في فلك الخلافة والحكم، وفق قصدية الملاءمة من العقل إلى العالم، ومن العالم إلى العقل.
- رصدنا من خلال قصدية الافتتاح وتأويلاتها في الخطب السياسية أنها لم تخرج عن طابعها الديني، وما خرج كان مقصودا من قبل الخطباء لأن المقام هو من فرض ذلك.
- لجأ الخطباء إلى استعمال ألفاظ موحية تخدم المعاني من جهة، والأغراض والمقاصد من جهة أخرى، وكانت - الألفاظ - لينة في بعض المواقف وغليظة في مواقف أخرى، بحسب ما تقتضيه الخطبة.
- تضمنت التكرار بنوعيه التام والجزئي، وذلك تلبية لحاجة كلامية محددة، وقد نتج عنه مجموعة من المقاصد.
- اعتمدت الخطب السياسية على الرابط الواو بكثرة لأنه الأكثر دورانا فيها، فربط أجزاء الخطبة وأبرز أهم مقاصدها التداولية، بحسب المواضيع التواصلية، كالقصد الآني والمستقبلي، والضمني...
- احتوت الخطب على الأفعال الكلامية بشتى أنواعها، من إخباريات وتوجيهيات ووعديات، حيث خرجت عن معناها الصريح إلى معناها المضمّر، تولدت من مقام الخطبة وقصد المتكلم، كالقصد الظاهر، والخفي والتواصلية والمستقبلي...، وكيف تم تأويلها بحسب المعرفة المشتركة بين الخطيب والجمهور السامع.

الفصل الثاني

القصد والتأويل في الخطب الدينية،

دراسة تداولية حجاجية

- مقدمة الفصل:

يهدف هذا الفصل إلى تطبيق آليتي القصد والتأويل في الخطب الدينية في العصر الأموي في جانبها التداولي وبعدها الحجائي، وقد اخترنا بعض النماذج من الخطب، ومدى توظيفها من قبل الخطيب باعتماده على عناصر إقناعية، موظفا إياها توظيفا قصديا. واعتمدنا في التحليل على الظواهر البلاغية من بيان وبديع ومعاني، لأن الخطيب استعملها بقصد تداولي محدد مراعيًا مقتضى الحال.

وحدد الفصل العناصر التالية:

- مقاصد الصور البيانية وتأويلاتها، وأهدافها الحجائية.
- المحسنات البديعية، وأغراضها التداولية وتأثيراتها على الجمهور.
- الخبر والإنشاء بين القصد والغرض والغاية.

- تمهيد:

تبوأ الخطابة الدينية* في العصر الأموي مكانة مرموقة، فكان لها الأثر البارز من خلال وعظ الخطباء للناس بالمواعظ الحسنة، وأسهم في تلك الخطب الوعظية الخلفاء والولاة ونفر كبير من الخطباء مستلهمين آيات القرآن الحكيم وتعاليم الرسول الكريم.

وبدت الخطابة الدينية في باب الزهد والوعظ تنتقي مادتها من المصادر الإسلامية، حاول من خلالها الوعاظ تجاوز فتن الدنيا وضرورة العمل للأخرة، كما انشغلوا بقضية الأرزاق وتوزيعها، محاولين من خلال هذه المواعظ إنقاذ الناس وحثهم على الانشغال بالثواب والعقاب والجنة والنار وما بعد الموت، وتركهم لما تحمله الدنيا من ملذات تفتتهم عن الدين وعن العبادة.

وكان سعي الخطيب التأثير في نفوس الناس معتمدا على عناصر إقناعية من حجج وبراهين ومنطق وعاطفة، موظفا إياها توظيفا قصديا يتلاءم مع ظروف الحال وأحوال المتلقين.

وسوف نتخذ بعض النماذج من الخطب الدينية، مركزين على بعض الآليات والمظاهر التي تجلت في الخطب، راصدين مقاصد الخطيب التي وظفها في مجاله التخاطبي، مستخرجين التأويلات الممكنة وفق السياق والمقام، معتمدين على أسس غربية وعربية في استنطاق المقاصد والتأويلات المتوفرة، ساعين من ورائها إلى مدى قدرة الخطيب على مواجهة الجمهور وتمكنه من التصرف في عقولهم ونفسياتهم بالحجج المقنعة التي يرمي من ورائها لقصد التأثير فيهم.

* لقد تعددت المذاهب الدينية في العصر الأموي وذلك راجع إلى الجدل الكبير في مسائل العقيدة، كمسألة ارتباط الإيمان بالعمل، وهل المسلم يعد مؤمنا وإن لم يؤد الفروض الدينية، ومثل حرية الإرادة... ومثل مسألة صفات الله وغيرها وسرعان ما تكونت فرق الجبرية والمرجئة والقدرية والمعتزلة... ينظر شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ص 409

واتخذ الخطيب في هذا المجال مبدأ التأدب كآلية للتخاطب، ومقتضاه حسب "لاكوف"
" بأن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام،
ومن ضوابط التهذيب ما لا يقل عما يلتزمان به من ضوابط التبليغ"¹

فهذه القواعد تتفق مع لغة الخطيب، بحيث يكون كلامه الملقى متفق مع مقاماته
الخلقية كرجل دين، ينوي بها تهذيب سلوك الجمهور بتقوية آدابهم وأخلاقهم.

1 - مقاصد الصور البيانية وتأويلاتها وأهدافها الحجاجية:

ارتبطت بلاغة الخطيب بالصور البيانية ارتباطا محكما، فالمتكلم أو الخطيب يحاول
إيصال أفكاره إلى المتلقي عن طريق التصوير البياني مراعيًا شرط القصد والإفادة مع سلامة
الألفاظ ومطابقتها للمقام وللمقتضى الحال، وهذا غير بعيد عن ما جاء به قدماء العربية، يعرفه
" السكاكي " بقوله: " وأما علم البيان فهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في
وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام
المراد منه"²

وعلى هذا نجد أن خطباء العصر الأموي اهتموا بهذا الجانب التصويري (استعارة،
تشبيه، كناية...) والقصد من إيرادها وتلقي الجمهور لها وأثرها في نفسيته.

ونقف على بعض النماذج البيانية من الخطب الدينية ومقاصدها التداولية ومدى تأثيرها
الحجاجي في ذهن ونفسية الجمهور، والتأويلات التي تخرج إليها.

¹ - طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 240

² - السكاكي: مفتاح العلوم، ص 162

1.1 - الاستعارة:

إن الاستعارة تتشعب من خلال رؤية تداولية بعدة زوايا، وذلك لتعدد الأفكار التداولية التي ترتبط بالاستعارة وترتبط بها الاستعارة؛ منها فهم الاستعارة بوصفها وسيلة لغوية تواصلية، وتفسيرها على المستويين؛ مستوى التواصل والتفاعل والمستوى الأدبي والفني... ويأتي التمييز بين المعنى الحرفي (معنى الجملة، المعنى النحوي) والمعنى التداولي (المعنى السياقي معنى المتكلم) بمثابة الفكرة الأم التي تجمع بين القضايا المثارة وفق رؤية تداولية.¹

ترتبط بالجانب التداولي مع مراعاة السياق الثقافي والاجتماعي ومقاصد المتكلم في العملية التخاطبية، وهذا ما نحاول تجسيده في الخطب الدينية

يقول الحسن البصري* في خطبته: " يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربعهما جميعا"²

وجه الخطيب هذه الاستعارة للحاضرين معه في المجلس بصفة خاصة وإلى جميع الناس بصفة عامة، وقد وظفها الخطيب لمقاصد معينة وفق المقام الذي استحضرته فيه.

وقد شكلها بنسق من الرموز و العلامات اللغوية المتواضع* عليها في البيئة اللغوية التي

يتنمي إليها، وقد تم ذلك وفقا لمخزونه الذهني والمعجمي، وجاء نظم ألفاظها نتيجة لترتب

¹ - ينظر عيد بلبع: الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، ع23، 2005، ص99

* هو الحسن البصري بن يسار بن سعيد ولد في 21هـ أرضعته أم سلمة وهو طفل صغير ، ودعا له عمر بن الخطاب وقال " اللهم فقه في الدين وحببه إلى الناس ، وكان عالما من علماء السنة يملك علما كبيرا ومعرفة واسعة، وهو من كبار الوعاظ وقصاصه ، وكان خطيبا ورعا، يقول فيه الجاحظ" فإننا لا نعرف أحدا يتقدم الحسن البصري فيها"، ينظر الجاحظ: البيان والتبيين، ج3/354

² - الجاحظ: البيان والتبيين، ج3/132

* المواضع: تواطؤ أهل اللغة الواحدة والتزامهم بالنسق المتفق عليه في بيئتهم اللغوية وبتقدم المواضع يكتسب الخطاب وحدوية البعد الدلالي ، فالمتكلم لا يخاطب باللغة أحدا إلا وهو يريد ما وقعت المواضع عليه ، حتى لا يكون ملغزا أو معميا . ينظر عبد السلام المسدي : التفكير اللساني في الحضارة العربية ، ص 141

معانيها ودلالاتها في ذهنه، ولذلك فنظمه لهذه الألفاظ لم يكن عشوائيا وإنما جاء وفق علاقات ربط بين هذه التصورات في فكره، وضم بعضها إلى بعض بحسب الإمكانيات التي أتاحتها اللغة، مضافة إليها كفاءته اللسانية، ومن ثم ظهرت منظمة مرتبة في العملية النطقية. والملاحظ أن الخطيب استخدم إمكانيات النظام اللغوي بشكل مختلف عن المؤلف، لكون الاستعارة التي وظيفتها تحمل تناقضا على مستوى المعنى، فبين " بع " و " دنياك " نشازا على مستوى المدلول - حيث لا شبه بين المدلولين - وتطابقا على مستوى اللفظ، فالمتلقي هو الذي يجعل من هذا التناقض والنشاز توافقا يهتدي به إلى الفهم اللائق وذلك بمحاولة إدراكه لمقاصد المتكلم وسمات الشبه بين المدلولين.

فالتصور غير موجود في الواقع التركيبي وإنما خلقه الخطيب من فيض الكفاءة اللغوية التي يمتلكها، فهو " الذي يوظف اللغة في مستوياتها المتميزة بتفعيلها في نسيج خطابه وذلك التفعيل الذي ينوع طاقاتها الكامنة"¹

وعلى الجمهور المتلقي أن يكافئ بين هذه العناصر التشبيهية بفضل عملية الفهم والتأويل اللذين يفضيان به إلى إدراك هدف وغاية المتكلم.

ويتعلق هذا التركيب الاستعاري بالسياقات والقرائن، فالسياق هو الذي يكسبها قدرات أبعد من قدراتها التركيبية والمعجمية، لذلك أنجزها الخطيب وفقا لمكونات بيئية وزمانية ومكانية واجتماعية، لأن "جزءا من واقعنا الاجتماعي يفهم بطريقة استعارية"²

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 46

² - جورج لايكوف ومارك جونسن: الاستعارات التي نحبها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط2،

- فهي موجهة لمجتمع وجمهور بعينه حاضر معه، قاصدا بها البشرية جمعاء، وقرنت بيئة خاصة في ذلك العصر ولكن أبعادها كانت لكل البيئات الإسلامية.
- المكان الذي أقيمت فيه في العراق لتنتشر حسب أبعاده إلى أماكن أخرى.
- الزمن محصور في ذلك الزمن الضيق ولكن قصده كل الأزمنة وكأنها ترنو إلى المستقبل من الزمن.

ومن خلال هذه الإمكانيات اللغوية والقرائن السياقية تشكلت معرفة مشتركة بين طرفي الخطبة التي وجهت الخطيب لإنتاج استعارته بهذا الشكل، مدركا أن الجمهور المتلقي سيفهمها ويؤولها تأويلا صحيحا محكما دون جهد أو عناء، وبالتالي يفهم مقاصده.

وقد عقد الخطيب هذه الصورة على أساس أنها صفقة تجارية، لأن مصطلح " البيع " يقرن عادة بالسلع، فشبه الدنيا بالسلعة وأبقى شيئا من لوازمه وهو " بع "، ويقتصر فعل البيع على الربح والخسارة، فالتاجر أثناء هذه العملية يمكن أن يحقق ربحا وفيرا أو العكس.

وهذا ما أراده الخطيب فقد قرن موازنة بين الربح والخسارة، وقصده من ذلك " بع الدنيا " و " اشتر الآخرة " وكأنه عقد مجموعة من المتضادات بين البيع والشراء والربح والخسارة، فبيع الدنيا وشراء الآخرة هي تجارة رابحة لبني آدم لأنه يضمن ربح الدنيا والآخرة، أما بيع الآخرة وشراء الدنيا خسارة لا ربح فيها لأنه يخسرهما معا. ويمكن أن نستخرج الاحتمالات المتاحة كمايلي:

- بع الدنيا ← ربح

- بع الآخرة ← خسارة

- اشتر الدنيا ← خسارة

- اشتر الآخرة ← ربح

وبهذا تكون النتيجة بهذا الشكل :

بيع الدنيا + شراء الآخرة = تربحهما معا

- شراء الدنيا + بيع الآخرة = تخسرهما معا

وقد حمل هذا القول الاستعاري عدة مقاصد، على اعتبار أن الاستعارة تقوم على مقصدية المتكلم "وهو الذي يتخذ قصد المتكلم أساسا له، ويشير بداية إلى أن هذين المعنيين يتطابقان في المنطوق الحرفي أما في المنطوق الاستعاري فإن الأمر يختلف اختلافا بينا"¹

- قصد التوجه إلى الغير: ومقتضاه حسب "طه عبد الرحمان"² أن المنطوق به لا يكون كلاما حقا حتى تحصل من الناطق إرادة توجيهية"²، وقد وجهها إلى الجمهور المتلقي لأنه في علاقة مخاطبية مباشرة معه، فلا يمكن اعتبارها استعارة تداولية إلا إذا كانت مقصودة بمضمونها إلى الغير.

- قصد الإفهام: ومقتضاه "فلا يكون المنطوق به كلاما حقا حتى تحصل من الناطق إرادة إفهام الغير"³، وعليه كان منطلق الخطيب وعظي حاول من خلاله إفهام الجمهور التخلي عن الدنيا وزينتها الزائلة إلى المتاع الحقيقي للمؤمن وهو الدار الآخرة.

- القصد الضمني: حرصه على إنقاذ الناس من مهالك الدنيا وفتنها.

¹ - عيد بلبع: الرؤية التداولية للاستعارة، ص99

² - طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص214

³ - المرجع نفسه، ص214

- القصد الحجاجي: حاول التأثير في نفسية الجمهور واستمالة عواطفهم، وهذا دليل على قوة الخطيب في سلكه الطريق القويم لتبنيه هذه الحجة الاستعارية، وهي في قوتها أكثر إقناعاً من العادية.

- تأويلات الجمهور للاستعارة:

يبدو أن الجمهور المستمع لهذه الاستعارة هو الذي يفك شفراتها بتجاوزه للمعنى الحرفي، وعليه " يؤول ملفوظاً ما تأويلاً استعارياً عندما يدرك عبثية المعنى الحرفي " ¹، فالجمهور المتلقي كان عارفاً بأن الخطيب تجاوز المعنى الحرفي إلى معنى آخر مجازي، وهذا ينم على أن هناك تقارباً في المعرفة اللغوية بين الطرفين بمعنى؛ أنه يملك كفاءة لغوية تؤهله لتأويل هذا الملفوظ. إضافة إلى ذلك فإنه يملك افتراضات مسبقة عن الخطيب وتوجهاته الدينية، مما جعل فهمهم للاستعارة ومقاصدها واضحاً لا غموض فيه.

وتجلى هذا البعد الاستعاري أيضاً في خطبة واصل بن عطاء المنزوعة الرأء * يقول:
" قبضتهم بمخلبها... وعضتهم بأنيابها" ²

¹ - أمبرتو ايكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ص 147

* واصل بن عطاء الغزال (توفي سنة 131هـ) كان متكلماً بليغاً متفنناً خطيباً، لقب بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين، وقد فضله بشار بن برد على العديد من كبار الخطباء وهم خالد بن صفوان وشبيب بن شبة والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عمر بن عبد العزيز فقد أعدوا خطبهم، إلا واصل فقد خطب مرتجلاً خطبة من أولها إلى آخرها جانب فيها حرف الرأء إشارة إلى لثغته.

وكان واصل في أول أمره يجلس إلى الحسن البصري فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر، وقال الجماعة بإيمانهم خرج واصل عن الفريقين، وقال بمنزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن من مجلسه، فاعتزل عنه وتبعه عمر بن عبيد ومن ثم سموا جماعتهم بالمعتزلة. ينظر ياقوت الحموي: معجم الأدباء، راجعته وزارة المعارف العمومية، مطبوعات دار المأمون، ص 243 وما بعدها

² - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 484

يحتوي هذا الملفوظ على استعارتين وهما:

- قبضتهم بمخلبها

- عضتهم بأنيابها

فالضمير المنفصل "هم" في الاستعارتين يعود على الملوك، والضمير المتصل "الهاء" يعود على الدنيا.

نرى أن النظام اللغوي لهاتين الاستعارتين يتشكل من مركب (فعل وفاعل ومفعول به وجار ومجرور) لا يوجد فيه خرقا على المستوى الصوتي والتركيبى ولكن الخرق كان في اللفظتين المعجميتين " مخلبها " و " أنيابها " تجسدتا في الملفوظ ملء موقع التركيب الفعلي وكأن ورودهما غير سليم.

تقوم هنا الملكة اللسانية بالربط بين العلامة اللغوية أي بين الدال والمدلول حتى يتسنى للجمهور أن يدرك معناه المباشر، ولكن ذلك يخضع لمجموعة من العوامل كالسياق وملابسات الكلام، فتتسع مدلولات الألفاظ فينصرف ذهن الجمهور من المعنى الحرفي إلى المعنى المجازي مع وجود قرينة لأن " تعيين المعنى المراد ومنع إرادة المعنى الوضعي ؛وغياب القرينة يبطل هذه الوظيفة، ويصلح اللفظ عندئذ لإرادة المعنى الوضعي أو المعنى المجازي"¹

يستطيع الجمهور تأويل وتحديد هوية الاستعارة بواسطة القرينة الدالة بينهما، ففي فضاء العملية التخاطبية توجد قرينة دالة بين (المخلب والنايب) و(الدنيا).

¹ - عيسى علي الكاعوب: الفصل في علوم البلاغة العربية، المعاني، البيان، البديع، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية،

أردف الخطيب هذه الاستعارة في سياق حديثه عن "الملوك" وملكهم للدنيا واستخدامهم للسلطة وتجبرهم في الأرض، ونرى أنها تحمل أكثر من مدلول فتدخل الكفاءة الموسوعية لتثبت أن الملفوظ الاستعاري قابل لأن يدل على غير ما دل عليه في حرفيته، فللمخلب و الناب تراكم معرفي لدى الجمهور السامع فهما صفتان للحيوانات المفترسة، ويستعملان لشد الفريسة والتهجم عليها بلا رحمة ولا شفقة، وعليه يمكن للجمهور تأويلها على حد معرفته بالخطيب، فالخطيب رجل زاهد في الدنيا، أراد من خلال هذه الاستعارة أن يبين بأن الدنيا لا ترحم بمصائبها فمن غفل أخذته وقبضته إليها، وهي خداعة غرارة فمن يأمنها ويفتنن بملذاتها تصطاده كما يصطاد الحيوان المفترس فريسته.

وقد لجأ هنا إلى قصد الادعاء، ومقتضاه " أن المنطوق به لا يكون خطابا حقا حتى يحصل من الفاهم صريح الاعتقاد لما يقول من نفسه وتام الاستعداد لإقامة الدليل عليه"¹، وقد صرح بالاعتقاد الذي يتطابق كلامه مع العالم، وكان منطقيا تتقبله العقول، خاصة وأنه صدر بوعي ورغبة دون ضغوط، وهو مدرك لما يقول ومتحمل لمسؤوليته كيف لا وهو العارف العالم بشؤون الدين والدنيا.

كما تتدخل الكفاءة الاستدلالية للبحث عن المضمون والوصول إلى المعنى المقصود ويمكن أن نتمثلها كما يلي:

- الخطيب قال: قبضتهم بمخالبها وعضتهم بأنيابها
- الواقع أن الحيوان المفترس هو الذي يقبض بالمخالب والأنياب وليس الدنيا فهي لا تملكهما
- الدنيا والحيوان المفترس كلاهما لا يرحمان، فالحيوان لا يرحم الفريسة والدنيا لا ترحم الإنسان

¹ - طه عبد الرحمان: اللسان والميزان، ص 225

- المخالب والأنياب إذا انتزعا من الحيوان يصبح بلا قيمة، لا يهابه أحد.

- الدنيا تصبح بلا قيمة إذا تركت الناس يعثون في الأرض مفسدين.

- الدنيا تشبه الحيوان المفترس في القبض على الفريسة.

- قبضتهم بمخلبها وعضتهم بأنيابها. وهي النتيجة الاستعارية التي نتجت عن مجموعة من

المقدمات المنطقية والاستدلالية.

خرجت هذه الكفاءات إلى :

- القصد التواصلية: حصل نتيجة إدراك الجمهور لتلك العلة التي أشركهم في معرفتها رغبة منه

في إنجاح العملية التواصلية وحصول الاقتناع لدى الجمهور بتوظيفه للحجج التي ينتج عنها

حصول الفهم، وقد استعمل هاتين الاستعارتين كحجج قوية لتدعيم الطرح والنتيجة التي قصد

الوصول إليها وهي حثهم على عدم الثقة في الحياة لأنها لا ترحم الغافل المتهاون. ويمكن أن

نجسدها على شكل سلم حجاجي، على اعتبار أن سلمية النظام البلاغي، هي " ما يوفره

المكون البلاغي للملفوظ من قيمة مضافة عبر تلونات جهازه ليحتل درجة مهمة من السلم

الحجاجي وبالتالي يكون ذا طاقة حجاجية تدفع المتقبل إلى الإذعان والتسليم...، والمجاز في حد

ذاته قائم على التراتبية وحسبنا دليلاً أنواع التشابيه وأضرب الاستعارات وصروف الكنايات"¹

عدم الثقة في الحياة لأنها لا ترحم الغافل (نتيجة)

عضتهم بأنيابها (حجة ثانية)

قبضتهم بمخلبها (حجة أولى)

¹ - عزالدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2011، ص127

أما عن المقصدية المحورية في هذا الملفوظ فهي مقصدية التهييج، الذي حاول الخطيب من خلالها حمل الناس على الاعتبار والخوف؛ لأن كل المدائن والدول إلى زوال بما فيها الملوك الذين بنوا وشيدوا وحكموا، فإنهم اليوم تحت غمرات التراب في غياهب القبر لا ممد ولا موسد.

وكمجمل لهذا التحليل الاستعاري في الخطب الدينية نجد بأن الخطيب استعملها للوصول إلى مقاصده وأهدافه والتي حملت الكثير من المقاصد توافقا مع السياق المقالي والمقامي التي أتاحت للجمهور فرصة تأويل ذلك القول المجازي، كما كانت على درجة عالية من القوة والتأثير إذا ما قورنت بالقول العادي، استبصر بها الخطيب للدفاع عن آرائه وحمل الجمهور على مشاطرته الرأي، والتخلي عن اعتقاداتهم.

2.1 - التشبيه:

التشبيه عند العرب من الأساليب البلاغية، يعرفه "العسكري" بأنه "الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه"¹ ويعرفه "الرماني" بقوله: "هو العقد على أن أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حس أو في عقل"²

يقوم التشبيه بالعقد بين المشبه والمشبه به بواسطة أداة التشبيه أو ما شاكلها

ويرد التشبيه أيضا على أساس تداولي يستخدمه المتكلم لغرض الوصول إلى أهدافه، فهو "إلحاق أمر المشبه بأمر المشبه به في معنى مشترك (وجه الشبه) بأداة (الكاف) وكأن وما في معناهما (لغرض"³

تجلت صور التشبيه في الخطب الدينية، مما جعل الخطيب يستعين به كلما اقتضت الضرورة ذلك، رابطا إياه بهدف وقصد معينين ليبين غايته ويؤكد مضمونه، ليتمكن الجمهور من فهمه واستخلاص مقاصده.

يقول عمر بن العزيز* في خطبته بخاصرة (وهي خطبة لم يخطب بعدها حتى مات)

¹ - العسكري: الصناعتين، ص 213

² - أبو الحسن علي بن عيسى الرماني: النكت في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، ص80

³ - أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، البيان، المعاني، البديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993، ص213

* هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم (63 هـ - 101 هـ) وهو ثامن الخلفاء الراشدين، كان رجلا صالحا تقيا متعبدا ورعا زاهدا وكان مع ذلك إماما عادلا سائسا محبا للرعية مشفقا عليها، لم تشغله عبادة ربه عن عباد ربه، ينظر محمد بن عبد الله بن الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، صححها وعلق عليها، أحمد عبيد، مكتبة وهبة عابدين، مصر، ط2، ص6

"... فنخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرّم الجنة

التي عرضها السموات والأرض"¹

يتضمن هذا الملفوظ صورة تشبيهية " حرم الجنة التي عرضها السموات والأرض " وهو تشبيه بليغ " وهو ما غاب منه وجه الشبه والأداة "² حيث حذف أداة التشبيه ووجه الشبه.

ويمكن تفصيله كمايلي:

حرم الجنة التي عرضها كعرض السموات والأرض (أي في عرض الجنة وليس في طولها)، فحذفت أداة التشبيه وهي الكاف ووجه الشبه وهو العرض الذي يشترك فيه الجنة والسموات والأرض.

واستحسن الخطيب هذا النوع ليفتح الآليات الذهنية للجمهور، حتى يظن بأن المشبه هو المشبه به فتجتمع هذه الصورة في ذهنه محاولا إدراكها والتمعن فيها، وهذا يفضي بهم إلى الاعتراف بقدرة الخطيب على فن الكلام، مما جعل السياق موافقا له، إضافة إلى ذلك قوة هذا النوع من التشابه مقارنة بالأخرى، يقول " السكاكي ": " ترك كلمة التشبيه ووجه الشبه... وهي أقوى الكل "³

وافتح الخطيب هذا التشبيه بفعل مبني للمجهول " حُرِّم " وغرض الخطيب من توظيفه مراعاة حال الجمهور لأنه لم يقتصر على شخص بعينه. فما هي المقاصد الظاهرة والمضمرة التي حاول الخطيب توصيلها للجمهور؟

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/120

² - الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية، ص23

³ - السكاكي: مفتاح العلوم، ص355

- حمل قصداً آنياً: وهو ترجمة فعل التلفظ في تلك اللحظة الزمنية ممثلاً بكلامه الشفاهي، الذي كان به واعظاً ومرشداً لجمهوره.
- حمل قصداً إخبارياً: أخبرهم بفكرة مفادها أن عرض الجنة مثل عرض السموات والأرض، لكن بالمعنى القرآني الجنة أوسع من أن تدركها سعة سموات وأرض الدنيا.
- حمل قصداً تواصلياً: فقد حصل التفاهم بالتساوي بين الخطيب والجمهور، فالخطيب وفر التشبيه لأنه الأعراف بموضوعه وبمقدار ما يبلغه لجمهوره، انطلاقاً من الفكرة الموجودة في ذهنه، فتحوّلت تلك الفكرة إلى الجمهور على شكل أصوات، حدثت مطابقة القصد بين الطرفين.
- القصد الضمني حثهم على العمل بما جاء به الله، ويتفرع إلى :
 - المبادرة بالأعمال الصالحة التي توصلهم إلى مغفرة الله
 - المسارعة إلى إدراك حسناته.
- القصد الرئيس: تمثل في التحذير على أنه من خرج من رحمة الله وطاعته فإنه يجرم من الجنة، لأنهم هم أهلها، وأعمال التقوى هي الموصلة لذلك.
- كما رمى هذا التشبيه إلى قصد حاجي بسطه الخطيب للتأثير في نفسية الجمهور، وورد التشبيه هنا كنتيجة كلية لمجموعة من الحجج التي دعمتها، والتي جاءت قبل النتيجة وهي:
 - لم تخلقوا عبثاً.
 - لم تخلقوا سدى.
 - خاب وخسر من خرج من رحمة الله.

هذه الحجج دعمت الطرح الذي تبناه الخطيب في الوصول إليه وهو التأثير. والسؤال هل تأثر الجمهور الذي حضر معه بما قدم من صور في خطبته؟

إن تأثر الجمهور واضح لأن هذا التشبيه المتلاحم أدى إلى فرض هيمنته وقوته أمامه، لينظر إلى نفسه ويراجعها، علما منهم أنه رجل مخلص في الدين بدليل أنه اقتبس هذا التشبيه من آية قرآنية، من قوله تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾¹

كما نجد هذا النوع من الصور البيانية في خطبة "البصري" حين يقول: "بقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم"²

حيث ضم هذا التشبيه البليغ مجموعتين مختلفتين، وكل مجموعة تحمل عنصرا، هذا الأخير ينتمي إلى مجموعة، والعلاقة بينهما هي علاقة الشبه، ونمثلها بهذا الشكل: حيث نمثل ل " أ " بالأعمال و " ب " بالقلائد "

- مجموعة " أ " ومجموعة " ب " ، تكون دالة من " أ " إلى " ب "

- العلاقة: يكون عنصر " س " ينتمي إلى " أ " يشبه العنصر " ع " ينتمي إلى " ب "³

ففي هذا المثال:

- المجموعة " أ " ⇐ الأعمال بصفة عامة (أي عمل) ، العنصر فيها أعمال بني آدم التي

تشفع له يوم القيامة ⇐ + عاقل

¹ - آل عمران، الآية 133

² - الجاحظ: البيان والتبيين، ج3/132

³ - هذا التمثيل الرياضي مأخوذ من كتاب الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية، ص17

- المجموعة " ب " ← معدن نفيس، العنصر فيها هو القلائد ← - عاقل

- الدالة من الأعمال إلى القلائد ، وعلاقة الشبه تجمع بين الأعمال والقلائد. (+ عاقل - عاقل)

يضم هذا التشبيه عنصرين مختلفين وهما " الأعمال " و " القلائد " فالأعمال صفة يختص بها بني البشر وتختلف طرائقه، والقلائد من المعادن النفيسة، فالجمهور المتلقي لهذا التشبيه يقع في ذهول وحيرة لأن الخطيب شوش أفكاره بهذا الربط غير المنطقي بين العنصرين، ويتساءل ما علاقة العمل بالمعدن، ولكن الخطيب جمعهما لقصد وهو المشابهة بينهما في صفات مختلفة، ويكون هناك تقاطع بين " الأعمال " و " القلائد " في الغلاء والقيمة الجوهرية التي لا تزول، ويبقى مفعولها سار على مر العصور.

وما يجمع العلاقات بينهما هي الثقافة والبيئة فهو- التشبيه - " من أوضح الفنون وأكثرها تعبيراً عن البيئة"¹، فلو تلفظ به الخطيب في غير بيئته وغير ثقافته، لكان كلامه غريباً مبهماً، وعليه أدرجه موافقاً لأقدار سامعيه، لذلك ربط " الأعمال " ب " القلائد " في سياق وعظي ديني.

وبما أن هذا التشبيه يصرف إلى العقل، فما هي المقاصد العقلية والمستمدة التي يمكن أن تصدر عنه؟

وظف الخطيب هذا التشبيه عن طريق التمثيل العقلي، أي الوعي بمقاصده، لأن عملية التوجيه لا تخضع للعملية التخاطبية فحسب بل تتجاوزها إلى قدرة عقل الخطيب تمثيله وتمثله في الواقع، وتجلت مظاهره في مسألة تشبيه الأعمال بالقلائد التي يضعها الإنسان في عنقه للزينة،

¹ - أحمد مطلوب: فنون بلاغية، البيان - البديع، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1985، ص27

ثم جسده عن طريق اللغة التي تستمد مقاصدها من المقاصد الأصلية (العقلية)، فالكلمات التي وظفها نابت عن الاستعمالات القصدية التي تمثلها في ذهنه.

- القصدية الأصلية: تمثل اتجاهها في رغبة الخطيب - هذه الرغبة نابعة من العقل - دفع

الجمهور إلى الأخذ بالأعمال الصالحة وبذل الجهد في العمل وإخلاصه لوجه الله، فهي من واجب كل مسلم على نفسه، وهي السبيل المفضي إلى النجاح في الدارين.

- القصدية المستمدة: اعتمدت على الملاحظ على عكس الأصلية التي لا تعتمد على

الملاحظ، حيث قرن الخطيب الأعمال الصالحة بالقلائد الثمينة التي يضعها الإنسان في عنقه لتجمل بها، فهو يخاطب الجمهور ويحملهم على الإذعان له، لأن الرجل عارف بالأوضاع السائدة في مجتمعه، منطلقاً من خلفية الصراعات الدينية التي شهدتها العصر آنذاك، لذلك فهو يحفزهم ويدفعهم للتنافس في أبواب الخير، ويجنبهم من أبواب الشر.

وانطلاقاً من هذه المعرفة حاول لفت أنظارهم إلى قيمة ما يفعلون، هذه القيمة شبهها

بالقلائد في غلاوتها وزينتها لأن الإنسان المؤمن يتزين بأعماله الصالحة التي تبقى هي جوهره وأسه.

وكان اتجاه المطابقة فيه متلائماً مع العالم ومتجه نحو العقل، فوظفه بألفاظ متواضع

عليها تحمل معاني مشتركة بينهما، لأن المواضعة اللغوية شرط لبلوغ الاستعمالات التخاطبية، لأن الكلام " يحتكم في جزئه اللساني إلى المواضعة التي جرى بها اللسان العربي، واستند إليها الاستعمال التخاطبي"¹

أما عن قصده الضمني: حثهم على عدم الاغترار بحال الدنيا التي تزينت به للناس

فأوقعتهم وأضلتهم، والتزين بالأعمال الصالحة التي تبقى معلقة في ميزان حسناته.

¹ - بنعيسى أزيبط: مداخلات لسانية، ص 90

أما عن قصده الرئيس: فقد حاول تذكيرهم ووعظهم بعمل الخير وابتعادهم عن الشر، لأن البقاء في الدنيا قليل.

مما مضى نستنتج أن التشبيه البليغ الموظف في الخطب الدينية كان أثره قويا على نفسية الجمهور وعقولهم، مما جعل الخطيب يردف عدة قصود جسدها في العملية التخاطبية موافقة لسياقاتها، وكانت غاية الخطيب الحث والوعظ المتكرر، وسجلت دلالاته الضمنية مطابقته للعالم وللكلمات.

3.1 - الكناية:

عرف العرب القدماء الكناية، حيث يعرفها "الجرجاني" بقوله: "وهي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ إليه ويجعله دليلاً عليه"¹

وعند "السكاكي" هي "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ما يلزمه"²

تقوم الكناية على طرفين، طرف مصرح به وهو اللفظ الموضوع له، وطرف غائب وهو المعنى المقصود الذي يريد المتكلم فيلجأ إليه عن طريق التلميح دون التصريح.

وتوظف الكناية في العملية التخاطبية لتحيل على قصد المتكلم بمعنى تلميحي، مع إمكانية وجود المعنى الصريح، لأن "العناصر التداولية للكناية...تضم قيماً تداولية عدة وإشارات تكشف صياغتها والتعبير بها... في كونها تحيل على مقصود المتكلم بمعنى تلميحي مع إمكانية قيام المعنى الصريح في الواقع"³

ركزت الخطابة الدينية على الصور الكنائية، لأن الخطيب يلجأ إلى التكنية والتلميح أكثر من التصريح والإظهار، ويجعل الجمهور المتلقي يكتشفها من خلال كفاءاته اللغوية والتداولية والموسوعية.

وسوف نمثل لها بنماذج من الخطب الدينية.

¹ - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص52

² - السكاكي: مفتاح العلوم، ص402

³ - دلال وشن: القصدية في الموروث اللساني العربي (دراسة في الأسس النظرية والإجرائية للبلاغة العربية)، أطروحة دكتوراه مخطوطة، نوقشت بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بسكرة، إشراف الدكتور: محمد خان، السنة الجامعية،

يقول " عمر بن عبد العزيز " : "... قد قضى نجه وبلغ أجله، ثم تغيبونه في صدع من الأرض"¹

نلاحظ في هذه الكناية أن هناك تباعدا بين اللفظ المستعمل والمعنى المقصود، ف"الصدع" هي الكلمة المحورية والمعطى الأساسي التي تنطلق منه عملية التوليد قصد الوصول إلى المعنى الذي أراده الخطيب.

يعنى بمصطلح " الصدع " من الناحية اللغوية أنه شق من الأرض، وهذا الأخير يصلح لعدة أمور، منها مثلا: أن الأشجار تصدع الأرض أي تشققها أثناء عملية الغرس... ولكن على الجمهور المتلقي أن يستحضر عناصر لغوية ومقامية تساعده على كشف المضمرة، لأن اللفظ - صدع - غير كاف وحده للكشف عن المستور، فالمقام الذي ورد فيه هو مقام وعظي صدر من رجل زاهد في الدنيا، وعليه فالاحتمالات الواردة (شق الأرض لغرس الأشجار) غير واردة ولا تصلح، يبقى الانتماء الثقافي والبيئي والموسوعي للجمهور أن " صدع الأرض " يقصد به القبر، وهي من القيم الدينية التي يقال فيها هذا التركيب آنذاك، بدليل أنه اقتباس من الآية

القرآنية، لقوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾²

و من خلال هذه التوليدات اللغوية والتداولية، نخرج إلى التوليدات المنطقية والاستدلالية ويمكن أن نؤولها بهذا الشكل:

- القصد الأول: أن الإنسان يغيب في صدع الأرض وهو قصد ظاهر.

- القصد الثاني: الصدع بمعنى شق الأرض.

- القصد الثالث: الإنسان يوضع في هذا الشق المصدوع.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 2/ 120

² - الطارق، الآية 12

- القصد الرابع: الإنسان يغيب في صدع الأرض أي؛ يوضع في هذا الشق من الأرض.

نستشف من خلال هذه التوليدات أن القصد الظاهر خرج إلى قصد ضمني استلزمه

- القصد الظاهر ← يغيبونه في صدع الأرض، مدلول حرفي

- القصد الضمني ← يغيبونه في القبر، وهو قصد ضمني استلزمه القصد الظاهر، وهذا

بتلازم القرينة والمقام التخاطبي.

أما عن القصد التواصلية: فقد لمسنا تجسيده بمحصول الفهم والإدراك من قبل الجمهور

الذي وجهت إليه هذه الصورة من قبل الخطيب.

القصد الرئيس: النصح والامتنال إلى عمل الخير في الدنيا لأنها إلى زوال والموت

مصيرهم لا محال بدليل قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ

مُشَيِّدَةٍ¹﴾، لأن الإنسان يفارق المال والأحباب ويواجه يوم الحساب.

القصد المستقبلي: تمثل في الاتعاظ والتخويف من القبر، فعلى الإنسان المسلم أن يتعظ

من تشييعه للجنائز لأنه يكون هو المشيع في يوم من الأيام.

القصد الحجاجي: وردت الكناية على شكل حجة قمة في الإقناع، جعل الخطيب

الجمهور السامع يكتشفها بنفسه لعله يقتنع بها وتؤثر فيه، فكيف لا تؤثر وتغيب الإنسان في

التراب ودفنه خير عبرة يعتبر بها المسلم في حياته.

¹ - النساء، الآية 78

وهذا نموذج آخر:

يقول " الحسن البصري " : " من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا، لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة"¹

اشتمل هذا الملفوظ على صورتين كنائيتين، الأولى " لم يضع لبنة على لبنة" والثانية " ولا قصبة على قصبة".

لقد أنتج الخطيب هذه الصور الكنائية عن طريق حالة شعورية (مقاصده الأصلية) استمدتها من ذهنه موجها إياها إلى موضوع تفكيره، فقد نقلها عبر أصوات - الخطابة عامة تكون عن طريق المشافهة - ليشكل بها تركيبا لغويا متوازعا عليه رصين اللفظ منسجم المعنى، في مقام تخاطبي ديني موجه إلى الجمهور السامع الذي بدوره يقوم بعملية التأويل عن طريق ترقبه للفضاء الموجود بين اللفظ المستعمل والمعنى المقصود.

الكناية الأولى هي " لم يضع لبنة على لبنة * " ومحور هذه الكناية تجسد في لفظة " لبنة " (واللبنه عادة توضع لتم البناء وتجهزه وتخرجه في أحسن صورة) فهذا المعطى اللغوي الحاضر حاول الجمهور فهمه وتوليده للوصول إلى المعنى المقصود، وتوفر سياق الحال الذي اقتضاها، رأى الجمهور بأن الخطيب رصد لهم بأن الرسول الكريم لم يضع لبنة على لبنة ليتم حياته وإنما كان مستقيما في عيشه غير متكفف للناس ولا متسول، ولا مهتما بالتشديد والبناء وهو المرسل من عند الله، فهذا قصده الأولي.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج3/132

* اللبنة واحده اللبن، قالب مربع أو مستطيل مضروب من الطين يستعمل في البناء

أما عن قصد القصد فقد حاول أن يوصل لهم رسالة مشفرة يطلب منهم الكف عن الغلو في البناء، والاستقامة في طلب العيش، أما الاحتيال والنصب والطرق غير المشروعة فهي صفات لا تمت للمسلم في شيء.

وقد دعم هذا الملفوظ بكناية أخرى " ولا يضع قصبه على قصبه " وهذا العنصر التركيبي مقبول من الناحية اللغوية ولكنه غير كاف لإدراك المعنى، فالجمهور يغوص في عالمها للبحث عن مضامنها ومقاصد الخطيب من توظيفها، وقد استلزمت قصدين ظاهر وضماني.

- القصد الظاهر: لا يضع قصبه على قصبه

- القصد الضمني (وهو مستلزم من القصد الظاهر): الرسول الكريم كان عاملا ومثابرا في كسب عيشه، لأن الكناية جاءت منفية بحرف النفي " لا " بمعنى أن الرسول لم يضع رجلا على رجل لكسب العيش وهي كناية عن الجد، أما إذا نزعنا النفي تصبح كناية عن الكسل. وهذا هو القصد المستلزم من القصد الظاهر.

أما القصد الذي رمى إليه الخطيب فهو حث المؤمن العابد بالعمل الذؤوب لكسب رزقه وقوت عياله.

كما يمكن أن تخرج مقاصد الخطيب من الكنائتين، المستلزمتان من المعنى الحرفي - وهما كناية على البناء والتشييد والعمران في الدنيا - بأن الرسول الكريم لم يكن همه البناء والتشييد بقدر ما كان همه العمل في الدنيا، والتقرب به إلى الله.

وعمد كذلك من خلال هاتين الكنائتين إلى قصد حجاجي، ليثبت المعنى ويؤكد له للجمهور، لأن الكلام المكنى أبلغ من المصرح به "ليس المعنى إذا قلنا إن الكناية أبلغ من

التصريح أنك لما كُنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ
وأكاد وأشد¹

أورد الخطيب الكنايتين على شكل حجج قوية، لتدعم النتيجة والطرح، وتمثلها كما يلي:

- الرسول في غدوه ورواحه من أجل كسب وطلب الضروري من العيش (القضية الإجمالية)

- لم يضع لبنة على لبنة (حجة أولى)

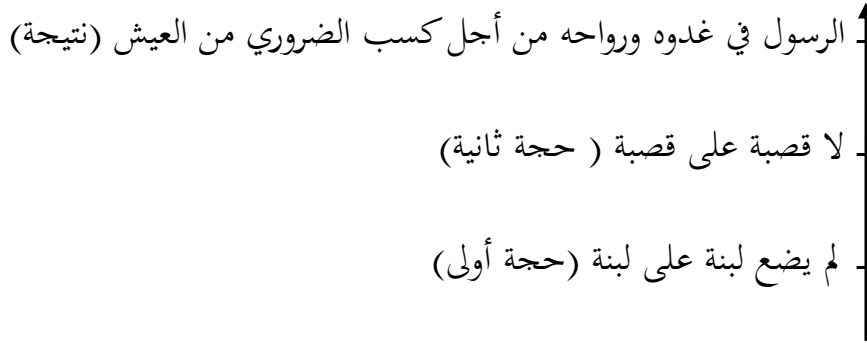
- ولا قسبة على قسبة (حجة ثانية)

يبدو أن الحجج المدعمة للطرح جاءت منفية، وهذا ما يسمى بقانون نفي السلم

الحجاجي، ومقتضاه أنه "إذا كان لدينا ملفوظ"م" نسوقه لمساندة نتيجة ما، فإنه بإمكاننا أن

نعتبر نفي هذا الملفوظ... حجة مساندة للنتيجة المعاكسة²

وتمثلها على السلم بهذا الشكل:



وإذا حذفنا النفي تصبح حججا معارضة ومناقضة، والنتيجة معاكسة للنتيجة المنفية،

ويمكن أن تمثلها بهذا الشكل:

¹ - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 56

² - رشيد الرازي: المظاهر اللغوية للحجاج، ص 118

- التماطل والكسل في كسب العيش (نتيجة)

- يضع لبنة على لبنة (حجة ثانية)

- يضع قصبه على قصبه (حجة أولى)

والقصد الإجمالي الذي رُمى إليه الخطيب من خلال هذا الملفوظ المدعم بكنائتين، هو التأثير في الجمهور وإقناعه بالتحلي بصفات الرسول الكريم في غدوه ورواحه الدال على الجد والاجتهاد في أمور الدين والدنيا، فهو يعلمنا بأن العمل في الدنيا عبادة.

استقر لدينا من خلال تحليلنا لبعض النماذج الكنائية في الخطب الدينية، أنها تضطلع بوظيفة تداولية يلجأ إليها الخطيب ليعبر بها عن أغراضه ومقاصده من جهة ومن جهة أخرى يوظفها كآلية حجاجية من أجل التأثير في السامع وإقناعه بأرائه، لأنها أقنع وأبلغ وأفصح من القول العادي.

كما خرجت إلى عدة مقاصد استلزمها المقام ومقتضى الحال كالقصد الظاهر والقصد الضمني...

2 - المحسنات البديعية وأغراضها التداولية وتأثيراتها على الجمهور:

تعد المحسنات البديعية من أهم الظواهر البلاغية التي كثرت في الخطب الدينية، وتأتي على ألسن الخطباء بالفطرة وبالطبع، ولم تركز فقط على جانبها الجمالي والزخرفي كما يعتقد الكثيرون، وإنما يستعين بها الخطيب ليحقق مقاصده وأغراضه للوصول إلى الغاية المنشودة منها و" بوصفها تحقق هدف المرسل من الخطاب، وذلك بالتأثير فيه، فالعناية بالمحسنات ليست من قبيل الزخرفة اللفظية، أو إبراز قدرات المرسل اللغوية، كما يشاع عن ذلك"¹

وهذه المهمة التداولية التي تؤديها المحسنات جعلت الخطباء يولونها اهتماما كبيرا بربطها بالمقام وتوضيح الغرض منها، يقول " القزويني ": "هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة"²

وعليه فرعاية مقتضى الحال من الأولويات التي لا يمكن غض الطرف عنها في مثل هذه الخطابات البلاغية الراقية، كمرعاة حال الجمهور ومحاولة التأثير فيه بحجج يغلب عليها النمط البديعي لأنه " إذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة"³

وفيما يلي سنعمد إلى استخراج بعض النماذج البديعية من خلال البحث في كيفية توظيف الخطيب لها للتعبير عن أغراضه، ومدى فاعليتها وتأثيرها على الجمهور، ونستهل ذلك بالحديث عن المقابلة:

¹ - الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص48

² - أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، اعتنى به وراجعته، عماد بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط3، ص190

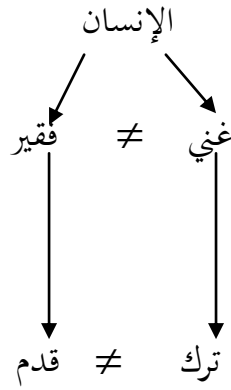
³ - صابر الجباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ط1، 2008، ص51

1.2 - المقابلة:

المقابلة عند العرب هي نوع من المطابقة، يعرفها "القزويني" بقوله: "وهو أن يأتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلها أو يقابلها على الترتيب والمراد بالتوافق خلاف التقابل"¹ جاءت المقابلة في خطبة "عمر بن عبد العزيز" في كثير من المواضع، وسنحلل نموذجاً للتوضيح.

يقول: "غنيا عما ترك، فقيراً إلى ما قدم"²

جاء هذا التركيب في أبهى صورة حيث مزج الخطيب بين جملتين متضادتين "غنيا عما ترك" ضد "فقيراً إلى ما قدم"، فالعنصر الجامع بين المتقابلين هو لفظ (الإنسان)، فقد جمعته صورتان متقابلتان، اقترنت بكل من الحالين صفة مقابلة للصفة المقترنة بالحالة المقابلة لها.



فهذا الملفوظ يصور متضادين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، فالإيجابي يكون مستحسنًا والسلبي يكون مستقبحًا.

¹ - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 193

² - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 2/121

أما المقاصد التي يمكن أن يفهمها الجمهور وفقا للمقام والمعرفة المشتركة، واستنادا إلى القصد التخاطبي فهي:

- القصد الظاهر: أن الإنسان غني عما تركه في الدنيا، فقير إلى ما يقدمه في الآخرة.
 - القصد الضمني: القصد المضمّر الذي تحيل إليه هذه المقابلة هو تذكيرهم بيوم الحساب والعقاب لأن الإنسان لا تنفعه الدنيا وما ترك فيها من نعم لا تعد ولا تحصى، الأمر الذي يجعل أنفسهم تأن وجعا من تقصيرهم وتهاونهم على ما قدموه، فالغنى الحقيقي هو يوم لقاء الله وما تحمله كل نفس بما قدمت في الدنيا من حسنات يستجمعها الإنسان ليغلب كفتها على المعاصي والسيئات، حتى لا يكون فقيرا يوم الحساب.
 - كما حملت المقابلة قصد المكون الغائي المتعلق بالمقصديّة العاطفية المعتدلة، فغرضه حسب " بليث " هو " الظفر باقتناع الجمهور " ¹ وقد استهدف التأثير في الجمهور بهذه الموعظة - وجاءت على شكل مقابلة التي ارتكز عليها الخطيب والتي تنم عن ثقافته الدينية المعتمدة في الكثير من الأحيان على مثل هذه الحجج.
- وهذا نموذج آخر:

يقول " واصل بن عطاء " : "... الذي علا في دنوه، ودنا في علوه" ²

حملت هذه المقابلة وصفا لصفات الله، وهذا الوصف كما نرى مخالف لما جاء به الصحابة والتابعين، مما يؤكد مذهبه الاعتزالي، فقد أحال اسم الموصول " الذي " إحالة قبلية إلى لفظ الجلالة " الله "

¹ - هنريش بليث : البلاغة والأسلوبية ، ص 26

² - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 482

ونلمح في هذا الملفوظ أن "الخطيب" استعان في هذا الوصف بجملتين متضادتين، فكل صفة مقابلة للأخرى، "فعلا ضد دنا"، و"دنوه ضد علوه"، وحملت هذه المقابلة عدة مقاصد تؤول بهذا الشكل:

- القصد الظاهر: وهو تصويره لصفات الله

- قصد الإدعاء: والذي أبدى الخطيب براعة في تقديمه، حيث أظهر مدى جاهزيته واسترساله وقدرته على جمع المتناقضين في ملفوظ واحد، ليؤكد المعنى ويرسخه في عقول وأذهان السامعين. والذي خرج إلى القصد الرئيس والمتمثل في دفع جموع الجمهور إلى العمل بتقوى الله وطاعته وعدم الخروج عن شرائعه التي شرعها للعباد.

وحملت قصدا حجاجيا، حيث أورد الخطيب هذه المقابلة على شكل حجتين متعارضتين تخدمان مقصده الضمني وهو تبيين قدرة وعظمة الواحد المنان.

2.2 - الطباق:

ويأتي على شكل ثنائيات متقابلة في الكلام، يعرفه "القزويني" بأنه "الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة"¹

ونجد له حضورا مكثفا في الخطب، حيث أولاه الخطيب الكثير من الاهتمام، حتى أننا نجد فقرات بأكملها على شكل طباق.

وقرن "الحسن البصري" في خطبته عدة مقابلات جسدها الطباق، وقد كانت بين "الدنيا والآخرة، الخير والشر، الغدو والرواح، الحلال والحرام..."²

¹ - القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 190

² - ينظر الجاحظ: البيان والتبيين، ص 132، 133، 134.

أجرى الخطيب هذه الخطبة على شكل مقابلات ضدية تمت على وجوه حسب المقام ومقتضى الحال، فقد جاءت من واقع المتغيرات المعيشية آنذاك وخصوصا كثرة الأحزاب والفرق الدينية التي جعلت المسلمين يخوضون في متاهات أخلطت عليهم أي فرقة يتبعون، وأيهما على صدق وصواب، مما جعل الخطيب يلجأ إلى مثل هذه الثنائيات المتقابلة ليؤكد الفكرة ويقربها إلى أذهان الجمهور ويهديهم في الدنيا ويبعدهم على الجون والفسق.

وقد حملت هذه الطباقات العديد من القصود، باشرها الخطيب برؤية وعظية تلاءمت مع مقام الخطبة والجمهور السامع الذي يحاول فهم وتفسير أغراض الخطيب.

واشتملت هذه المطابقات على قصد الادعاء لأن الخطيب بارع متحكم متحمل مسؤوليته أمام الله متجنباً الزيف وما يقبل الشك، واع بما يقول وعن أي مصادر ينقل، لذلك أثقل على الجمهور بهذه المتقابلات الضدية.

وقد كان قصده الضمني إبراز زهده في الدنيا ومجون غيره .

وقد خرج هذا القصد إلى قصد التواصل المثالي والذي تحقق بواسطة المقاصد الثلاثة:

- قصد أولي: وهي الاعتقادات التي رأى بأنها على قدر كبير من الصدق، وقد قدم هذه المقابلات على شكل حجج ليبين لهم معالم التناقض بين المواقف الحياتية.

- القصد الثانوي: ونجده عند الجمهور الذي أدرك غرض الخطيب، والسؤال هل تأثر بهذه الحجج وكما نعلم أن الجمهور أصناف: منهم الزاهد ومنهم الفاسق ومنهم بين بين، ولكن على الأرجح أنهم تأثروا لأن الخطيب على درجة عالية من الإقناع، وبالتالي قبوله لهذه المواعظ، ومن ثم تحقق القصد الثلاثي الذي سعى الخطيب من أجله لكي تكتمل جميع أركانه التي تعينه على تقبل الجمهور إلى ما يذهب إليه.

وهذا مثال آخر:

يقول "عمر بن عبد العزيز": "... وباع قليلا بكثير، وفائتا بباق"¹

ركز الخطيب في هذا الملفوظ على زوج من الثنائيات، جاءت على شكل مزاججة بين الأضداد، فإذا أخذنا طرفي الطباق بين (قليل وكثير) و (فائت و باق)، وجدناهما متقابلين، وهو تقابل نسبي يحمل إشارة إيجابية وشارة سلبية، وهذا الظاهر في الكلام.

قليل ≠ كثير فائت ≠ باق

والقلة التي أحال إليها الخطيب ليست في الكمية، ولكن الرضا بالقليل في الدنيا وعدم الجري وراءها، لأن القلة توصل صاحبها إلى الكثرة، والكثير هو ما يربحه الإنسان من أمان وطمأنينة يوم الآخرة، فهذا التأويل البسيط أوصلنا من القليل إلى الكثير رغم تقابلهما، فهما مترابطان ترابطا محكما فنتج القليل عن الكثير، ولكن كل منهما يختلف عن الآخر، فالقلة تتعلق بالدنيا لأنها فائتة وفانية، والكثرة تتعلق بالآخرة لأنها الباقية.

أما عن مقاصده البعيدة التي أراد الخطيب من الجمهور العمل بها، أنه من باع قليل بكثير وفائت بباق فقد ربح الأمان ورضا الرحمان.

كما حملت بعدا إقناعيا وظفه الخطيب لتساعده على توضيح الفكرة وتقريب الصورة، التي تتيح له الحصول على الرضا من قبل الجمهور، فقد استدرجه بطريقة بديعية، حتى أحس أنه تهيأ لقبول ما يقول وحينذاك أرسى هذه الحجج على شكل طباق، وبذلك فقد سلبه إليه دون معارضة.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/120

3.2 - السجع:

يعد السجع من أبرز المظاهر البلاغية في الخطب، وقد كان عندهم - الخطباء - بالجملة والطبع لأن " الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفوس تميل إليه بالطبع"¹

وقدمه الخطيب في الخطب الدينية من دون تكلف ولا صنعة مما يبرز قدرته على البلاغة، فكل ما يتصوره في ذهنه يصيغه بلفظ مسجوع، رغم اختلاف المواضيع في الخطبة الواحدة.

ونؤكد هذا الكلام ببعض النماذج والغاية التي يرمي إليها الخطيب.

جاء السجع في خطبة " واصل " بشكل مكثف فشمّل كل أجزاء الخطبة من البداية إلى النهاية، ونستعين ببعضها، يقول : "...فتمم مشيئته، وأوضح حكمته، فدل على ألوهيته"²

تضمن هذا الملفوظ سجعا بين مشيئته، وحكمته، وألوهيته، ونجد اتفاق في الحرفين الأخيرين (التاء) و(الهاء) التي تحيل إلى الله، وهذا من السجع المطرف، وهو " ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقا في الحرف الأخير"³

وقد ورد هذا المحسن البديعي في افتتاح الخطيب لخطبته، فأغرق في الوصف للذات الإلهية بألفاظ مضحمة لا يحسنها إلا من احتكم إلى العقل في فهم كتاب الله وسنة نبيه، كما

¹ - ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، علق عليه، أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ج1، ص212

² - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص483

³ - أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص361

ينبو كذلك على قدرته البلاغية المتميزة، لم يتعسف في البحث عن الألفاظ المناسبة لخدمة عباراته المسجوعة وإنما كان محمولا على الطبع فخرج في أحسن صورة.

أما عن أغراضه التداولية من هذا التوظيف، فقد تجلت في عدة مقاصد، ومن بين أهم مقصد في الجنس قصد المكون غير الغائي، وهو حسب بليث " غرض المكون غير الغائي هو المتعة الجمالية"¹، فقد حاول تقريب الجمهور وإمتاعهم، حيث أحدث في نفوسهم أريحية واستقرارا، وبالتالي سهل عليهم تلقيها.

وبالإضافة إلى ذلك فقد حملت قصدا ظاهرا تمثل في الوصف لصفات الله، الذي وصفه بأبهى صورته، وهذا ما نتج عنه قصد القصد أو القصد الضمني الذي وضح من خلاله قدرة الله وعظمته من منطلق فكره الإعتزالي.

أما عن القصد الغائي من خلال هذه الفواصل التي وجهت وجهة واحدة هو التأكيد للجمهور على ضرورة الاتصال به وجلبه واستمالته لكي يقتنع بما حاول الوصول إليه، فقد استغلها وأدت دورها الإقناعي من خلال تبنيه القصد التخاطبي. وقد خرج هذا الجنس إلى حجج ونتيجة.

- تم مشيئته (حجة)

- أوضح حكمته (حجة)

- (النتيجة) دل على ألوهيته

¹ - هنريش بليث : البلاغة والأسلوبية، ص 26

كما بنى " البصري " خطبته على جمل مسجوعة، يقول: " يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تريحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا... إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم عليه، الثواء هاهنا قليل والبقاء هناك كثير"¹

نرى أن هذا المقطع من الخطبة بنى على جمل مسجوعة وعبارات دقيقة، وهي: تريحهما جميعا... جميعا، فيه... عليه، قليل... طويل، وغرضه الرئيس من خلال هذه الفواصل المسجوعة هو التزهيد في الدنيا، وبقاء الآخرة، فالدنيا متاع يباع لتشتري الآخرة، وهو متأثر هنا بالآية القرآنية التي يقول فيها المولى عزوجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾²

وقد هدف من خلال هذا السجع إلى التأثير في جموع الجمهور حتى يستفيقوا من غيهم وطمعهم في الدنيا ونسيان الآخرة.

ومجمل القول إن الخطب الوعظية في أغلبها تأتي مسجوعة، ولعل العامل الأساسي هو تأثير الخطباء بالقرآن الحكيم، وأحاديث الرسول الكريم، لذلك استعان بها الخطباء لوعظ عامة الناس، فأكسبها أسلوبا سهلا وبلغا.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ص 123

² - البقرة، الآية 86

3 - الخبر والإنشاء بين الغرض والقصد والغاية:

ينتمي الخبر والإنشاء إلى علم المعاني الذي يعرفه "السكاكي" بقوله: "اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تركيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز عليها عن الخطأ"¹

يقوم هذا العلم على تركيب الكلام، مع إفادة السامع ووضعه في المقام المناسب وما يقتضي الحال ذكره، مع توفر مقاصد المتكلم والغاية التي يرمي إليها، والتأويلات الممكنة، وهذا ما تقوم عليه اللسانيات التداولية اليوم. ويدرس علم المعاني في البلاغة العربية نوعين من الكلام الخبر والإنشاء، فماذا يقصد البلاغيون بالخبر والإنشاء؟ وما هي أبعادهما البلاغية والتداولية؟

1.3 - الخبر:

الخبر هو ما يحمله الباث أو المتكلم إلى سامعه، وهو " ما احتمل الصدق أو الكذب لذاته"²، فالصدق هو ما يطابق حكمه الواقع والكذب العكس.

وقد تجلّى هذا النوع في الخطب الدينية، حيث يريد الخطيب إفادة الجمهور بأخبار ومعلومات لتذكيره ووعظه بها حتى يثبتها في ذهنه ويعمل بها مستقبلاً، وقد تتفرع عن هذا الإخبار " غايات أخرى حسب مقاصد المتكلم فتكون فخراً أو هجاءً أو رثاءً أو نقلاً لواقعة ما لم يشهدا المتقبل أو طلباً أو تعبيراً عن موقف ما"³

¹ - السكاكي: مفتاح العلوم، ص161

² - أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص43

³ - الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية، ص100

وسنمثل له ببعض النماذج، يقول " الحسن البصري": " تهاديتم الأطباق ولم تهادوا
النصائح"¹

صاغ الخطيب هذا الخبر صياغة مضبوطة، مراعيًا أحوال الجمهور الملقى إليهم، لأن لكل حال من أحوال الجمهور مقامًا يتكيف معه، وقد قدمه الخطيب لإفادة الجمهور لأنه لم يسمع بهذا الخبر من قبل، وقد خلا من أدوات التوكيد لعدم حاجته إليها، وهذا ما يسمى بالخبر الابتدائي لأن " الصيغة اللغوية أو الكيفية اللغوية المخصوصة المطابقة لحال متلق تبدو بالخبر ابتداء"²

وعلى هذا فالخطيب أخبرهم بأنهم تهادوا الأطباق ولم يتهادوا النصائح من غير اللجوء إلى مؤكد لأن الجمهور جاهل بهذا الخبر، وتمثل قصده في الحض والتنبيه أي؛ حضهم على الحرص على التهادي بالنصائح فيما بينهم، فالدين يقوم على النصيحة وهذا ما أقر به خير البشر الرسول صلى الله عليه وسلم " الدين النصيحة "، لعظم شأنها في الدين الإسلامي، لذلك فالتهادي بالنصح بين المسلمين، يكون لحفظ ما جاء به الله ورسوله، وترك النواهي والمعاصي، أما التهادي بالأطباق لا ينفعهم في دينهم في شيء.

أما غرضه فقد تمثل في التعجب، وكأن الخطيب يتعجب من تلك المفارقة بين التهادي بالأطباق، ونسيان أعظم شيء وهو التهادي بالنصائح، لذلك فقد كانت غايته من هذا الخبر هو مؤاخذه الناس على انشغالهم بالدنيا، والتغاضي والاستخفاف بانشغالهم بدار القرار، ودعم

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ص 134

² - عيسى علي الكاعوب: المفصل في علوم البلاغة، ص 82

الخطيب كلامه بالاستشهاد بما جاء به السلف والخلفاء الراشدون بقول عمر بن الخطاب " رحم الله امرأ أهدى إلينا مساوينا"¹

فهو يبين مدى ورع وتقوى " عمر " الذي دعا لمن أهدى إليه مساوئه لكي يتحاشاها، فهو يدعو من مقام وعظي ديني إلى الإقتداء بسلوك السلف والخلفاء الراشدين، وتجنب المعاصي ومراجعة النفس وتهذيبها على الأمر بالمعروف.

وفي موضع آخر من الخطب الدينية، يقول " واصل بن عطاء " : " إن أحسن قصص المؤمنين... كتاب الله"²

قدم الخطيب هذا الخبر للسامع في ظروف مقامية استحضرها في سياق حديثه على قيمة القرآن الكريم ومواعظه التي قصها على المؤمنين، والملاحظ أن الخبر جاء مؤكداً، لأن الجمهور متردد فيه وكأنه يحمل شكاً في صحة هذا الخبر، لذلك استحسن الخطيب تأكيده بأداة التوكيد " إن " وهذا ما يطلق عليه بالخبر الطلبي، لأن " الصيغة اللغوية أو الكيفية اللغوية المخصوصة المطابقة لحال متلق متردد طالب معرفة الحقيقة"³

قصد الخطيب بهذا الخبر إفادة السامع - في إطار تداولي - ليقويه في ذهنه ويبعده عن الشك ليوصله إلى اليقين، وهذا الأمر يستدعي من الجمهور التأمل والتدبر وإعمال الفكر حتى لا يترددوا في الحكم بأن أبلغ وأحسن موعظة للمؤمنين هي كتاب الله الكريم.

أما عن غرضه الجوهري الذي حاول أن يوجهه للجمهور هو التدبر في كتاب الله حتى يستخلص كل القصص والعبر والمواعظ، من النظر في أحوال البشر والاختلاف فيما بينهم من

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ص 134

² - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 484

³ - عيسى علي الكاعوب: المفصل في علوم البلاغة، ص 83

ضعف وقوة، وعز ودل، وكفر وإيمان، والنظر كذلك في قصص الأنبياء والمتاعب التي لحقت بهم في دعوة الناس إلى عبادة الله، كما يحمل الكثير من العبر الأخرى.

وتمثلت غايته في دعوة الناس إلى العمل بكتاب الله، والتمعن في آياته وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار لأن بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، وذلك ليغلب المؤمن حسناته على سيئاته ليربح ثواب الله والفوز بالجنة.

يمكن القول أن الجمهور المتلقي قد أميط عنه ذلك الغموض الذي كان يراوده بأن أحسن القصص كتاب الله، بل ترسخت الفكرة في ذهنه، إذ اقتنعوا بها وتأثروا.

وهذا مثال آخر:

يقول "الحسن البصري": "إنه والله لا أمة بعد أمتكم ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد

كتابكم"¹

لقد أحدث الخطيب هذا الخبر في جانب تواصله وتفاعله مع السامع، وقد أكده بأكثر من أداة توكيد ليحصن كلامه ويدفع الجمهور للتفاعل معه وقبوله، ويسمى هذا الضرب بالخبر الإنكاري لأنه "الصيغة اللغوية، أو الكيفية اللغوية المخصوصة المطابقة لحال متلق منكر لمضمون الخبر"²

وعمد الخطيب إلى إثبات الخبر، فحصن كلامه بمؤكدين "إن" والقسم "والله" وذلك بما يتناسب مع المقام، فقد أكد لهم بأنهم خير أمة، وذلك استشهاداً بقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾³

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ص 132

² - عيسى علي الكاعوب: المفصل في علوم البلاغة، ص 83

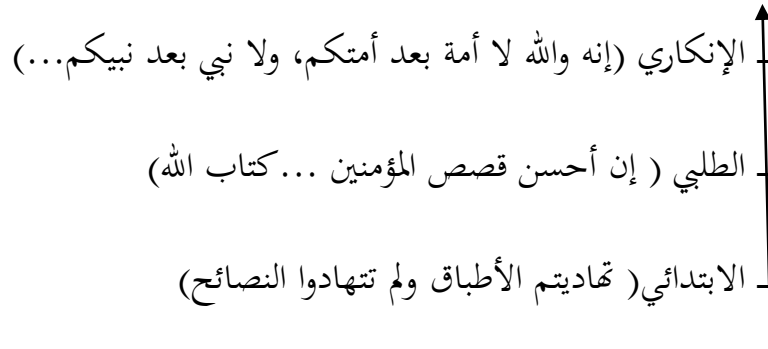
³ - آل عمران، الآية 110

وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو آخر الرسل، وأن الكتاب الحكيم هو آخر الكتب السماوية للبشر، وهي معان دينية لذلك فالكلام المؤكد كان أقوى، فأحدث نسبة تفاعل كبيرة بينه وبين السامعين.

أما غرضه فقد تمثل في الخوف والحشية من الجمهور، لأنهم اعتقدوا أنهم أفضل الأمم فأصابهم شيء من الغرور والتمايز على غيرهم، ولكن لا يدركون أن التمايز لا يكون إلا من منظور ديني وعقائدي، فالدين الإسلامي موجه لكل البشر في كل بقاع الأرض، لأن من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله وحدوده.

وقد كانت غايته من هذا الخبر الإنكاري - إضافة إلى التأكيد والإثبات - إقناع الجمهور السامع بأن يحمداوا الله على أنهم خلقوا في بقاع إسلامية تدين بدين الله وتؤمن بالرسول والكتاب الذي أنزل عليه، فعليهم أن يغتنموا هذه الفرصة ويجدوا ويتأبروا في خدمة هذا الدين وخدمة أنفسهم بالعبادة والطاعة.

ولو صنفنا الخبر كما قسمه القدماء في السلم الحجاجي لوجدنا أن "الابتدائي، وهو ما خلا من المؤكدات يقع في قاعدة السلم، في حين أن الخبر الطلي هو ما قام على مؤكد واحد، أما الخبر الإنكاري هو ما قام على أكثر من مؤكدين"¹ يأتي في أعلى السلم الحجاجي. وسنمثل الملفوظات الخبرية السابقة التي تم تحليلها، وفق سلم حجاجي فنحصل على الشكل التالي:



¹ - عزالدين الناجح: العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 128، 129

وفي الأخير يمكن القول أن الخبر بأضره قد تواتر في الخطب الدينية، لكون الخطيب اعتمده ليؤكد لجمهوره بواقعة معينة لم يستحضرها في ذهنه، وقد اختلف نوع التأكيد في الخبر وذلك توافقاً مع المقام وموقف السامع من مضمونه، كما خرج الخبر من مجرد الإفادة إلى أغراض وغايات أخرى فرضها السياق ومقتضى الحال. وعلى هذا نستشف بأن ما جاء به القدماء في قضية الإخبار لا يختلف عما تنادي به التداولية، وهذا ما لمسناه سابقاً في صنف الإخباريات وهو من الأفعال الكلامية التي جاء بها "أوستين" و "سيرل".

2.3 - الإنشاء:

الإنشاء هو "إلقاء الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه"¹ فهو لا يحتمل الصدق أو الكذب، فقد يقصد المتكلم التعبير عن معنى يحدث بنطقه إنشائياً فهو "مالا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به"²

فعنصر المقام هو الذي يحدد عملية التلفظ وفق أغراض المتكلم ومدى ارتباطه بالسامع، على اعتبار أن العلاقة بينهما تتغير بتغير ملابسات الكلام، التي تكون في الغالب غير لغوية تستلزم من المدرك اللغوي.

وقد ورد في الخطب الدينية العديد من الأساليب الإنشائية، التي وظفها الخطيب لمقاصد وأغراض محاولاً الوصول إلى الوجهة التي يريد، والجمهور المتلقي يحاول تأويل هذه الأغراض وفقاً للمعرفة المشتركة والمقام التي ألقى فيها، بتفعيله لجميع الكفاءات اللغوية وغير اللغوية.

وللأساليب الإنشائية عدة أنواع: كالأمر والاستفهام، والنداء، والنهي، والترجي... وقد تجلت في الخطب بكل حيثياتها.

¹ - أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، ص 61

² - عيسى علي الكاعوب: المفصل في علوم البلاغة، ص 247

وفيمايلي تحليل لبعض هذه الأساليب الإنشائية في الخطب الدينية الأموية:

1.2.3- الأمر:

جاءت في الخطب الكثير من الأساليب الأمرية، وقد أوردتها الخطيب بكم هائل لأن المقام أوجبها (مقام ديني وعظي)، وعلى هذا فهو مجبر على أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر.

يقول "الحسن البصري": "يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عما قليل قبرك"¹

* تمثل فعل الأمر في قوله "طأ الأرض" وينتمي هذا الفعل إلى الأسلوب الإنشائي الطلبي أصدره الخطيب حين كان واعظا الناس في مجلسه.

وقد خرج الأمر من معناه الأصلي، لأن الأساليب الطلبية بصفة عامة تخرج إلى عدة فروع، ويبرر هذا الحكم ما جاء به "السكاكي" قائلا " ... متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل، تولد منها ما ناسب المقام"²

جاء المعنى في صيغة الأمر وهو طلب الخطيب من الجمهور وضع قدميهم على الأرض، وهذا المعنى نتاج للوضع اللغوي المتعارف عليه، ولكن يخرج الأمر عن الوضع إلى مقاصد وأغراض لأنه " ليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحد، بل لابد أن تعضده مرتبة المرسل، لأنها هي التي تحول دلالة الصياغة من الأمر إلى غير ذلك"³

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ص 133

* فالأساليب الطلبية يطلب بها حصول شيء لم يكن حاصلًا وقت الطلب، ويرى السكاكي أن أفعال الطلب في خمسة أبواب " ... وأما الطلب فلأن كل أحد يتمنى، ويستفهم، ويأمر، وينهى، وينادي " ينظر السكاكي: مفتاح العلوم، ص 165

² - السكاكي: مفتاح العلوم، ص 304

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 342

أما قصده فقد تمثل في التذكير، وكأن الخطيب يذكر بني آدم رفقههم بالأرض التي يمشون عليها لأنها في يوم من الأيام هي قبره سواء طال به الأجل أم قصر، وعليه فهذا التذكير ينبئ على أن الإنسان خلق من تراب ويمشي فوقه، ويعيش فيه، ثم يعود إليه تارة أخرى.

وتضمن غرضه دعوة وتوجيه بني آدم إلى التواضع، لأنه من صفات المسلم، والتكبر والاستعلاء صفات نهي عنها الله ورسوله، بدليل أن خير البرية الرسول صلى الله عليه وسلم كان متواضعا في عيشه، وفي ملبسه وفي تعامله مع الناس، لا يميز بين فقير وغني ولا أبيض على أسود إلا بتقوى الله، وقد اقتبس هذا الغرض من قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾¹

وغايته من هذا الأمر هو التعليم، وكأن بالخطيب يحاول أن يعلم الناس مكارم الأخلاق، والكيفية الحسنة في التعامل، مشيرا في ذلك إلى إيقاف النفس عن تضخمها الزائف لأن الإنسان مهما تطاول وتكبر في الأرض ستأخذها إليها في يوم من الأيام بدون رجوع، وعليه فإن الواعظ يأمر السامع بوضع رجله على الأرض.

وهذا نموذج آخر:

يقول "عمر بن عبد العزيز": "اعلموا أن الأمان غدا لمن خاف الله اليوم"²

تمثل المعنى الظاهر في تلك المعاني الصريحة التي وظفها الخطيب في كلامه أنه من خاف الله اليوم سيكون له الأمان غدا. وقد خرج عن معناه الأصلي إلى مقاصد وأغراض، يريد الجمهور أن يفهم المغزى منها وفق ما يقتضيه المقام.

فكان قصده هو الإخبار أي؛ إخبار الناس بأن الأمان من عذاب الله يوم الآخرة يتحقق لمن خاف الله عزوجل، وإذا به يعقد صلة مقارنة بين الأمان والخوف، فبالخوف من الله

¹ - لقمان، الآية 19

² - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/120

يبتعدون عن المعاصي والمنكرات والمحرمات، وبالتالي يحافظون على الفرائض والسنن، كما نبههم إلى أن الخوف لا يكون بالأقوال فقط وإنما بالأفعال فهي الموصلة إلى الأمان، فالأمن نكسبه من الخوف من الله بفعل ما أمر به وترك ما نهي عنه.

أما غرضه فقد تمثل في النصح والتوجيه، لأن الخطيب يوجههم إلى التزود بالعمل الصالح في الدنيا، فهو السبيل لنجاته والباقي في مماته، فيشفع له يوم القيامة وينجيه من العذاب الأليم فيريح الآخرة وجنة النعيم.

وتجلت غايته في محاولة التأثير في نفوس الجمهور وتذكيرهم بما يعمق الإيمان في الله للإقبال على طاعته والإخلاص في عبادته، مما يجعلهم آمنين يوم القيامة، وقد اقتبس - الأمر - من آية قرآنية من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾¹ وهي حجة قوية لأنها مستلهمة من القرآن، وبالتالي يجعل الجمهور المتلقي يقبلها بكل صدر رحب ويتأثر بها لأنه لا يمكن أن يدحض في مثلها، كما يجب العمل به حاضرا ومستقبلا.

يقول " واصل بن عطاء ": " فتزودوا عافاكم الله فإن أفضل الزاد التقوى"²

تصدر هذا الكلام فعل إنشائي جاء في صيغة الأمر " تزودوا " ورد في صورته الشكلية على سبيل الاستعلاء، حيث أمر الخطيب الجمهور بالتزود الذي يدركون به تقوى الله. ونعتقد أن هذا الأمر يتوفر على شروط نجاحه في العملية التخاطبية، لاعتباره صادرا من رجل دين، فبحكم زهده وتعبده يمكن أن ييسط من مثل هذه الأوامر. وتجلي قصده من هذا

¹ - الأنعام، الآية 82

² - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 484

الفعل في النص والإرشاد، فقد نصحهم بالتزود في الحياة الدنيا واتخاذ زاد للرحلة الأبدية يوم لقاء الله عزوجل، والفقير من الزاد سوف يلقي ملوما محسورا، ويندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

أم غرضه فهو حث الناس من الإكثار من العبادات، لأن بها تكسب الحسنات وتمحى السيئات، وتكون وقاية للعبد من العذاب الأليم. وبما أن خير الزاد هو تقوى الله، فبالتقوى يعفو الله عليهم، وبالعفو تأتي النجاة، وبالنجاة يأتي المكسب، وبه يكون الفوز بالجنة التي عرضها السموات والأرض.

كما يتوفر هذا الفعل على غاية وهي توجيه الجمهور إلى الالتزام بتنفيذ هذا الأمر حاضرا ومستقبلا، لأنه هو الطريق السليم الذي به يربح العبد ربه، وما يؤكد صدقه أنه اقتبس هذا الأمر من آية قرآنية من قوله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾¹ فقد حاول من خلاله النفاذ إلى الجمهور والتأثير عليهم حتى يتمكن منهم، والوصول إلى غايته بأن أفضل الزاد هي تقوى الله. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد وجه الأمر إلى جهة في مقودورها تنفيذه (هم الجمهور)، وذلك باحترام الخطيب المصادر التي اقتبس منها هذا الفعل.

والملاحظ في الآية القرآنية التي اقتبس منها أنه استبدل "خير" ب"أفضل" فما هو السر في ذلك؟ يكمن السر في أنه كان ألثغ الرء، فخطبته من أولها إلى آخرها كانت منزوعة الرء، فحتى الآيات الكريمة التي نسج على منوالها لم يذكر فيها حرف الرء كما جاءت في المصحف، والسورة الوحيدة التي احتج بها في الخطبة هي سورة "الإخلاص" وهي منزوعة الرء.

¹ - البقرة، الآية 197

كما ورد الأمر في خطبة " صالح بن مسرح " * حيث يقول : " فبيعوا الله أنفسكم طائعين " ¹

ينتمي هذا الأمر إلى الخطابة الدينية، أصدره الخطيب موجهًا إياه إلى جمهوره من أجل الوعظ وتفقيهم في الدين من وجهة رأيه (لأنه من الخوارج).

تصدر هذا الفعل الإنشائي بفعل أمرى، وجاء بصيغة " بيعوا " و في معناه الظاهر يحمل قصدا صريحا على سبيل الاستعلاء، وهو بيع أنفسهم لله عن طريق الطاعة، فإن هذا القصد الظاهر هو نتاج للمواضعة اللغوية ، فلا مواضعة بدون قصد والعكس " فالمفيد والمعبر لا بد أن يقصد ما وضع له وإلا لم يكن مفيدا له، فلا بد من الأمرين (القصد و المواضعة) " ² فهذه العلاقة بينهما شكلت للفعل قيمة تفاعلية وتواصلية بينهما.

وقد خرج هذا القصد الظاهر عن معناه الأصلي وفق قرائن الحال والسياق وفعل التأويل إلى:

- القصد الضمني: يوضح هذا الفعل الإنشائي المتمثل في الأمر أن الخطيب لا يقصد الأمر، على الرغم من أن صيغته هي كذلك، بل خرج إلى معنى الطلب ليس على وجه الاستعلاء بل هو التماس، فطالبهم ببيع أنفسهم إلى الله، والبيع هنا جاء على سبيل المجاز، حيث شبه النفس بالمتاع الذي يباع، ولكن البيع هنا لله، مما يؤدي إلى حصولكم على الربح.

- الغرض: تمثل غرضه في الترغيب، فهو يرغبهم في طاعة الله، فمن باع نفسه مطيعا لله فإنه يحظى بنعيمه وجنته.

* صالح بن مسرح التميمي من الخوارج الصفرية، كان رجلا ناسكا، مصفر الوجه، صاحب عبادة، وكان له بدارا وأرض الموصل والجزيرة أصحاب يقرئهم القرآن، ويفقههم، ويقص عليهم، ينظر حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، ص 486

¹ - حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، ص 446

² - عبد السلام المسدي : التفكير اللساني في الحضارة العربية ، ص 151

- الغاية: محاولة التأثير في السامع وإقناعه، بأن الموت هو مصيركم وتتركون وراءكم كل شيء، فعليكم أن تبيعوا أنفسكم للخالق (ربح) ولا تبيعوها للمخلوق (خسارة). إضافة إلى ذلك فقد وظف هذا الفعل على أساس أنه فعل حجاجي، وأن الصيغة الحجاجية لهذه الأفعال تساهم في البرنامج الحجاجي العام.¹

ويمكن أن يقصد الخطيب بهذا الأمر حجة مصرح بها (بيعوا الله أنفسكم طائعين) لنتيجة ضمنية ومضمرة يحاول الجمهور فك ألغازها ومغالقتها من مثل (بيعوا أنفسكم لله ولا تبيعوها لغيره)، ويمكن أن يكون الأمر نتيجة مصرح بها للحجج صريحة (وردت في متن الخطبة):

- بيعوا الله أنفسكم طائعين (نتيجة)

- تدخلوا الجنة آمنين (ح 1) ، - تعانقوا الحور العين (ح 2) فهما حجتان قويتان قصد بهما الخطيب التأثير في الجمهور بأن دخول الجنة ومعانقة الحور العين يكون ببيع أنفسهم في دين الله بالطاعة والعبادة وتقوى الله.

حاصل القول مما سبق ذكره يمكننا القول أن الأمر من أكثر الأفعال دورانا في الخطب الدينية خرج عن معناه الأصلي إلى المقاصد والأغراض وإلى الأسباب من توظيفها أي؛ الغاية التي يحاول الخطيب الوصول إليها من خلال السياق ومقتضيات الأحوال، فقد جاء للوعظ والإرشاد والدعوة والتوجيه والتذكير والترغيب والتأثير والإقناع...، واستعمله الخطيب لحرصه على إنقاذ الجمهور من مهالك الدنيا والدعوة إلى التمسك بالطاعات والعمل بكتاب الله وسنة النبي، والإقتداء به في أقواله وأفعاله...

¹ - ينظر أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010

2.2.3 - النداء:

يعتبر النداء* من الأساليب الإنشائية الطلبية وقد تواتر في الخطب الدينية، إذ خرج عن معناه الأصلي إلى مقاصد وأغراض فرضها السياق ومقاصد المتكلم وأحوال الجمهور السامع.

يقول "الحسن البصري": "يا ابن آدم..."¹

لقد تكرر هذا النداء في الخطبة أكثر من مرة، (يا ابن آدم بع دنياك بأخرتك) و(يا ابن آدم طأ الأرض...) و(يا ابن آدم اذكر قوله تعال)... إلى غير ذلك.

وكان قصده من النداء هو التنبيه وإقبال الجمهور على ما يقوله، مطالباً إياهم بالتوقف معه عقلاً ووجداناً، فخرج التنبيه من الخاص إلى العام، من الجمهور المائل أمامه إلى بني آدم جميعاً، فكأنما عمم النداء للبشرية جمعاء عبر كل مكان وكل زمان.

وقد تضمن الغرض المضمون الذي جاء بعد النداء، لأنه "لا يستقيم النداء وحده إلا إذا ما فهم مضمون الرسالة التي كان ينبغي أن تظهر بعده من خلال عناصر المقام"² وهو مطالبة الخطيب بني آدم ألا يغتروا بمسالك الدنيا، والتواضع فيها، والانشغال بقضية المصير وما بعد الموت.

وكانت غايته حمل الناس على التفكير والتدبر والتبصر في المفارقات المطروحة بين مشاهد الدنيا وصور الآخرة، وذلك حتى يغيروا سلوكهم بعدم الانشغال إلا بالأصول الدينية.

* يعتبر النداء إنشاء طلب يراد منه إقبال السامع على المتكلم بذهنه، أما عند النحاة فهو بمثابة الجملة إذ يفيد (أدعو زائد مفعول به) والكلام بعده جواب لتلك الجملة فكان أن قسموا النداء والرسالة بعده إلى جملة نداء وجملة جواب النداء، ينظر الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية، ص 132، 133.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 132/3

² - الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية، ص 132

وفي سياق آخر يقول "عمر بن العزيز": "أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى"¹

افتتح الخطيب خطبته بندااء ليفتح باب التواصل بينه وبين الجمهور السامع، ولفت أنظارهم إليه وإلى ما يحدثهم به، حتى تكون الأذهان والعقول صاغية إلى ما يقول. إضافة إلى ذلك فقد تبع هذا النداء إخبار (إنكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى)، وهو إخبار مؤكد بأداة توكيد "إن"، وتعرف أغراضه من خلال المقام. حيث تمثل غرضه بإخبار الجمهور أن الله تعالى لم يخلق الناس في هذه الحياة لغير غاية، بل خلقوا لغاية وهي عبادته، من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾² فمن عبد الله أكرمه ومن ترك عبادته أهانه، كما لم يتركهم فيها هملا من غير تكليف.

حاول الخطيب أن يؤثر في الجمهور الحاضر خاصة والناس كافة بأن الله لم يخلق الإنسان عبثا ولا سدى، وهذا ليزيل ما كان ضبابيا في أذهانهم لأنه استمد النداء ومضمونه من آيات قرآنية، وذلك ليقوي حجته عليهم، فمن ذلك قوله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾³

ويقول "واصل بن عطاء" في موضع آخر: "واتقوا الله يا أولي الألباب"⁴

جاء هذا النداء بحرف النداء "يا" وهو نداء للبعيد خاطب به القريب وذلك لحالة نفسية وعقلية رصدها الخطيب في فكره موجهها إياها لغيره، ليدل بها على الاحترام بينه وبين الجمهور المتلقي، محترما قاعدة التأدب.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2/120

² - الذاريات، الآية 56

³ - المؤمنون، الآية، 115

⁴ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص484

ينادي الخطيب ها هنا أصحاب العقول، أن يحركوا العقل في كل توجهاتهم الحياتية، وأن يفتحوها إلى كل ما خلقه الله، ليدبروا شؤونهم، وليتدبروا ويطلعوا على ما فيه، وكأن بالخطيب يبلغهم بأن العقل هو أس كل إنسان في التفكير والتدبر.

وتجسد غرضه في دعوته إلى تقوى الله، لأن النداء مسبق بأمر " اتقوا الله"، وقد خرج إلى الإلزام بتقواه، بمعنى أنه ينادي ويقول: يا من لكم عقول تفكرون بها وتسيرون شؤون دنياكم، ألم تروا أن الله خلق كل شيء بقدر وأنتم تعلمون ذلك، وهذا ما انجر عن تلفظه " يا أولي الألباب "

وقد حاول من خلال هذا النداء الوصول إلى غايته، وهو التأثير في الجمهور بإقامة الحجة عليهم، وترغيبهم في الاحتكام إلى العقل لاستنباط كل ما يسمعون من آيات الله، وهذه العبارة (يا أولي الألباب) تعظم العقل وتؤكد مذهبه الاعتزالي، ومكانته في فهم القرآن الكريم، وقد تجسدت كذلك في الخطبة في قوله " أولئك هم أولو الألباب".

وصفوة القول مما سبق أن النداء خرج من معناه الأصلي إلى معانٍ آخر تفهم من خلال السياق ومضمونه الذي يأتي بعد النداء سواء أكان خبراً أم إنشأً. وجاء في معظمه نداءً للبعيد ولكن الخطيب يقصد القريب وذلك للعلاقة التي تربطه بمخاطبه.

3.2.3 - الاستفهام:

تضمنت الخطب الدينية بعض الأساليب الإنشائية المتمثلة في الاستفهام وهو من الأساليب الطلبية، يستعمله المتكلم " للسيطرة على مجريات الأحداث" ¹ حيث يخرج عن معناه الأصلي بتوسط قرائن الحال التي توجه الجمهور السامع للكشف عن المعنى المقصود والغاية التي

¹ - الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص352

يصبو إليها الخطيب، وهذا من خلال المعرفة المشتركة بينهما، فهي التي تفضي إلى التفاهم والتفاعل والتواصل فيما بينهما.

يقول "واصل بن عطاء في خطبته": "أين * الملوك الذين بنوا المدائن"¹

استفهم الخطيب في هذا الكلام بـ "أين" وهو محاولة استخباره عن مكان الملوك، والذي قصد من خلاله تنبيه الجمهور بعدم الاعتزاز بالملك فهو اغترار باطل، وهي مقاصد آنية مباشرة للمقولة اللغوية التي أدرجها في استفهامه.

وبما أن الخطيب يسعى إلى تحقيق غرض معين، فقد تجسد في النصح والإرشاد، حيث نصحهم بأن الغنى والثراء الذي لازم الملوك طوال حياتهم فهو إلى زوال ولا قيمة له عند الله، لأن القيمة الحقيقية للربح هو ربح الآخرة.

وعليه فالغاية المرجوة التي أرادها من خلال هذا الاستفهام، هو دعوتهم إلى إتباع السبيل الأنجع، وعدم التأثر بالملوك لأنهم سكنوا اللحود، وبقيت مساكنهم وما بنوه إلا معالم وآثار لا حول لها ولا قوة.

وقد يرد هذا الاستفهام كفعل حجاجي يقتضيه الحال وغاية الخطيب من إدراجه، بحيث "يستلزم تأويل القول المراد تحليله، انطلاقاً من قيمته الحجاجية"² ويمكن أن نؤوله وفقاً للسياق والمعرفة المشتركة إلى :

- (أين الملوك الذين بنوا المدائن) يمكن اعتبارها حجة استند إليها الخطيب ليبين للناس أن كل من عليها فان، وهي نتيجة ضمنية استلزمت من الحجة، مما يدل على أن الطاقة الحجاجية

* أين يسأل بما عن المكان، ينظر الكاعوب، المفصل في علوم البلاغة، ص 269

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 484

² - أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، ص 57

وجهت هذا الفعل توجيهها قصديا، حاول الخطيب من خلاله الوصول إلى غاياته وهي أن كل الملوك والمدائن والمساكن والأموال... وكل المغريات الدنيوية سوف ينتهي بها الأمر وتطمس على الأعين، ويبقى خير الزاد هو تقوى الله، وهو الطريق الأوحى للنجاة.

4.2.3 - النهي:

النهي من الأساليب الإنشائية الطلبية، يعرفه "الفتزاني" بقوله: "وهو طلب الكف عن الفعل استعلاء"¹ وصيغته "لا تفعل" وهو مقرون بالفعل المضارع، وقد تخرج صيغته عن دلالتها الحقيقية إلى دلالات أخرى يحددها المقام وقرائن الأحوال.

يقول "صالح بن مسرح" في خطبته: "لا تجزعوا من القتل في الله، فإن القتل أيسر من الموت"²

تضمن هذا الكلام فعلا إنشائيا يدل على النهي، استبق الخطيب من خلاله النهي عن شيء لم يحصل بعد في الواقع، لكنه طامح من حصوله مستقبلا، وهو نهيهم عن الجزع والخوف من القتال في سبيل الله، وقد خرج إلى أغراض ومقاصد أخرى بحسب مرتبة المخاطبين والسياق الذي أنتج فيه وتمثل قصده في الترغيب والحض على الجهاد في سبيل الله وتشجيعهم عليه، لأن الموت مدرتهم لا محالة، فموتوا شهداء حتى تكسبوا ثواب الله.

هذا ويشير غرضه الرئيس دعوتهم إلى جهاد الأحزاب المتحزبة وأئمة الضلال الفاسقين، ليلحقوا بالشهداء الذين سبقوهم من قبل، فقد باعوا الدنيا بالآخرة، وحاربوا وجاهدوا من أجل إعلاء راية الإسلام، والحفاظ على هذا الدين.

¹ - الفتزاني: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ص 427

² - حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، ص 487

أما غايته فتمثلت في التأثير والإقناع، وبذلك نعتبر هذا الفعل بمثابة حجة صريحة لنتيجة أضرها الخطيب، طالبا من الجمهور فهمها وتأويلها، ويمكن أن نمثلها على الشكل التالي:

- لا تجزعوا من القتل في الله (حجة)، وقد حملت نتيجة ضمنية من قبيل: إقناعهم بأن الخوارج هم الأصلح وما يدعون إليه هو الأنجع لرضى الله، وباقي الأحزاب ضالة، لذلك فهو يجرضهم على القتال في سبيل الله وقتال الأحزاب الضالة، للحفاظ على هذا الدين.

5.2.3 - الترجي:

الترجي يدخل في باب الإنشاء غير الطلي، وهو " مالا يستدعي مطلوبا، وله صيغ كثيرة منها: التعجب، والمدح، والذم، وأفعال الرجاء..."¹

وعلى هذا فالترجي هو إمكان حدوث أمر ما، ولا يكون إلا في الأمر الممكن أي القريب الوقوع في تصور المتكلم، ومن أدواته: الأفعال مثل رجاء، ود، والحروف مثل لعل.²

وقد تضمنته الخطب الدينية لأغراض أرادها الخطيب تماشا مع مقام الخطبة وأقدار السامعين.

يقول " عمر بن عبد العزيز" في خطبته: "وما أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدي"³

تم التعبير عن الرجاء في هذا الكلام بالفعل " وددت " وقد يكون له نفس القصد والغرض والغاية لأنه يفيد معنى واحد وهو الترجي. لذلك فالخطيب أراد من الجمهور وضع أيديهم في يده بغرض الإتحاد والتلاحم لترابطهما صلة قرابة، بشرط أن يكون ما أسلفنا ذكره

¹ - علي الجارم، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص 170

² - ينظر الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية، ص 131

³ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 2/121

خالصا لوجه الله، وهذا حتى يطمئن الزاهد على حالهم، وهذا الرجاء ممكن الوقوع بالنسبة للخطيب.

وهذا مثال آخر بالحرف "لعل"

يقول " واصل بن عطاء " في خطبته: " لعلكم تفلحون"¹

تمثل الرجاء في قول " واصل " بالحرف لعل، وقد قصده الخطيب من أجل الطلب، وهو تقوى الله لعلهم ينجحون ويفلحون إذا لم يخالفوا ما جاء به، وهو كذلك رجاء ممكن حصوله لأن الخطيب اقتبسه من آية قرآنية، في قوله تعالى: ﴿ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾²

حاصل القول مما سبق ذكره، أن الأساليب الإنشائية خرجت عن معناها الأصلي إلى معان ومقاصد وأغراض وغايات، اقتضتها الظروف الحالية والمقامية ومرتبة المخاطبين، وتشكلت هذه الأساليب من عناصر التخاطب الأساسية: الخطيب، والجمهور، والمقام، والقصد الذي خرج هو أيضا إلى أغراض وغايات، وهذا غير بعيد على ما جاءت به نظرية الأفعال الكلامية في باب التوجيهيات.

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 484

² - آل عمران، الآية 200

- خلاصة الفصل:

تضمن هذا الفصل الخطب الدينية في جوانبها البلاغية، وقد خرج إلى مايلي:

- اعتمدت على الجانب البياني (استعارة، كناية، تشبيه) وظفها الخطيب للوصول إلى مقاصده وأهدافه، وقد حملت العديد من المقاصد توافقا مع السياق المقالي والمقامي، التي أتاحت للجمهور استنباطها وتأويلها وإخراجها من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم. كما كانت على درجة عالية من الإقناع.
- اعتمدت على المحسنات البديعية (مقابلة، طباق، سجع) ، استعملها الخطيب ليحقق مقاصده التداولية، وأبعاده الحجاجية ومدى تأثيرها على الجمهور.
- أما فيما يخص الخبر والإنشاء، فنجدهما قد تواترا بشكل كبير في الخطب الدينية، فالخبر لجأ إليه الخطيب ليؤكد للجمهور بواقعة معينة، وقد اختلف نوع التأكيد في الخبر، وذلك بما يخدم الموقف وسياق الحال، الذي خرج إلى القصد والغرض والغاية، وهذه المفاهيم برمتها غير بعيدة على ما جاءت به نظرية الأفعال الكلامية. كما خرجت الإنشائيات عن معناها الأصلي إلى معان وأغراض ومقاصد وغايات اقتضتها الظروف السياقية.

الفصل الثالث

آليات الإضمار التداولي وبعده

التأويلي في الخطب الاجتماعية

- مقدمة الفصل:

يهدف هذا الفصل إلى تطبيق آليات الإضمار التداولي وبعده التأويلي في الخطب الاجتماعية، واخترنا بعض النماذج من الخطب، لنبين فيها مدى تجاوز الخطيب الملفوظات اللسانية وكيف تتولد إلى مضمرات تداولية، تتم عن طريق التأويل التداولي والقرائن السياقية المختلفة.

واعتمدنا في التحليل على المضمرات الإقتضائية بشتى أنواعها(الدلاية، المنطقية التداولية)،ومن ثم طبقا بعض المضمرات الإنجازية - وردت بشكل مكثف في الخطب - وكيف خرجت من الأفعال المباشرة إلى الأفعال غير المباشرة.

وتعرضنا كذلك إلى تطبيق المضمرات الاستلزامية، وبخاصة مبدأ التعاون وخروقاته التي أنتجت مضمرات تداولية حافظت على التعاون بين المتخاطبين.

- تمهيد:

لقد نشطت الخطب الاجتماعية في العصر الأموي نشاطا كبيرا، حيث اشتملت على العديد من الأغراض المتصلة بالحياة الاجتماعية، كخطب الزواج، والتهنئة والتعزية، وخطب الإصلاح بين القبائل، وخطب الوفود...

ومن هنا نرى أن الخطب الاجتماعية اهتمت بقضية جوهرية، وهي الإضمار التداولي، الذي يحاول من خلاله الخطيب تجاوزه للمنطوق اللساني إلى مضمرات تطابق بينه وبين ظروف إنتاجه، للكشف عن القوانين التي تتحكم فيه، لأن المضمرة لا يستنتج من دون سياق، تقول "أركيوني": "تنتج المضمرة جراء فعل مشترك بين العوامل الداخلية والخارجية، في حين يضطلع السياق أو السياق الحالي للنص بدور إيجابي هذه المرة في عملية توليد المحتوى المضمرة"¹

واللافت للنظر أن نصوص الخطب الاجتماعية كانت عينة كاشفة للبعد التأويلي التداولي لما تكتنفه من أغراض مختلفة، وثرء مهم لدلالة الملفوظ.

وسنعمد إلى اتخاذ بعض النماذج من الخطب الاجتماعية، مركزين على أضرب متفرقة من أنواع المضمرة، التي يعتمد عليها الخطيب في خطبه لأنه في بعض الأحيان يضم أكثر مما يبين، وهذا حتى يفتح آليات التأويل لدى المخاطب، على اعتبار أنه من مميزات الأقوال المضمرة أنها تترك لتقدير السامعين، من أجل تأويلها في ملفوظات معينة، تقول "أوريكيوني": "يجب أن يلجأ الملتقي، فضلا عن كفاءته الألسنية اللغوية، إلى كفاءته المنطقية والبلاغية التداولية التواصلية"²، فالسامع يوفر كل الكفاءات حتى يتسنى له استخراج المضمرة التي يقصدها الخطيب في سياق إنتاجها.

¹ - أوريكيوني: المضمرة، ص 50

² - المرجع نفسه، ص 80

1- المضمرة الاقتضائية وتأويلاتها في الخطب:

الاقتضاء التداولي هو جانب مشترك بين المتكلم والمخاطب في العملية التخاطبية، ويكون في البنية اللغوية، ويتداخل بشكل كبير مع الافتراض المسبق، كونه يشكل خلفية مهمة لنجاح العملية التواصلية، من خلال التأكيد على أنه جزء مهم من الخطاب، إذ لا أحد يمكن أن يتكلم دون أن يكون لكلامه افتراضاً أو اقتضاء، كما يقدم تفسيراً صريحاً لمقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول، أي؛ أكثر مما يعبر عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعملة.

وقد تواتر في جل الخطب الاجتماعية، لأن الخطيب لا يتكلم دون أن يكون لكلامه افتراضاً، وتتطابق هذه الافتراضات مع "حقائق معروفة سلفاً ومقبولة من قبل المرسل إليه - كأن تكون مستمدة مثلاً من معرفته الموسوعية الخاصة، أو أن تتلاءم وبديهيته من المفروض أن يتشاطرها عموم الأشخاص المنتمين إلى الجماعة المتكلمة"¹

يقول "عبد الله بن الزبير" * بعد مقتل أخيه مصعب * : "فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه، وإن كان معه الأنام طراً* ، ولم يذل من كان الحق معه، وإن كان مفرداً ضعيفاً"²

¹ - أرويكيوني: المضمرة، ص56

* هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد، كان أول مولود للمهاجرين بالمدينة، ولد سنة اثنتين، وقيل: سنة إحدى - وأمه أسماء، وخالته عائشة، وكان فارس قريش في زمانه، وقيل: إنه شهد اليرموك وهو مراهق، وفتح المغرب، وغزو القسطنطينية، ويوم الجمل مع خالته، وبويع بالخلافة سنة 64، وحكم على الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وخراسان، وبعض الشام... وقد قتله فتي ثقيف (الحجاج) وقطع رأسه وصلبوه منكسا... وقد حنطته أمه، وكفنته، وصلت عليه... توفي سنة 73هـ

* لما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير سنة 71 هـ وانتهى خبر مقتله إلى عبد الله بن الزبير، أضرب عن ذكره أياماً، حتى تحدث به إمام مكة في الطريق، ثم صعد المنبر فجلس عليه ملياً لا يتكلم والكأبة على وجهه وجبينه يرشح عرقاً، فقد كان وقعته على قلبه أشد من الأحداث التي سبقته، ينظر أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 165، 166

* طراً أي جميعاً

² - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص166

ينتمي هذا الملفوظ إلى الخطابة الاجتماعية، صادر من " عبد الله بن الزبير"، وجهه إلى الجمهور الحاضر معه، في مقام عزاء يعزي نفسه وأنصاره بمقتل أخيه.

وقد استند الخطيب إلى اعتماده على الأقوال المضمرة، في هذا المقام التخاطبي، لمجموعة من الأسباب والدوافع التي منعت من التص

وقد وظف مجموعة من الافتراضات والاقتضات بشتى ضروبها، لاسيما الدلالية أو المنطقية أو التداولية، وسنعمد إلى استخراج المستور منها، معتمدين على السياق بشقيه المقالي والمقامي، ويمكن تجسيده كمايلي:

1.1 . الاقتضاء الدلالي:

- في قوله " فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه، وإن كان معه الأنام طرا"

اشتمل الملفوظ على جانبيين يشتملان مضمونين مختلفين:

- الجانب الأول: تصريح الخطيب بالمعلومة علنا، وهو أن الله لم يعز من كان معه الباطل، وإن كان معه جميع الناس.

- الجانب الثاني: وقد حمل المعلومات غير المصرح بها" كونها تعامل على أنها معروفة، ولذا فإنها تعتبر جزءا مما يتم إيصاله دون قوله" ¹، وهو ما يقتضيه الملفوظ دلاليا، ويمكن تأويله دلاليا* على أن الله يعز من غير باطل أي إنسان سواء أكان فردا أم جماعة، وقد فهم من خلال السياق اللغوي والدلالي، ولم يتدخل السياق الخارجي في تحديده.

¹ - جورج يول: التداولية، ص51

* ويتعلق بتأويل جزئي للجملة انطلاقا من المكونات الداخلية (تركيب ، معجم ، صوت ، دلالة) وتندرج داخل التأويل اللساني، ينظر عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص23

وكذلك في الجزء الثاني من الملفوظ، قوله " لم يذل من كان الحق معه، وإن كان مفردا ضعيفا"

نجد هنا حذف اسمي (لم يذل) وقد حذف الفاعل وهو الله، وهو ضمير مستتر أو مخفي فهم من خلال السياق المقالي، وقد صرح الخطيب بأن الله لم يذل من كان معه الحق، وإن كان فردا ضعيفا.

أما الاقتضاء الدلالي، فيتمثل في أن الله يذل أي إنسان مهما كانت صفته ضعيفا أو قويا، فردا أم جماعة، إن لم يكن معه الحق.

اقتضى هذا المركب اللغوي سلسلة من الاقتضاءات، تلاءمت مع ورود الكلمات الحاملة لمعان مضمرة دلالية، قائمة على معطيات لغوية، فسرت عن طريق التأويل الدلالي

2.1 - الاقتضاء المنطقي :

ينطلق التوليد الاقتضائي المنطقي من القضية اللغوية، وفقا للوحدات الجمالية، والكلمات الخطية، فهو مثله مثل الاقتضاء الدلالي " لا يتوسل بالخطاب ومعطياته المقامية إلا في أحوال خاصة " ¹، فكل جملة تقتضي دلالية ومنطقيا جملة أخرى وبمعرفتنا " للتأويل المتعلق بالمحمول والموضوع تشكل لنا قضية ذات معنى " ² ويمكن تجسيدها على هذا النحو:

- لم يعز الله من كان الباطل معه وإن كان معه الأنام طرا.

فالقضية الجمالية لهذه الجملة، عدم معزة الله للباطل، فالعنصر المنفذ لهذه الواقعة هو الله تعالى، وقد جاء المحمول منفيًا بالأداة " لم "، ورغم ذلك فبنية النفي لم تغير المحتوى القضوي، وعليه فالجملة تقتضي أن الله يعز ولكن من كان معه الحق وليس الباطل، فهذا الاقتضاء

¹ - بنعيسى عسو أزييط: الخطاب اللساني العربي، هندسة التواصل الاضماري، ج3، ص37

² - ريكانتي: فلسفة اللغة والذهن، ص79

الدلالي بين الجملتين (الصريحة والمقتضاة) لم يغير من واقع الاقتضاء، ويعود إلى الترتيب المنطقي الذي جسده الخطيب في هذه الجملة، وقد شكل علاقة غير متغيرة، فقد اقتضت الجملة دلاليا ومنطقيا جملة أخرى بمراعاة التأويل الدلالي، لاسيما بالنفي أو بعدمه.

- " لم يذل من كان الحق معه وإن كان مفردا ضعيفا".

نلاحظ كذلك في هذه الجملة أن الخطيب استعان بأداة النفي، وقد نفى المحمول (لم يذل)، وجوهر القضية الحملية عدم مذلة الله من كان الحق معه، والعنصر المنفذ للواقعة هو الله. ويعني هذا أن القضية المشتقة هي صادقة مهما كانت طبيعة الجملة القضية، لأن " الاقتضاء - في حد ذاته - يتطلب صدق قضاياها المقتضاة... وهي دوال عليه، ولو خالف إيرادها حقيقة الحال ومقتضى المقام"¹، ولكن هل يتطابق صدق القضية مع هذه الجملة؟ للإجابة نمثلها على شكل رموز رياضية:

- لم يذل من كان الحق معه وإن كان مفردا ضعيفا (بالنفي) ونرمز لها بـ "أ"

- يذل من كان الحق معه وإن كان مفردا ضعيفا (بلا نفي) ونرمز لها بـ "ب"

- الجملة القضية: الله يذل نمرز لها بـ "ج"

إذا اعتبرنا أن "أ" منفية (في هذه الحالة النفي جاء صادقا وليس كاذبا) و الجملة "ب" (هنا جاءت كاذبة وغير منفية، أي مثبتة)، فإن الجملة القضية جاءت صادقة وهو أن الله يذل، ولكن يذل من كان على باطل وليس على حق.

¹ - بنعيسى عسو أزييط: الخطاب اللساني العربي، هندسة التواصل الاضماري، ج2، ص55

فهنا يصعب أن نربط بين الجملة " ب " والجملة " ج " لأن الجملة " ب " لا تضمّر المعنى المقارب للاقتضاء، لأن الخطيب في هذا الملفوظ قابل بين الجملتين ولذلك يصعب القول أن الجمل المنفية وغير المنفية تحقق دائما شروط صدق القضية.

وعليه يمكن الربط اقتضائيا بين الجملة الأولى نرمر لها بـ " س " والجملة الثانية، نرمر لها بـ " ع "، تقتضي " س " + " ع " أن الله يعز الحق ويذل الباطل، وهي النتيجة الاقتضائية للملفوظ برمته.

ويبدو من خلال هذا الاقتضاء الذي تشكل على شكل وحدات اعتمدها الملفوظ، قد خضعت لبلورة منطقية، حيث أخذت بالربط بين الوحدات الجمالية، ما ولد لنا اقتضاء منطقيا ضروريا، وقد تعلق هذا الاستدلال المنطقي بأحوال المقال والسياق اللساني.

2.1- الاقتضاء التداولي:

يتميز الاقتضاء الدلالي والمنطقي عن التداولي كون هذا الأخير " يقتضي التعبير (ع) الجملة القضية (ك) إذا كانت (ك) تشكل معرفة مشتركة، أو بإمكانها تشكل ذلك، وذلك في السياق (سق) الذي تكون فيه (ك) منسجمة مع (سق) وظيفيا، أو معطيات الخطاب " ¹ فهو حامل لعنصرين مهمين هما المعرفة المشتركة والمقام. ويمكن إسقاطه على الملفوظ " فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه، وإن كان معه الأنام طرا، ولم يذل من كان الحق معه، وإن كان مفردا ضعيفا "

نرى بأن الخطيب وظف هذا الملفوظ على أساس التقابل والتضاد بين الجملتين، حيث قابل الجملة بالجملة التي تليها، وقد استمدده المتكلم من ثقافته الدينية، كونه الزاهد العابد العارف بأمور الدين، وقد اقتبس من الآية القرآنية،

¹ - أزيبط: الخطاب اللساني العربي، ج3، ص 40

في قوله تعالى: ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾¹، بمعنى أن الله ينصر من كان على حق ولو قلة، ويذل من كان معه الباطل ولو كانوا جماعة.

وقد انصب الاقتضاء التداولي لهذا الملفوظ على مجموعة من المضمرات، ويمكن تأويلها وفق سياق الحال والمعرفة المشتركة بينه وبين الجمهور المتلقي، التي تعد شرطاً أساسياً في الاقتضاء فبانعدامه يجعل الاقتضاء غير ناجح، وبذلك فالملفوظ الموجه من قبل الخطيب يتلاءم مع وروده الاقتضائي المقامي مع الجمهور المتلقي، لأن الجمهور يشاطره نفس المحنة ونفس اللوعة، وهي مقتل "مصعب بن الزبير"

- لم يعز الله من كان الباطل معه وإن كان معه الأنام طراً، فاقضاءاته التداولية تخرج إلى المضمرات التالية:

- لم يعز الله عبد الملك بن مروان (وهو يقصد هنا قاتل أخيه).
- بنو أمية لا يصلحون للحكم لأنهم على باطل.
- الله لا ينصر الباطل رغم قوة أتباعه (وهم أتباع عبد الملك بن مروان).
- لم يذل من كان الحق معه، وإن كان مفرداً ضعيفاً، واقضاءاته التداولية تكون بهذا الشكل:
- لم يذل الله عبد الله بن الزبير (يقصد نفسه)
- يرى أنه صاحب الحق في الخلافة
- يصر عليها ولو تخلى عنه جميع الناس، ويبقى وحده يصارع من أجلها

¹ - البقرة، الآية 249

ويتجلى الاقتضاء التداولي الإجمالي في أن الله سينصر عبد الله بن الزبير وأتباعه لأنه يرى أنه صاحب حق.

وكان الناظر للملفوظ يرى بأنه رغم مقامه الاجتماعي (مقام تعزية)، إلا أنه طبع بفكر سياسي خالص، إذ بالخطيب يحاول استمالة الجمهور وإقناعهم بأن الحزب الزبيرى هو الأحق بالخلافة، وعلى هذا فهو يطالب أنصاره بمواجهة جيوش عبد الملك بن مروان الذي يراها أنها على باطل.

وكما نرى أن الملفوظ جاء منسجما مع الوقائع التي افترضها الخطيب، وهذا ما جعل الجمهور المتلقي يؤول المضمرة التي أراد الخطيب الوصول إليها بسهولة، على الرغم أن الخطيب لم يصرح وذلك حفاظا على مكانته، كرجل سياسة، وكذلك بحكم معارضه، فلم تخول له أقواله الاعتراف صراحة بما حاول إظهاره.

وسوف نأخذ مثلا آخر من خطب الوفود*، وهو وفود "أم سنان بنت خيثمة" على "معاوية"*... فدخلت عليه، فانتسبت فعرّفها، فقال لها، مرحبا بك يا بنت خيثمة، ما أقدمك إلى أرضنا؟، وقد عهدتك تشتمينا، وتحضين علينا عدونا، قالت: إن لبني عبد مناف أخلاقا طاهر، وأعلاما ظاهرة، وأحلاما وافرة...¹

* ازدهرت خطب الوفود في العصر الأموي بشكل لافت، وخاصة مع معاوية الذي هو أول من فتح أبوابه على مصاريعها لتلك الوفود، فكانت ترد تباعا إلى ساحته، تعلن تارة ولاءها، وتارة تعرض ظلامة لها، وهو دائم الحفاوة بها، ينظر شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، ص 428

* حبس مروان بن الحكم وهو والي المدينة في خلافة معاوية، غلاما من بني ليث في جناية جناها، فأنته حدة الغلام، وهي أم سنان بنت خيثمة المدحجية، فكلمته في الغلام، فأغلظ لها مروان، فخرجت إلى معاوية، ينظر أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 359

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 359

حمل هذا الجزء من الخطبة حوارا دار بين " معاوية بن أبي سفيان " و " أم سنان " وهي من الوافدات عليه، في مكان وهو مجلس " معاوية " وزمان مخصوص.

جاءت هذه القطعة الحوارية متسقة الألفاظ والتراكيب " فالقواعد الخاصة بالمعجمية تعطي تأويلا للكلمات الفردية ، والتركيبية تعطي تأويلا للبناءات التركيبية" ¹ وبذلك فالوحدات اللغوية موازية بشكل كبير مع مظاهر البنية السطحية في جانبها الدلالي والمنطقي، ولهذا يعد صنف الاقتضاء المنطقي العقلي (أو اللزوم المنطقي) جزءا أساسيا من الاقتضاء الدلالي، ولذا فإن تمثيله هو تمثيل دلالي صرف" ²، وعليه سوف نؤوله دلاليا ومنطقيا بهذا الشكل:

- الاقتضاء الدلالي والمنطقي:

- قال لها: مرحبا بك يا بنت خيثمة (متكلم) ← يقتضي هذا الترحيب أن هناك ضيوف وهي بنت خيثمة

- ما أقدمك أرضنا (متكلم) ← يقتضي هذا الاستفهام أن المتكلم السائل لا يعلم أسباب قدوم المسؤول، كما يقتضي أيضا أن هناك أرضا قدمت إليها

- عهدتك تشتمينا (متكلم) ← تقتضي أنه على معرفة مسبقة بها وهو شتمها لهم

- تحضين علينا عدونا (متكلم) تقتضي ← أن هناك عدو لمعاوية، وبنت خيثمة حضتهم عليه.

- إن لبني عبد مناف أخلاقا طاهرة (مخاطب) ← يقتضي أن هناك قوم يطلق عليهم هذا الاسم، وأخلاقهم طاهرة.

¹ - ريكانتي: فلسفة اللغة والذهن، ص 79

² - أزيبط: الخطاب اللساني العربي، ج3/38

- أحلاما وافرة(مخاطب) ← وهنا يوجد حذف، وتقدير الكلام أن لعبد مناف أحلام وافرة، ويقتضي أن هناك قوم لهم أحلام.

حملت هذه المقطوعة الحوارية وحدات لغوية شكلت لنا هذا النسيج التخاطبي، وقد خضعت في بلورتها إلى جمل اقتضائية مضمرة، شكلها الاقتضاء الدلالي والمنطقي، ولعل استدعاء اللزوم المنطقي في هذا الحوار أمر ضروري مما ربط منطقيا بين الجمل اللغوية، حيث أن كل جملة اقتضت الجملة المضمرة، والنتيجة الاقتضائية للجملتين - الصريحة والمضمرة - أبتت على صدق القضايا التي ذكرت في الحوار.

وقد تراءى الافتراض المسبق هاهنا بالاقتضاءات التي استخرجناها آفنا، ففي قول (أم سنان) مثلا "إن لعبد مناف أخلاقا طاهرة، و... " نجد افتراض مسبق وجودي" ولا يفترض وجود الافتراض المسبق الوجودي... في تراكيب التملك فحسب) مثلا "سيارتك" << لديك سيارة، وإنما عموما في أية عبارة اسمية¹

وقد اقتضى وجوديا أن لهذا القوم أخلاقا طاهرة وأعلاما ظاهرة وأحلاما وافرة، وهو اعتراف يحمل تقرير للواقع أنهم يحملون هذه الصفات، وهي صفات لا تتعارض مع أخلاقهم وشيمهم، وهذا ما زاد من سكون " معاوية" لأن الأدلة والحجج المقدمة جاءت مسترسلة حكمها ذلك الترابط المنطقي والدلالي الذي ناسب السياق اللغوي والمقالي.

- الاقتضاء التداولي:

عالجنا آفنا الاقتضاء المنطقي والدلالي، واتضح لنا أنه لا يكفي وحده لمعرفة المضمرة الاقتضائية الضمنية، إذ لا بد من رصد الجوانب التداولية، وهذا لا ينفي أنه توجد علاقة بينهما

¹ - جورج يول: التداولية، ص 54

" لانعدام وجود تفاعل كبير بين المكونين الدلالي والتداولي، وهو التفاعل نفسه الذي يلاحظ في الأوصاف المقدمة، بصدد معالجة الكثير من الظواهر اللغوية"¹

وظفت هذه القطعة الحوارية التي قامت بين (معاوية) و (أم سنان) جملا مناسبة لطبيعة المقام وما اقتضته الأحوال، مع مراعاتها للاقتضاءات الصحيحة والصادقة (وهذا ما تجلّى في الاقتضاء الدلالي والمنطقي)، والمعارف المتبادلة بينهما، إذ أن طبيعة السؤال والجواب الذي قام بينهما فيه من الإضمار ما فيه، وذلك لطبيعة العلاقة الموجودة بين السائل والمسؤول، فالمتكلم في موضع أعلى من المخاطب، وهذا ما منع (أم سنان) من التصريح، وجعلت معاوية يفهم ضمنا.

ففي قول السائل " ما أقدمك إلى أرضنا؟" فيه استفهام للاستخبار اقتضى الخروج عن حقيقته إلى دلالات أخرى، كأن يقتضى التعجب، فالمتكلم (معاوية) تعجب من هذا القدم المباشر ل (أم سنان)، وهو على معرفة مسبقة بها أنها ليست من أنصاره ولا مواليه، وهذا ما اقتضته الجملة (تحضين علينا عدونا)، فهي حسبته كانت تحض عليه الأعداء ويقصد أنصار (علي رضي الله عنه)، لأنها كانت من أنصاره.

وفي إجابتها (أم سنان) فالأقتضاء التداولي التي عولت عليه هو الجواب غير المباشر، فعند إجابتهم بقولها (إن لعبد مناف أخلاقا طاهرة، وأعلاما ظاهرة، وأحلاما وافرة)، فالظاهر من كلامها أنها تمدح وتطري على معاوية، من دون الإزراء والانتقاص من قدر علي. أما المضمرة الاقتضائي فيمكن تأويله تبعا للسياق، أن (أم سنان) لم تمدح بني أمية (أتباع معاوية) وتدم أتباع (علي رضي الله عنه)، بل مدحت بني عبد مناف بصفة عامة، وهو الجد الأكبر لمعاوية وعلي.

¹ - أزيبط: الخطاب اللساني العربي، ج 2/128

وهكذا تتضمن إجابة (أم سنان) الموقف الواضح اتجاه معاوية، وترى بأن علياً أولى عليه بالخلافة لما عرف به من العدل والحكمة ومحافة الله، ورغم ذلك ترى في معاوية الخير مقارنة بالولادة لأنه يلي الحاجة، وهذا هو السبب الجوهرى الذى دفعها إليه.

وكان يدرك معاوية تمام الإدراك أن هذا المدح تخص به علي على وجه الخصوص، لأن الرجل عرف بدهائه وحلمه، وقد استشهد ببيت شعري * مدحت فيه علي، وذلك حتى يقيم عليها الحجة. وهذا يقتضى أن معاوية قد فهم ما تضرر العجوز.

ومما سبق تحليله جاز لنا القول بأن المضمرة الاقتضائية بشتى ضروبها (الدلالية والمنطقية والتداولية) ساهمت بشكل صريح فى استخراج ما اقتضته الملفوظات لاسيما فى جانبها الدلالي والمنطقي وإن كان على صعيد الجانب اللسانى أو على مستوى الجانب التداولى التى تفاعلت معه مجموعة من الأوضاع والمواقف السياقية والمقامية، التى اقتضت معرفة المسكوت عنه فى الملفوظات.

* هذا على كالهلال، تحفه
وسط السماء من الكواكب أسعد
خير الخلائق، وابن عم محمد
إن يهدكم بالنور منه تهتدوا؟
ينظر نص الخطبة، ص 360

2 - المضمرة الإنجازية وتأويلها في الخطب:

تضمنت الخطب الاجتماعية العديد من المضمرة الإنجازية للفعل الكلامي بنوعيه، الإنجازي المباشر وغير المباشر، فأما المباشر أن لا يكون " بحاجة إلى تبين لأي معنى إضافي فهو يقدم منطوقاً محدوداً واضحاً لا يحتمل التأويل ولا يقصده"¹، فهي تؤدي العبارات اللغوية بصيغة تحكمها معطيات لسانية لا تحتمل أي تأويل لأنها تؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسها، أما غير المباشرة فهي " التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يؤدي على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر"²، فهي غير مباشرة تحتكم إلى معان مضمرة تحكمها معطيات تداولية، فالتوليد الإضماري يقوم عليها وعلى طبيعة التعالق التخاطبي بين المتكلم والمتلقي.

وندعم ما أشرنا إليه ببعض النماذج من الخطب الاجتماعية، التي جاءت في معظمها معبرة عن حالات نفسية مختلفة تراوحت أغراضها خصوصاً بين الحزن والفرح والحب والخوف والاعتراف...

1.2 . الإعلانيات:

يقول " عمر بن عبد العزيز" في إجابته عن محمد بن الوليد بن عتبة * : " قد زوجتكما على كتاب الله: إمساكاً بمعروف، أو تسريحاً بإحسان"³

¹ - علي محمود حجي الصراف: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 98

² - محمود أحمد نخلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 84

* خطب محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان إلى عمر بن عبد العزيز أخته، فتكلم عمر بكلام طويل، ينظر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق، عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 4، ط 1، 1983، ص 234،

³ - ابن عبد ربه: العقد الفريد، ص 234

ينتمي هذا الملفوظ إلى الخطب الاجتماعية، وبالتحديد خطبة النكاح، جاءت أثناء رد "عمر بن عبد العزيز" على "محمد بن الوليد"، وهو عبارة عن سلوك اجتماعي ورثه الخطيب من السلف الصالح.

ويدرج هذا الملفوظ في باب "الإعلانيات"، والسمة المميزة لها أن "أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي العالم الخارجي"¹، فمحتواه القضوي عبر به المخاطب عن محتوى قضيته، وهو إعلان الزواج على كتاب الله، فالحمول تمثل في الفعل "زوج" والموضوع تمثل في الضمير المتصل "كما" الذي يعود على الزوج والزوجة، وقد اشتمل على التصريح بإشهارهما زوجا وزوجة، دل عليهما المؤشر "قد زوجتكما" تصدره الحرف "قد" الذي دخل على الفعل الماضي "زوج"، وإذا "دخلت على الماضي قريبته من الحال"²، وبذلك فهو يعني الإعلان عن تحقيق شيء في العالم لم يوجد من قبل؛ أي إعلان الزواج على كتاب الله، ليفصل للمتكلم على تحمله تبعات الزواج والقدرة عليه.

وعليه فقد خرج هذا التصريح الصادر من "عمر بن عبد العزيز" إلى تمثله مؤسسة غير لغوية (وهو مكان إجراء هذا الزواج وقد تكون مؤسسة من المؤسسات) لأنه "لا تكون هذه التصريحات ممكنة إلا بسبب وجود مؤسسات خارج اللغة"³

أما عن مضمراته الإنجازية التي ولدت معاني مضمرة عن طريق التأويل غير المباشر، فهي:

¹ - محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص52

² - أبي الحسين علي بن عيسى الروماني: معاني الحروف، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005، ص95

³ - جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص220

- أن يكون الزواج رباطه المودة والرحمة بين الزوجين.
 - إتباع ما شرعه الله؛ أي شرعة الزواج على كتاب الله وسنة نبيه الكريم.
 - العلاقة الحميمة بين الزوجين في قوله "إمساكا بمعروف".
 - فسخ عقد الزواج بينهما بالتي هي أحسن في قوله "تسريحا بإحسان".
- وقد نم هذا المنجز الكلامي عن سلوك اجتماعي حمل المخاطب على تماشيه ما تواضع عليه العرب والمسلمين في خطبة النكاح.

2.2 . التعبيرات:

الناظر في مجمل الخطب الاجتماعية يجد أنها تحمل مضمرات إنجازية تدخل في باب السلوكيات أو التعبيرات، وهي " التي تبين ما يشعر به المتكلم، فهي تعبر عن حالات نفسية، ويمكن لها أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن أو عما هو محبوب أو ممقوت"¹

يقول "عبد الله بن الزبير" : " فأما الذي أحرزنا من ذلك، فإن لفراق الحميم لذعة ولوعة يجدها حميمه عند المصيبة"²

هذا الملفوظ صادر من " عبد الله بن الزبير" وجهه إلى الجمهور الحاضر معه أثناء سماعه بمقتل أخيه "مصعب بن الزبير"

- الفعل الإنجازي المباشر: الذي تجسد في المعاني المباشرة التي أدتها العبارة اللغوية حكمتها معطيات لسانية (صوتية، تركيبية، دلالية..)، والتي تسير في مجملها إلى تأويلات مباشرة، حيث

¹ - جورج بول: التداولية، ص90

² - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 166

أدلى من خلالها " الخطيب " إخبار الجمهور بحزنه الشديد لفراق أخيه، هذا الفراق تبعه حزنا وحرقة ولوعة. وما زاد في تأكيده للخبر حرف التوكيد "إن" الذي يرى فيه الخطيب أنه الأنسب في مثل هذه المواقف، وهذا ما برر له الاستعانة به.

- المضمرة الإنجازي: فالتوليد الإضماري لهذا الملفوظ يرتكز في أساسه على السياق المقامي من جهة، والتأويل غير المباشر من جهة ثانية، لأن " تأويل الأقوال يمكن أن ينظر إليه على أنه تطبيق على اللغة كفاءة أكثر عمومية لتأويل الأفعال المنجزة، فتأويل فعل وإعطاؤه معنى، هو شرح لسلوك الفاعل من خلال الإشارة إلى الحالات الذهنية المنسوبة إليه ، والتي نجد في مقدمتها مقاصد تفسر سلوكه "1

عبر الخطيب من خلال هذا الملفوظ الإنجازي التعبيري عن حالة نفسية صادقة، وهي " تعبيرا يتوافر فيه شرط الإخلاص "2

فالحالة القصدية الموجهة هي الحزن، والموضوع المتعلق به هو حزنه على موت أخيه، فهناك تطابقا بين الحالة الشعورية والواقع، وبذلك فهو يعبر بكل صدق وإخلاص عن هذه الفاجعة التي حلت به.

نرى أن الخطيب في هذا الملفوظ أنتج فعلين لغويين: فعل لغوي مباشر جسده عن طريق الإخبار (وهو فعل أولي)، وفعل لغوي غير مباشر جسده ذلك التعبير الصادق عن الحالة النفسية وهو حزنه الشديد لفراق أخيه وهو (فعل ثانوي).

أما الجمهور المتلقي فقد نفذ إليهم هذا الفعل الصادق، وتأثروا أيما تأثر من هذا الفراق، وغاظهم الحالة النفسية التي يتخبط فيها ولي أمرهم "عبد الله بن الزبير" وهذا ما حاول الخطيب

1 - فرانسواز ريكانتي : فلسفة اللغة والذهن ، ص 80

2 - محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 83

إضرار له ليستخلصه الجمهور، وهو التأثير فيهم بآرائه.

يقول أيضا "وأما الذي سرنا منه فإننا قد علمنا أن قتله شهادة له وأنه عزوجل جاعل لنا وله في ذلك الخيرة إن شاء الله تعالى"¹

نجد كذلك في هذا الملفوظ الصادر من " عبد الله بن الزبير " يحمل في طياته معانٍ إنجازية صريحة، وأخرى مضمرة

عبر الخطيب في هذا الملفوظ عن منجز صريح تضمنته الصيغة " سرنا " الذي أخبر فيها الجمهور عن سروره الكبير والدالة على الفرح، وهي حالة شعورية مثلها الخطيب في فكره موجهة إلى موضوع بعينه لأن الفرح هو فرح لشيء ما، فهذا الموضوع مثله عن طريق معطيات لغوية ليخرج حالته الشعورية إلى الملاحظ والموجود، وهي معطيات موجهة من العقل إلى الموضوع المقصود بالذات في ذهنه، هو معرفته وعلمه أن قتل أخيه شهادة؛ أي أنه استشهد في سبيل الله، ورأى الله له خيرا فيها، فبدلها بما هو خير منها، وما زاد من قيمة هذا الخبر أنه مؤكد بمؤكدين وهما "إن" و "قد" في قوله "إننا قد علمنا أن قتله شهادة" ويمكن تمثيله بهذا الشكل:

- الحالة الشعورية هي السرور (الفرح) موجه إلى الموضوع (معرفته أن قتل أخيه شهادة)

وقد شكل هذا الملفوظ القياس التالي:

- علم أن قتله شهادة(مقدمة أولى)

- الله جاعل له الخيرة في هذه الشهادة(مقدمة ثانية)

- النتيجة: ذلك ما سرنا منه؛ أي سبب سرور " عبد الله بن الزبير " من قتل أخيه " مصعب "

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص166

إذا نظرنا إلى مقام هذا الملفوظ وجدنا أنه يحمل معان إنجازية مضمرة (غير مباشرة) لا تحملها المعاني الحرفية للجملة، لأن مقام الملفوظ لا يقتضي البنية الخبرية التي تكون في الغالب عبارة عن فعل كلامي مباشر. ويمكن تأويل مضمراته غير المصرح بها كمايلي:

- فهم الجمهور أن سروره يعبر عن حزنه، لأنه فقد أخيه من جهة ومن جهة أخرى فقد مدينة العراق التي كان واليا عليها، وأصبحت ملك لعبد الملك بن مروان.

- يمني النفس بأن موته شهادة في سبيل الله، والسؤال المطروح: هل موت مصعب بن الزبير هو شهادة في سبيل الله كما صرح بذلك أخيه؟ يبقى الجواب مفتوحا لأنه لا أحد يعلم في خضم تلك الفتنة أن موته شهادة أم لا.

- حث الجمهور على القتال والاستشهاد في سبيل الله، لأن هذا الاستشهاد أمر يهون عليه فراق الأحبة، لأن مقتل مصعب جزء من الجهاد في سبيل نصرته الحق، وهذا يراه شرفا له ولأخيه ولكل أنصاره.

- فهم الجمهور أن الخطيب يطالبهم بالأخذ بالتأثر من هذا الموت، وهو مواجهة جيوش عبد الملك، والقتل في هذه المواجهة بمثابة الشهادة الكبرى.

- فهم الجمهور أنه يطالبهم بمناصرته وتأييده في توليه الحكم.

ولو تمعنا في الفعلين الإنجازيين الذي وظفهما الخطيب في مقاطع خطبته، لوجدنا أنه أقامهما على التضاد والتقابل، فبين الحزن والسرور تضاد نابع من الحالة الشعورية التي كان فيها، وهما فعلا موجهان قصديا، أراد من خلالهما إفزاع المتلقي من جهة والتأثير فيه، ومن جهة أخرى تهيئتهم للشهادة في سبيل الله.

وفي موضع آخر تقول "أم سنان": " كان والله علي أحب إلينا منك، وأنت أحب إلينا من غيرك"¹

يدرج هذا الملفوظ ضمن الخطب الاجتماعية (الوفود) صادر من (أم سنان) في حوارها مع معاوية، وقد عبرت لمعاوية عن حالة شعورية وهي " الحب "

هذا الملفوظ برمته قائم على حالة شعورية وهي الحب، ففي شقه الأول عبرت (أم سنان) عن حبها لـ"علي رضي الله عنه" مقارنة بـ " معاوية" وفي الشق الثاني عبرت بحبها لـ " معاوية " مقارنة بغيره.

ففي الشق الأول من الملفوظ الذي جاء بصيغة " أحب إلينا " دلت على فعل الحب، وهو عبارة عن حالة قصدية شعورية موجهة، فقد أدركت هذا الحب في شعورها عبرت عليه بهذا التركيب اللغوي (قصدية مستمدة) وهو حبها لـ "علي رضي الله عنه"، وبهذا فهناك تعلق بين الحالة الشعورية وموضوع تفكيرها، وهو تعبير صادق منها لتوفره على شرط الإخلاص، نبع من وجدانها جراء ما تحمله في ذهنها من مكارم علي وصفاته الخلقية، بدليل أنها كانت من أتباعه.

وقد انجر عن هذه الحالة الشعورية فعل إنجازي مضمّر خرج إلى الاعتراف، وهو اعتراف صريح من " أم سنان" لمعاوية بحبها الكبير لـعلي، على الرغم أنها في حضرته ماكتة بين يديه وهو يمثل موضع سلطة، إلا أن صدقها وإخلاصها لم يمنعها من هذا التصريح والاعتراف، وهو يحمل افتراض مسبق تداولي تضمن أن عليا أولى من معاوية.

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص361

كما تضمن الجزء الثاني من الملفوظ فعلا لغويا مباشرا تمثل في "أنت أحب إلينا من غيرك"، وهو كذلك ينم عن حالة شعورية تمثلت في "الحب"؛ وهو حبها معاوية مقارنة بغيره، وقد وظفت هذا الفعل بصيغة "نحن" في قولها "أحب إلينا"، واستعانت هنا بالقصدية الجمعية؛ بمعنى أن هناك أشخاصا يشاركونها نفس الحالة (حبهم لمعاوية مقارنة بغيره)، وهو قيامهم بفعل مشترك، ولكن كل شخص له قصد فردي استمده من قصد الجماعة، وهذه المقاصد الفردية تجتمع لتشكّل قصدا جمعيا موحدًا، فهي أرادت أن توصل له فكرة مفادها أن معاوية محبين غيرها يشاركونها نفس الحالة والشعور، وعلى هذا استعملت الضمير "نحن" وهو من العناصر الإشارية الشخصية، وهي بشكل عام لإشارات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب¹، فهنا الذات المتلفظة في هذا السياق جاءت بصيغة "نحن"، وقد جمعت المتكلم (أم سنان) وجمعت كل أتباعها، ويمكن أن نصوغه بالمعادلة التالية: نحن = أنا + هم وجاء ضمير المتكلم "نحن" مقرونا بضمير المخاطب "أنت" لأنه "لا يتلفظ المرسل بضمير المتكلم ابتداء في خطابه، خصوصا عند اجتماعه بالمرسل إليه، لأن ضمير المتكلم وضمير المخاطب تفسرهما المشاهدة"²، ويمكن تمثيله بالمعادلة التالية: نحن = أنا + أنت وقد دل في معناه بحسب السياق الذي تنزلت فيه والمقصد الذي توخته من استعماله، فالعنصر الإشاري "أنت" يجعل معاوية هو المقصود، ويجعله محط إدراك من قبل "أم سنان" وهو إدراك إيجابي (أنت أحب إلينا من غيرك)

وتبنت هذه الرؤية من العالم إلى العقل، أي أن إصدارها لهذا الحكم انطلق من أفعال معاوية السابقة إلى عقلها.

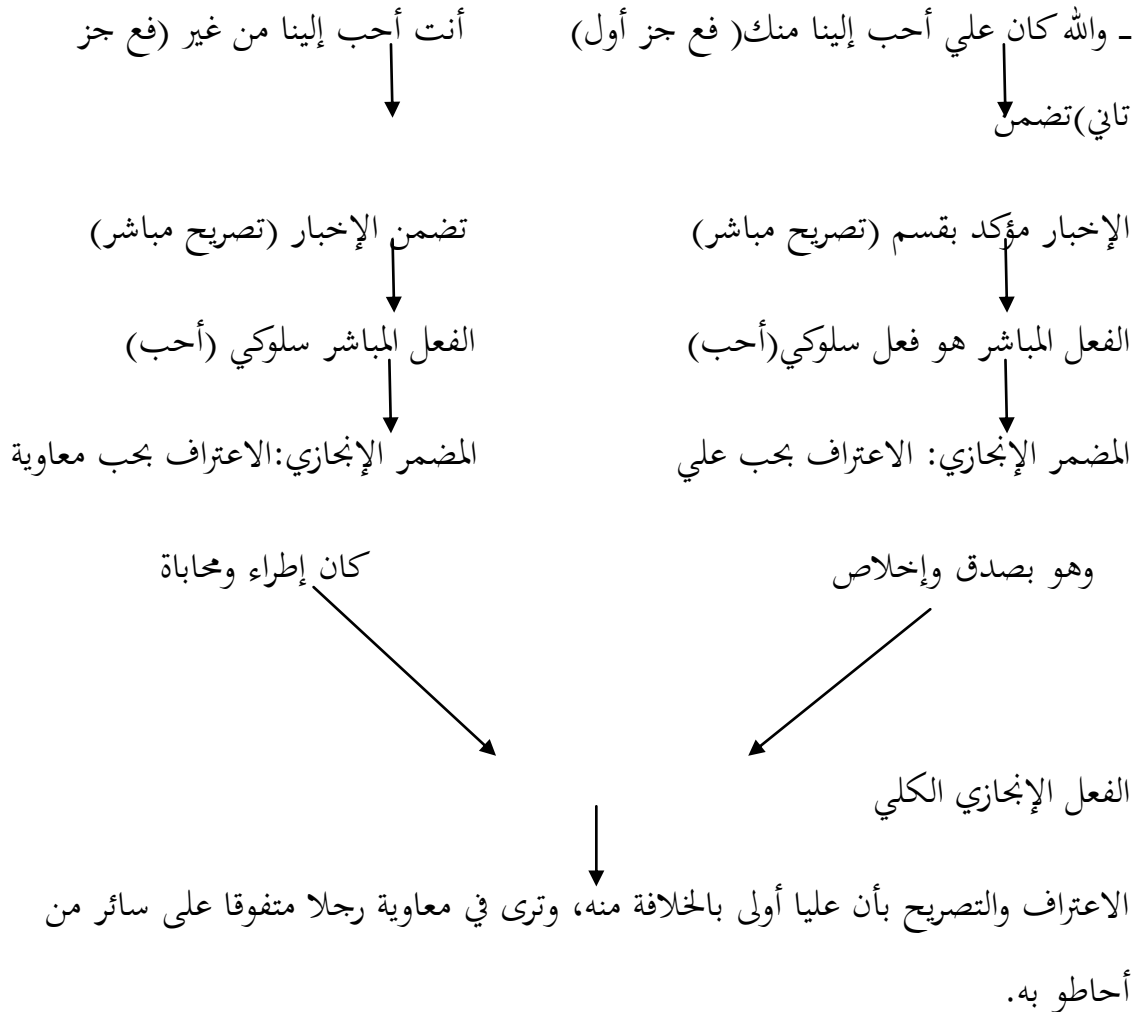
¹ - الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 82

² - المرجع نفسه، ص 83

الفصل الثالث: آليات الإضمار التداولي وبعده التأويلي في الخطب الاجتماعية

والمضمر الإنجازي الذي خرج إليه هو اعترافها بجزءها معاوية، ولكن هذا الاعتراف هو عبارة عن إطراء ومحاباة لمعاوية لم يتدفق من فيض مشاعرهما وصدق عواطفهما، بل من أجل الوصول إلى أهدافها وقضاء حاجاتها.

والفعل الإنجازي الكلي الذي تشكل بواسطة الأفعال الجزئية أو النووية، يمكن تأويل مضمراته على الشكل الآتي:



وهذا مثال آخر:

- يقول "عطاء بن أبي سفيان الثقفي"^{*}: "احتسب عند الله أعظم الرزية، واشكره على أفضل العطية"¹

ينسب هذا الملفوظ إلى الخطب الاجتماعية صادر من "عطاء" وموجه إلى "يزيد بن معاوية"، في مقام تعزية وتهنئة، يعزیه بموت أبيه، ويهنئه لتوليه السلطة.

يحمل هذا الملفوظ في ثناياه فعلين لغويين وردا في صيغة الأمر (احتسب) و(اشكر)، أنجزهما الخطيب وهو دون مرتبة الخليفة، مع العلم أن الأمر يأتي في صورته الشكلية على سبيل الاستعلاء؛ أي يكون الأمر أعلى درجة من المأمور، لأن "المأمور يكون قادرا - في التصور - على إنجاز مضمون الأمر وأن يعرف كيفية إنجازها، وأن تتوفر عنده بوجه ما الرغبة في إنجاز ذلك المضمون"²

غير أن الخطيب لم ينو إصدار أمر إلى الخليفة في سياق إنتاجه للفعل، لأن الموقف وما يقتضيه الحال لا يسمح له بإصدار من مثل هذه الأوامر لأنه في موضع المأمور فكيف له أن يأمر من هو أعلى منه سلطة ومرتبة. لذا سوف نحتكم إلى استخراج المضمرات الإنجازية من الفعلين راصدين ماذا يضم الخطيب من خلال هذين الأمرين.

نرى أن الخطيب أقام هذا الملفوظ على كفتين متضادتين، بين فعل الأمر "احتسب... و الفعل "أشكر"، وكأنه عادل بين كفة الحزن وكفة الفرح والتهنئة.

"احتسب عند الله أعظم الرزية"

* وقد أصدر هذه الخطبة لما توفي معاوية، وجلس ابنه يزيد على الحكم، ينظر الجاحظ: البيان والتبيين، ص 191

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ص 191

² - الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية، ص 121

فالفاعل المباشر لهذا الملفوظ هو طلب الخطيب من دون استعلاء أن يحتسب أمره إلى الله، في هذه المصيبة التي حلت به.

أما المضمرة الإنجازي غير المباشر الذي قصده الخطيب هو مواساته على هذه المصيبة، والصبر على وفاة أبيه معاوية مدخرا أجره عند الله، وكان ذلك على سبيل التودد والمحابة، وقد خرج هذا الأمر من باب التوجيه إلى التعبير عن حالة شعورية حزت في نفس الخطيب.

"أشكره على أفضل العطية"

تضمن الفعل المباشر فعل أمر جاء على سبيل الالتماس، وهو طلب الخطيب من الخليفة أن يشكر الله على هذه النعمة التي منها عليه، وهي الخلافة.

والفعل المتضمن في القول الذي أضمره الخطيب هو تهنئته على هذا المنصب الجديد، وكان بالخطيب يحاول التقرب إليه، لكسب محبته من ناحية ويأمن شره من ناحية أخرى، لأن الخليفة الجديد لا يعرف طريقة تسييره للحكم، وتوجهاته السياسية والاجتماعية.

ونلاحظ أن الفعلين اللغويين جاء نتيجة للمواضعة اللغوية من جهة والمواضعة الإنجازية من جهة أخرى، كون هذه الأخيرة تنسحب على الأفعال اللغوية غير المباشرة وهي عبارة عن تمثيل لإستراتيجية تداولية، قائمة على استبطان معرفة مشتركة.¹

وعلى هذا الأساس يمكن تأويل المضمرة التي خرج إليها الملفوظ برمته عن طريق هذين الفعلين التوجيهيين في الظاهر وفي الباطن تعبيريين (سلوكيين) إلى مايلي:

- أقام الخطيب متضادين ومتعادلين، كفة الحزن على السلف، وكفة الفرح والتهنئة للخلف.

- قام برثاء الميت وذلك عبر مواساته للخليفة، ومدح الحي وذلك أثناء تهنئته له.

¹ - أزيبط: الخطاب اللساني العربي، ص 82

- يعظم الحي ويتقرب إليه، لأن الخليفة الفقيه قد مات وترك كل ما يملكه للجديد.

نستخلص في هذا الأمر أن حظ التهئة أوفر من التعزية، وعليه فالفعل "اشكر" جاء أقوى من "احتسب"

وقد توفر المضمرة الإنجازي على شروط نجاحه والتي تمثلت في :

- المضمون القضوي أو الفعل اللساني المرجو، الذي دل على صيغة الأمر والذي أنجزه الخطيب على سبيل الالتماس والتودد.

- الشرط التحضيري الذي دل على أن الخليفة قادر على تحمل الرزية التي حلت به، والسعادة بهذا المنصب السلطوي من جهة أخرى، وهو يعلم من خلال هذا الالتماس أن الخليفة بوسعه أن ينجزه.

- شرط الصدق الذي تمثل في رغبة الخطيب الصادقة في مواساته على رزقته، وتهنتته على منصبه

- الشرط الأساسي والذي تمثل في محاولة المتكلم جعل المخاطب يقوم بالمضمون القضوي.

وحاصل القول مما سبق تحليله لبعض النماذج من المضمرة الإنجازية، وجدنا أنها اعتمدت بشكل كبير، وقد خرجت عن معانيها المباشرة إلى معان مضمرة استوجبها المقام والمواضع الإنجازية والمعرفة المشتركة، واشتملت أغلب الأفعال التعبير عن حالة شعورية معينة، وبخاصة الحزن والفرح والاعتراف ...

3 - المضمرات الاستلزامية في الخطب:

تقوم الخطب الاجتماعية على الاستلزمات التخاطبية المضمرة بين الخطيب والسامع، وعليه فهي تبنى داخل الخطاب الحوارى المتداول، لأن " كل خطاب يتوخى تجاوب متلق معين، ويأخذ رده بعين الاعتبار من أجل تكوين موقف"¹

وعلى هذا الأساس تغدو البنية الاستلزامية المضمرة مستلزمة عن طريق التعبير أو الجمل التي تساق داخل مجال تخاطبي معين، كما تنتج البنية المضمرة الاستلزامية مما توفره التعبير اللغوية، وذلك بعد أن توضع هذه الأخيرة موضع سياق ملائم لاستخلاص المعنى المضمر الاستلزامي.²

ويبدو أن الاستلزام يقوم على الحوار وما تنتجه بنيته اللغوية، معتمدا على السياق والتأويل في استنباط معانيه المضمرة.

وسنأخذ بعض النماذج من الخطب، مستخرجين المضمرات الاستلزامية، وما تقتضيها وفق أبعادها التخاطبية، معتمدين في ذلك على مبدأ التعاون الذي اقترحه " غرايس " ومبادئه الفرعية*

1.3- مبدأ التعاون ومبادئه الفرعية في الخطب:

ويمكن التفصيل في هذه المبادئ وكيف تحققت مع القصد من خلال التبادل الحوارى الذي تقع ضمنه.

¹ - حسن بدوح: المحاور، مقارنة تداولية، ص86

² - ينظر أزايط: الخطاب اللساني العربى، ج3/101

* للتفصيل أكثر في مفهوم الاستلزام ومبادئه، يرجع إلى فصول سابقة من هذا البحث.

1.1.3- قاعدة الكم: ينص هذا المبدأ أن عملية التخاطب، يجب أن تكون مفيدة ودالة على المطلوب.

- مثال: الحوار الذي دار بين " معاوية " و " أم سنان "

- " قالت: كان والله علي أحب إلينا منك وأنت أحب إلينا من غيرك "

- " قال: ممن؟ "

- " قالت من مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص"¹

تحققت قاعدة الكم في هذه المحاورة من خلال إجابة " أم سنان " بمعلومات مطلوبة على قدر السؤال، ولم تتجاوز أكثر مما هو مطلوب منها. وتحقق هذا في إضفاء هذه التعابير للإخبار والتي حدثت في مقام تواصلية.

2.1.3 - قاعدة الكيف: وينص هذا المبدأ، لا تقل ما تعتقده خطأ.

- مثال (حوار من نفس الخطبة):

" وبم استحققت ذلك عندك؟ "

" قالت: بسعة حلمك وكريم عفوك"²

لقد أجابت (أم سنان) بصدق، لأنها أكدت المعلومة لمعاوية، وهاذان الصفتان موجودتان في " معاوية "

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص361

² - المرجع نفسه، ص نفسها

3.1.3- قاعدة الملاءمة أو الورود: اجعل مساهمتك واردة؛ أي يكون كلامك مناسباً للقصد.

مثال: مأخوذ من الحوار الذي دار بين الخليفة "سليمان بن عبد الملك" و "حازم الأعرج"

- "قال: أي الأعمال أفضل؟"

- "قال: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم"¹

أجاب الخطيب إجابة واضحة لم ينزلق بها إلى مقاصد أخرى، فهي شديدة الصلة بالسؤال المطروح عليه، وذلك تماشياً مع السياق بشقيه.

4.1.3- قاعدة الجهة أو الكيفية: و تنص على:

- لتحتزز من الالتباس.

- تجنب الغموض.

- مثال: من الحوار بين (سليمان بن عبد الملك) و (حازم الأعرج)

- "قال: فأَي الناس أعدل"

- "قال: من عمل بطاعة الله"²

لقد حققت إجابة المتلقي قاعدة الكيفية، لخلوها من الالتباس والغموض، كما كانت موجزة ومقتضبة، تفي بالغرض المطلوب بالنسبة للسائل.

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص401

² - المرجع نفسه، ص401

إن هذه القواعد تستهدف وجهة واحدة في ضبط مسار الحوار القائم بين المتكلم والمتلقي، بحيث "تتنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبليغ الغاية في الوضوح، وتكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة"¹، وبهذا فكل خروج عن هذه القواعد يخل بالعملية الحوارية، لأنها هي الجوهر في بلوغ المقاصد. كما ينجم خرق لهذه القواعد الأربع مع عدم التخلي عن مبدأ التعاون.

2.3 - خرق القوانين الخطائية ينتج تعاوناً مضمرًا:

يقوم هذا النمط على عدم احترام القوانين الخطائية التي أشرنا إليها آنفاً، لكن لا نعدم وجود تعاون ضمني بين المتخاطبين، إذا كان هذا النوع من التعاون يفرضه المقام، بحيث يجب افتراض أن الشخص المعني بالأمر يدرك أن المعنى غير الحرفي ضروري، ويظن المتكلم أن المخاطب قادر على استنتاج واستنباط الفكرة التي تتعلق بضرورة الانطلاق من الافتراض الوارد.²

1.2.3 - خرق قانون الكم:

تنص القاعدة على أن المتكلم يتوفر على مقدار المعلومة المطلوبة، ولكن في بعض الأحيان لا يفني بهذه القاعدة، فيأخذ كلامه مجرى آخر لا يمت للخطاب بأية علاقة.

¹ - هشام صويلح: لغة الخطاب الإعلامي، دراسة لسانية تداولية لنصوص من صحف جزائرية، أطروحة دكتوراه مخطوطة، نوقشت بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، بإشراف أ/د: بشير إبرير، السنة الجامعية، 2016 - 2017

² - ينظر العياشي أدراوي: الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، ص 103، وينظر أزييط: الخطاب اللساني العربي،

ومن أمثله في الخطب نذكر: ما دار بين "معاوية" و "أم سنان"

- "مرحبا بك يا بنت خيثمة، ما أقدمك أرضنا، وقد عهدتك تشتمينا، وتحضين علينا
عدونا"

- "قالت: إن لعبد مناف أخلاقا طاهرة، وأعلاما ظاهرة، وأحلاما وافرة"¹

يبدو من خلال هذا الحوار أن (أم سنان) أخلت بقاعدة الكم كونها لم تصرح ولم تجب مباشرة عن السؤال المطروح عليها، وإنما قامت بإخبار (معاوية) بمعلومات خارجية، إذا قورنت بالجواب الحقيقي.

والناظر لهذه الإجابة يعتبرها ناشزة، لأن هناك لغوا لا يربط بين طرفي الحوار، أو مجانبتها للصواب تركيبا ودلالة، على اعتبار أن (أم سنان) تجنبت التصريح بالإجابة المطلوبة (سبب المجيء) ولم تمد معاوية بما يريد الحصول عليه، وهذا ما شكل لب القضية المضمرة.

و السؤال الممكن طرحه هو كيف يمكن الوصول إلى المعنى غير الطبيعي أو الضمني؟ وما العلاقة الموجودة بين تساؤل المتكلم عن قدومها إلى أرض الشام وإجابتها بقولها إن لعبد مناف أخلاقا...فالقضية بعيدة أن تكون "بمجرد فك التسنين؛ إذ لا وجود لنسق لساني يمكننا من فهم مثل هذا الملفوظ"²

وعليه ما هي المضمرة الاستلزامية والتي تقتضي مجموعة من العمليات الاستدلالية؟

- يحتم السؤال على القدوم، الإجابة عليه من دون خرق لأنها أمام الخليفة.

- سؤال معاوية يحمل في طياته التوبيخ والسخرية.

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 359

² - حسن بدوح: المحاور، مقارنة تداولية، ص 152

- التوبيخ والسخرية، تستلزم البحث عن إجابة مناسبة.

- الإجابة المناسبة استلزمت خرقاً لمبدأ الكم (الإطراء والمدح لبني مناف).

- الخرق لهذا المبدأ هو خرق ظاهري، لأنها لم تظهر أنها لم تحترم مبدأ التعاون.

- احترامها لمبدأ التعاون، استلزم أن تبلغ مرادها لمعاوية بشكل غير صريح.

وبذلك فقد أوصلت مقاصدها إلى المتكلم بطريقة غير طبيعية (أو عن طريق المعنى غير

الطبيعي)، وأرادت منه أن يستنتج ما قالته ضمناً. وهذا ما جعل (معاوية) يصل إلى ما تضمنه

العجوز، بما حصل له من فهم لمقاصدها.

وعلى الرغم من أنها اخترقت قانون الكم، إلا أنها ظلت محترمة لمبدأ حوار آخر وهو

قانون "الكيف" لأنها صادقة في إجابتها لما قالت: إن لعبد مناف أخلاقاً ظاهرة، و...

وتقصد هنا (علي ومعاوية) وقد كانت ذكية في إجابتها، في المقابل لو قالت: إن لمعاوية

أخلاقاً... لاعتبرناها كاذبة وبالتالي تكون خارقة لمبدأ الكيف كذلك.

كما تعتبر المحذوفات كذلك من الظواهر التي تسهم بشكل كبير في خرق

قانون "الكم" و "التي تتسم ظاهرياً بعدم الجدوى، ولكن بالرجوع إلى سياقها الخاص بها، يجعلها

تعايير وافية، تطابق مبدأ الكم وتحيط بكل المعومات المطلوبة"¹

وسنقوم بتحليل بعض النماذج، والخروقات التي نتجت عن ظاهرة الحذف.

¹ - أزيبط: الخطاب اللساني العربي، ج2/310

- يقول "عبد الله بن الزبير": "أتانا خبر من العراق، بلد الغدر والشقاق فساءنا وصرنا"¹

استبطن هذا الملفوظ مضامين عجز المتكلم التصريح بها للجمهور، وكأنه يحمل جوابا على سؤال مضمّر.

ففي قوله "أتانا خبر من العراق..."

يبدو من خلال هذا القول أن الخطيب أجاب على سؤال محذوف أضمره الجمهور. وكأن بالجمهور يسأل ويستفسر "عبد الله بن الزبير" على الذي أتى من العراق.

ويمكن أن نمثله بهذا الشكل :

- الجمهور يسأل: ما الذي أتاكم من العراق؟

- عبد الله بن الزبير يجيب: أتانا من العراق خبر ساءنا وخبر سرنا.

إضافة إلى حذف السؤال، نجد حذف اسمي حيث حذف "خبر" من قوله: ساءنا وسرنا.

- تقول "أم سنان": "... فإنك إن فعلت ذلك تزد من الله قريبا، ومن المؤمنين حبا"²

نلاحظ في هذا الملفوظ كذلك أنه إجابة عن سؤال محذوف من قبل المتكلم تقديره:

- ما الذي أفعله حتى أزد من الله قريبا، ومن المؤمنين حبا؟

والجواب الحقيقي لهذا السؤال، أنها أرادت القول: إن ابتعدت عن ما قالوه من معك

في المجلس، فسوف تزد من الله قريبا، ومن المؤمنين حبا، فقد كانت موجزة في إجابتها، على

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 166

² - المرجع نفسه، ص 360

اعتبار أن الإيجاز هو " أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط" ¹، وبالتالي فهناك عبارات مضمرة لم تصرح بها، فسحت مجال التأويل للمخاطب ليكتشفها بنفسه، وهذه المضمرة تؤول كمايلي:

- تزد من الله قريبا، بالرضى عليك وعلى حكمك العادل أمام الرعية، ويمكن اعتبار هذه العبارة المضمرة بمثابة حجة قوية لتنجو من الاتهام الذي وجه إليها من قبل الحاضرين معه في المجلس (وهو مناصرتها لعللي)

- ومن المؤمنين حبا: فهذه الجملة هي اختصار لجمل وأقوال كثيرة، أضمرها المتكلم، فقد حاولت القول أنه إن باعد عن الرعية بعدم الظلم والجور، فقد يربح حبههم وودهم له، ومناصرته في السراء والضراء.

وبالتالي فقد حاولت النفاذ والتستر من الاتهام الذي وجه إليها، ولكن في الحقيقة ليس اتهاما، لأن من وجه إليها الكلام جاء بالحجة (وهو قول شعري) *، كما قصدت التقرب إلى الخليفة لتكون في منظر حسن أمامه، مما جعلها تمدحه وتطري عليه، لتأثر فيه وتستميله أمام جلسائه.

وبالرغم من هذه المحذوفات والعبارات الموجزة التي أضمرتها (أم سنان) إلا أنها أبقت على التعاون قائما بينها وبين (معاوية).

فالمحذوفات التي أشرنا إليها تبدو أنها غير مجددة، ولكن في حقيقة الأمر - بالرجوع إلى مقامها التخاطبي - جعلت الملفوظات تطابق مبدأ الكم وتحيط بكل المعلومات.

¹ - السكاكي: مفتاح العلوم، ص 277

* إما هلكت أبا الحسين فلم تزل بالحق تعرف هاديا مهديا
فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت فوق الغصون حمامة قمريا

2.2.3 - خرق قانون الكيف:

ومقتضاه لا تقل ما تعتقد خطأه، ولكن "الإخلال بقواعد وحكم مقولة الكيفية يوفر لنا أكثر أنواع الصور البيانية"¹

يتولد عن هذا الخرق مجموعة من الصور البلاغية، ومن الاستشهادات في الخطب الاجتماعية نجد الكناية، وهي "كلام استتر المراد منه بالاستعمال، وإن كانت بنيته الخارجية (الصيغة اللغوية) تحمل معنى بارزا، غير أن الهدف من إيراد هذا الضرب من الكلام يفهم من دلالة الحال"²

ومن الاستشهادات الكنائية في الخطب، نأخذ قول "عبد الله بن الزبير"

- "ألا وإنما الدنيا عارية من الملك القهار الذي لا يزول سلطانه"³

إن المعنى المباشر لهذا الملفوظ لا يدل على أن الدنيا عارية * بل منحها الله للإنسان للعيش فيها ثم ترد إليه، ولكن المتكلم يضم أشياء أخرى كان يقصدها، على اعتبار أنها انتقلت من معنى ظاهر إلى معنى غير مصرح به، ويمكن تأويلها إلى عدة تأويلات يقتضيها السياق التداولي إلى:

- الدنيا إلى زوال، فلماذا هذه الفتن والقتل من أجل الملك والتسلط.

- البقاء لله وحده، لأنه هو خالقها ومسيرها، فله الحكم وحده.

¹ - عادل فاخوري: محاضرات في فلسفة اللغة، ص 26

² - أزييط: الخطاب اللساني العربي، ج 47/1

³ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 167

* العارية بتشديد الياء، منسوبة إلى العارة، وهي اسم من الاستعارة، تقول أعرته الشيء أعبره إعاره وعارة، ما تعطيه لغيرك على أن يعيده إليك.

نرى أن التأويلات الممكنة لهذه الكناية فرضها سياق واحد وبنفس القيمة، فما هو التأويل الأفيد الذي قصده الخطيب؟ فمن خلال العملية التخاطبية نرى أن التأويل الذي قصده الخطيب، هو الدنيا إلى زوال، لأن الدنيا بالنسبة إليه أحسن من أن تطلب.

نرى أن الخطيب تجنب التصريح في هذه الكناية إلى معنى استلزمته عبر خرق قانون الكيف، سهل على المتلقي تأويلها وفهمها، لأنه أبقى تعاوناً بينه وبين الجمهور المتلقي، مع توفر المقام والخلفية المشتركة بينهما.

وفي قوله أيضاً "إن تقبل علي"¹

ويقصد إن تقبل علي الدنيا، فحذف الدنيا، وترك الجمهور المتلقي يفهم ذلك من خلال السياق المقالي.

نلاحظ في هذه الكناية أن هناك خرقاً بين اللفظ الظاهر، والمعنى المقصود، فمعناها الظاهر، تجسد في إقبال الدنيا عليه بنعمها وخيراتها، ولكن ألا يعني الخطيب بهذا نقيض معنى الكناية؟ فمن خلال السياق التداولي نرى أنها على نقيض ما تحمله من معاني، قد تكون له قصود مضمرة من قبيل:

- لم يطلب الخلافة.

- لم يطمع في الترف في الدنيا.

- أراد قمع الباطل.

فرغم هذا الخرق والانتقال من معاني حرفية إلى معاني مشتقة، إلا أن الجمهور استطاع أن يكتشف مضمراها، لأن الخطيب أظهر حسن النية في التعاون معه.

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 167

كذلك من الخروقات البلاغية نجد التشبيه، ومن أمثله في الخطب، نأخذ مقطع من الحوار الذي دار بين (سليمان بن عبد الملك) و (أبو حازم الأعرج).

- " قال: أخبرني كيف القدوم على الله؟ "

- " قال: أما المحسن فكالغائب يأتي أهله مسرورا"¹

لقد أجاب المخاطب الخليفة إجابة تضمنت تشبيها، حيث شبه المحسن بالغائب الذي يأتي أهله مسرورا، فالمعنى المباشر لهذا التشبيه لا يدل على أن المحسن هو الغائب، ولكن كان قصده تشبيهه بالغائب الراغب في القدوم والأهل في شوق ينتظرونه، فكما نرى أنه لا توجد علاقة بين المشبه والمشبه به، ولكن من خلال السياق التداولي، نجد أن المخاطب يعني بها عدة تضمينات على عكس ما تحمله العبارة اللغوية من قبيل:

- هو يشبه المحسن بالغائب في رغبته الإقدام على الله.

- هو يشبه المحسن بالغائب لشوقه إلى يوم القيامة.

- هو يشبه المحسن بالغائب الذي ينتظر بشوق زوال الدنيا والإقبال على الآخرة.

فمن خلال هذه التضمينات التي استنبطت من التشبيه، يتراءى لنا أنه يحمل مدلولات أخرى مختلفة عن المنطوق، ولكن إذا صح تقديره بوجود علاقة الشبه بينهما، نرى بأن المخاطب راغب في التعاون مع المتكلم، حتى يصل إلى الاقتضاء المفيد.

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 401

3.2.3 - خرق مبدأ الورود:

ومقتضاه اجعل مساهمتك في الحوار واردة، بمعنى مناسبة المقال للمقام، فخرق هذا المبدأ لا يحدث فيه اختراق حقيقي، إذ " إنه من النادر إعطاء جواب لا يمكن إلا اعتباره غير ملائم بالنسبة إلى سياق ما"¹.

وسنبين بمثال من خلال الحوار التالي:

- " قال: والله لقد قاربت، فما حاجتك؟"

- "قالت: يا أمير المؤمنين، إن مروان تبنك * بالمدينة تبنك من لا يريد منها البراح، لا يحكم بعدل ولا يقضي بسنة"²

يظهر من خلال الجواب أنه لا تربطه أية علاقة أو مناسبة بالسؤال، ورغم ذلك فالعلاقة تبقى قائمة بين المتخاطبين بفضل المعرفة المشتركة والخلفية المسبقة التي يتشاركان فيها حول القضية المطروحة، ورغم هذا النشاط والانحراف، استطاعت (أم سنان) أن توصل مقاصدها إلى معاوية، واستطاع (معاوية) بفضل الاستلزام والتعاون أن يفهم ما تضمنه العجوز، فذكرها لمساوي (مروان بن الحكم) يقتضي أنه لم يسرح ابن ولدها من السجن، وبالتالي فهم (معاوية) من خلال هذه الإجابة - التي لا تتوافق مع سؤاله - تسريح ابن ولدها وهي الإجابة غير المباشرة التي أرادتها العجوز.

¹ - عادل فاخوري: محاضرات في فلسفة اللغة، ص 28

* أقام

² - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 361

وبالتالي فقد خرق هذا الحوار مبدأ الورد لأنه عديم الصلة بما دار بينهما من سؤال وجواب، إلا أنه بفضل مبدأ التعاون فقد كانت إجابة (أم سنان) ملائمة لأن (معاوية) استطاع أن يستخلص ما أضرر منها.

4.2.3 - خرق مبدأ الجهة:

يخرق المتكلم هذا المبدأ عن طريق الالتباس القصدي الذي يريد المتكلم أن يبلغه لسامعه على أنه كذلك، وهذا حينما تحمل العبارة معنيين أو أكثر، أو عن طريق الغموض حين يريد إخبار المخاطب أمراً ما، ويخفي ذلك الأمر عن أشخاص آخرين حاضرين، تفادياً للإحراج أو جرح شعور، كما يتولد عن هذا الخرق أيضاً الإطناب والحشو.¹

ونمثل له بمايلي:

- يقول " عبد الله بن الزبير": " فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه"²

نرى أن الخطيب قد خرق مبدأ الجهة، لأنه أدخل بقاعدة من قواعدها وهو الوضوح، فمن خلال السياق الخاص لهذا الملفوظ، نرى بأن الخطيب كان يقصد الخليفة (عبد الملك بن مروان) دون ذكر اسمه على مسمع الجمهور، وذلك تفادياً وتحاشياً للحرج، لأن الخليفة له مكانة سياسية واجتماعية منعت الخطيب من التوضيح والتصريح به.

¹ - ينظر عادل فاخوري: محاضرات في فلسفة اللغة، ص30، 29، وينظر أزييط: الخطاب اللساني العربي، ج2/313

² - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص166

وهذا مثال آخر:

- تقول (أم سنان): "إن لبني عبد مناف أخلاقا طاهرة، وأعلاما ظاهرة، وأحلاما وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينتقمون بعد عفو"¹

نلاحظ أنها خرقت قاعدة الإيجاز، وتولد عنه الإطناب الممل، فقد استعملت كلاما موسعا، في مدحها لعبد مناف، وهي بمثابة حجج أرادت من خلالها التأثير في الخليفة، ولكن باستطاعتها أن توجز كل هذه الجمل، في عبارة واحدة من قبيل:

- إن لعبد مناف صفات وخصال حميدة.

ومجمل القول مما مضى عبر هذه التحليلات، نخلص إلى أن خرق القواعد السابقة الذكر بقواعدها، تتم عن طريق توليد مضمرة واستلزمات تخاطبية، نتجت عن طريق المبدأ التعاوني، ونلخصها في النقاط التالية:

- يعتمد المتخاطبون في خرق قواعد التخاطب على الجوانب الضمنية.

- طبيعة الملفوظات بينهما لا تسلك التصريح فقط، بل هناك طرق مضمرة للتعبير عن معان غير مباشرة في الجانب التخاطبي، يتوصل إليها عن طريق التأويل التداولي.

- الاستلزام القائم على خرق القواعد يختلف عن الاستلزام القائم على القواعد، فالأول يعتمد التصريح، والثاني يعتمد الإضمار.

- تجرنا هذه الظاهرة - خرق القواعد - إلى ما ورد في الفكر العربي التراثي فهو غير بعيد عما جاء به "الأمدي" في مفهوم الإضمار بالمخالفة، الذي يكون مدلول اللفظ في محل السكوت

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 360

مخالفاً لمدلولة في محل النطق، وهذا ما يؤكده " طه عبد الرحمان " بقوله: " إن دلالة مفهوم المخالفة تقابل بالتحديد ما يطلق عليه بالاستلزام التخاطبي الناتج عن المقام ومبدأ التعاون"¹

¹ - طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، ص 105

- خلاصة الفصل:

من خلال تحليلنا لبعض النماذج خلصنا إلى مايلي:

- ساهمت المضمرة الإقتضائية بشتى ضروبها (دلالية، منطقية، تداولية) في استخراج ما اقتضته الملفوظات في الخطب، ففي الجانب المنطقي والدلالي اعتمدت على المستوى اللساني، أما في الجانب التداولي فقد تفاعلت مجموعة من المواقف والأوضاع التي اقتضت معرفة الضمني والمضمرة من الملفوظات.

- أعتمدت المضمرة الإنجازية بشكل مكثف في الخطب وقد خرجت من معانيها المباشرة، إلى معان مضمرة، استنبطت عن طريق التأويل التداولي والظروف المقامية، وكانت أغلبها التعبير عن حالات شعورية مختلفة.

- قامت الخطب الاجتماعية كذلك على المضمرة الاستلزامية بين المتخاطبين، وبخاصة في خطب الوفود (تم على شكل محاورات)، وقد نتج عن خرق القواعد الغرايسية توليد مضمرة واستلزمات تخاطبية، نتجت بفضل المبدأ التعاوني وعملية التأويل التداولي.

الخاتمة

- بعد الدراسة النظرية والتطبيقية لموضوع الخطابة العربية في العصر الأموي بين المقصدية والتأويل مقارنة تداولية، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، نبرز أهمها في النقاط التالية:
- ارتباط الخطابة بالتداولية؛ وذلك من خلال توفر الخطابة على أهم المظاهر التي يشتغل عليها الدرس التداولي، من مقاصد وسياقات وأطراف العملية التواصلية.
 - يمكننا النظر إلى الخطابة في الدراسات اللسانية الحديثة من زاويتين مختلفتين، النظر إليها بوصفها نصا بعيدا عن ملاساته السياقية والمقامية - وذلك أثناء الإشارة إلى أركان الخطبة، ومدى اتساقها وتنظيمها داخليا مما يشكل كلا موحدًا - والنظر إليها بوصفها خطبة متكاملة الأركان، من خلال إحضار العوامل والملابسات التي تحيط بها إنتاجا وتلقيا.
 - تنوعت الخطب الأموية بحسب مقاصد الخطيب، إلى أنماط مختلفة، سياسية، ودينية، واجتماعية.
 - تعتبر القصدية مفهوما أساسيا في الدراسات التراثية، فجاءت موزعة في المؤلفات اللغوية، والبلاغية، والشرعية، حيث توصلت إلى ما توصل إليه الفكر التداولي الحديث، وذلك بإشارتها إلى أقطاب العملية التواصلية، وأغراض المتكلم وفائدة السامع، وسياق الحال.
 - تطور مفهوم القصدية في الدراسات الفلسفية الحديثة، ولاسيما في الفلسفة التحليلية عند كل من "هسرل" و"سيرل"، إلى درجة أضحت من أهم مفاهيم الدرس التداولي.
 - يعد القصد من ركائز الجهاز المفاهيمي والإجرائي للسانيات التداولية في محاورها الأساسية، كالفعل الكلامي الذي يتميز بالطابع القصدية، إذ لا يمكن أن يكون إنجازيا إلا إذا كان قصديا. كما قامت نظرية "غرايس" على المعنى غير الطبيعي الذي يخرج إلى عدة قصود، بالإضافة إلى نظرية الحجاج، التي تقوم على إقناع المخاطب بقصد التأثير فيه.

- يعد التأويل من المفاهيم الأساسية في قراءة أنواع كثيرة من النصوص والخطابات وتحليلها. كما أنه الركيزة التي يقوم عليها التواصل والتفاهم بين أفراد المجموعات الكلامية.
- ركزت التداوليات الحديثة على التأويل التداولي، لأن المخاطب يحاول توضيح مقاصد المتكلم في العملية التخاطبية من خلال السياق والكفاءات المختلفة (لغوية، موسوعية، استدلالية، تداولية)، والمعرفة المشتركة بينهما.
- وفرت الخطابة السياسية كل المقترضات المقصدية التي يحاول كل خطيب أن يجسد بها الواقع قصد بلوغ هدف معين، لأن هذا العصر امتاز بظهور معارضة حادة من قبل الأحزاب السياسية المختلفة (شيعة، خوارج، زبيريون) فكل حزب يحاول إقناع الجمهور بمبادئه.
- تضمنت الخطب السياسية بعض الحالات القصدية الذهنية، كالصمت، والرغبة، والرؤية، والقتل...، وهي حالات واعية تنطلق من قصدية وعي الخطيب إلى الموضوع المفكر في العالم الخارجي، يحاول من خلالها فرض نفسه، وتغيير فكر جمهوره، وقد انطلقت من العقل إلى العالم ومن العالم إلى العقل.
- رصدنا من خلال قصدية الافتتاح وتأويلاتها في الخطب السياسية، أنها لم تخرج عن طابعها الديني، وما خرج كان مقصودا من قبل الخطباء، وهذا ما لمسناه في خطبتي زياد ابن أبيه، والحجاج بن يوسف.
- تضمنت الخطب السياسية ألفاظا موحية تخدم المعاني من جهة (المعاني الدلالية) والمقاصد التداولية من جهة أخرى، وكانت لينة في بعض المواقف وغليظة في مواقف أخرى، بحسب ما تقتضيه الخطب وطبيعة الجمهور المتلقي.
- تضمنت الخطب السياسية ظاهرة التكرار اللغوي بنوعيه (الكلي والجزئي) الذي نتجت عنه مجموعة من المقاصد والتأويلات المختلفة.

- اعتمدت الخطب السياسية كذلك على إنجاز القصد في الرابط " الواو " بكثرة، فربط بين أجزاء الخطبة، وأبرز أهم مقاصدها التداولية، بحسب المواضيع التواصلية، كالقصد الآني، والمستقبلي، والضمني، والحجاجي...
- احتوت الخطب السياسية على الأفعال الكلامية بشتى أنواعها من إخباريات، وتوجيهيات، ووعديات - وكان للإخباريات والتوجيهيات النصيب الأكبر - حيث خرجت من الفعل الصريح إلى الفعل المتضمن في القول، كالتوبيخ، والتحذير، والإنكار، والأمر، والنهي...، تولدت من مقام الخطبة وقصد الخطيب، وتأويلات الجمهور، وقد رصدنا مجموعة من المقاصد أهمها: القصد الإخباري، القصد التواصلية، القصد الظاهر، والقصد الضمني، ومقصدية التهيج...، بحسب المعرفة المشتركة بين الخطيب والجمهور، كما خرج الفعل اللغوي الواحد إلى عدة قصود.
- كان سعي الخطيب في الخطب الدينية التأثير في نفوس الناس، من خلال وعظهم وحثهم على الانشغال بالآخرة وأعمال الخير، وترك ملذات الدنيا، باعتماده على عناصر إقناعية، موظفا إياها توظيفا قصديا يتلاءم مع ظروف وأحوال الجمهور، متخذاً مبدأ التأدب كآلية للتخاطب.
- اعتمدت الخطب الدينية على الجوانب البلاغية المختلفة، لأن غرض الخطيب إقناع الجمهور بآليات قوية، وكما نعلم أن المجاز في الإقناع أقوى من الحقيقة.
- تضمنت الخطب الدينية الصور البيانية المختلفة من استعارة وكناية وتشبيه، وظفها الخطيب للوصول إلى أهدافه المسطرة، وقد حملت العديد من المقاصد (قصد الإدعاء، قصد الاعتراض، القصد الحجاجي...) توافقا مع السياق المقالي والمقامي، التي أتاحت للجمهور السامع تأويلها، وإخراجها من المعنى الحرفي إلى المعنى المستلزم، وكانت على درجة عالية من الإقناع.

- توفرت الخطب الدينية على المحسنات البديعية، لجأ إليها الخطيب لتحقيق مقاصده التداولية (قصدية المكون الغائي، وغير الغائي...) وأبعاده الحجاجية ومدى تأثيراتها على الجمهور.
- تواتر الخبر والإنشاء بشكل كبير في الخطب الدينية، وقد خرجا من المعاني الظاهرة إلى مقاصد وأغراض وغايات، بحسب المقام، وثنائية الخبر والإنشاء غير بعيدة على ما جاءت به نظرية الأفعال الكلامية عند "أوستن" و"سيرل"
- اهتمت الخطب الاجتماعية (خطب الزواج، التهنتة، التعزية، الوفود...) بالإضمار التداولي؛ إذ وظفه الخطيب في سياق عدم التصريح بأغراضه، كما وظفه في الحالات التي يحاول فيها عدم تحمل مسؤولية ما يقول، أو لمراعاة بعض الحالات الأخلاقية والثقافية.
- ساهمت المضمرة الإقتضائية بأنواعها المختلفة الدلالية، والمنطقية، والتداولية، في استخراج ما اقتضته الملفوظات في الخطب، وقد اعتمدت على المستوى اللساني وغير اللساني. أما المضمرة الإنجازية فقد خرجت من معانيها المباشرة إلى معان مضمرة، فهتمت عن طريق التأويل التداولي، وتمثلت أغلبها في التعبيرات (السلوكيات) لأنها تعبر عن حالة شعورية مختلفة.
- قامت الخطب الاجتماعية على المضمرة الاستلزامية، وبخاصة في خطب الوفود، وقد نتج عن خرق القواعد الغرائسية، توليد مضمرة تخاطبية، نتجت بفضل المبدأ التعاوني، وعملية التأويل، وهي غير بعيدة عن مفهوم الإضمار بالمخالفة الذي أشار إليها "الأمدي".
- توفر الخطبة الأموية على معظم مباحث الدرس التداولي مثل: الإضمار والتصريح، والافتراض المسبق بأنواعه، والاستلزام التخاطبي، والحجاج والفعل الكلامي، ومدى اعتماده على آليتي القصد والتأويل التداولية، وذلك ما يعطيها طابعا تداوليا بامتياز.

الملاحق

- خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي لما ولي على العراق:

حدث عبد الملك بن عمير الليثي قال بينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهل الكوفة يومئذ ذو حال حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه إذ أتى آت فقال هذا الحجاج قد قدم أميراً على العراق فإذا به قد دخل المسجد معتما بعمامة قد غطي بها أكثر وجهه متقلداً سيفاً متنكباً قوساً يؤم المنبر فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم فقال الناس بعضهم لبعض قبح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق حتى قال عمير بن ضابئ البرجمي ألا أحصبه لكم فقالوا أمهل حتى ننظر فلما رأى عيون الناس إليه حسر اللثام عن فيه ونهض فقال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ثم قال يأهل الكوفة أما والله إني لأحمل الشر بحمله وأحدوه بنعله وأجزيه بمثله وإني لأري أبصاراً طامحة وأعناقاً متطاولة ورءوساً قد أينعت وحنان قطافها وإني لصاحبها وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق ثم قال:

هذا أوان الشد فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم

ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

قد لفها الليل بعصلي أروع خراج من الدوي

مهاجر ليس بأعرابي

قد شممت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا

وليس القوس فيها وتر عردمثل ذراع البكر أو أشد

لا بد مما ليس منه بد

إني والله يأهل العراق ومعدن الشقاق والنفاق ومساوي الأخلاق ما يقع لي بالشنان ولا يغمز جانبي كتغماز التين ولقد فررت عن ذكاء وفتشت عن تجربة وجريت إلى الغاية القصوى وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدني أمرها عودا وأصلبها مكسرا فرماكم بي لأنكم طالما أوضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسنتم سنن الغي أما والله لألحونكم لحو العصا ولأقرعنكم قرع المروءة ولأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل فإنكم لكأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وإني والله لا أعد إلا وفيت ولا أهم إلا أمضيت ولا أخلق إلا فريت فإياي وهذه الشفعاء والزرافات والجماعات وقالا وقيلما وما تقول ؟ وفيم أنتم وذاك

أما والله لتستقيم على طريق الحق أو لأدعن لكل رجل منكم شغلا في جسده وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة وإني أقسم بالله لا أجد رجلا تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دمه وأنهبت ماله وهدمت منزله.¹

. خطبة زياد بن أبيه :

أما بعد : فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغبي الموفى بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ينبت فيها الصغير، ولا ينجح عنها الكبير كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكبير لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول، أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه؛ من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله، و هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة في النهار المبصر والعدد غير قليل؟

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 274، 275، 276، 277

ألم يكن منكم نمة تمنع الغواة عن دج الليل وغارة النهار؟! قربتم القرابة، وباعدتم الدين، تعتذرون بغير العذر، وتغضون على المختلس، أليس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا، ما أنتم بالحلمااء ولقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونه حتى انتهكوا حرم الإسلام، ثم أطرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الرب، حرام علي الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدماء وإحراقا.

إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله : لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف. وإني أقسم بالله لآخذن الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم حتى يلقي الرجل منكم أخاه فيقول :انج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم. إن كذبة المنبر بلقاء مشهورة؛ فإذا تعلقتم علي بكذبة فقد حلت لكم معصيتي، و إذا سمعتموها مني فاغتمزوها في، واعلموا أن عندي أمثالها . من نقب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب منه، فيأياي ودج الليل؛ فيني لا أوتى بمدج إلا سفكت دمه، وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الكوفة ويرجع إليكم، وإياي ودعوى الجاهلية؛ فيني لا آخذ دا علي بها إلا قطعت لسانه. وقد أحدثتم أحداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة؛ فمن غرق قوما غرقناه، ومن أحرق قوما أحرقناه، ومن نقب بيتنا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه فيه حيا . فكفوا عني أيديكم وألستكم أكفف عنكم يدي ولساني، ولا تظهر أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه، وقد كانت بيني وبين أقوام إحن فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، فمن كان منكم محسنا فليزدد إحسانا، ومن كان منكم مسيئا فلينزعه عن إساءته.

إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السل من بغضي لم أكشف له قناعا، ولم أهتك له ستر حتى يبدي لي صفحته؛ فإذا فعل ذلك لم أناظره، فاستأنفوا أموركم، وأعينوا على أنفسكم، فرب م سوء بقدمنا سنسرهم، ومسرور بقدمنا سنسوؤه.

أيها الناس، إنا أصبحنا لكم سادة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي حولنا، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا العدل

فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا، واعلموا أني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو أتاني طارقا بليل، ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن إبانة، ولا مجمرا لكم بعثا، فادعوا الله بالصالح لأئمتكم؛ فإنهم ساستكم المؤدبون ، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى يصلحوا تصلحوا، ولا تشربوا قلوبكم بغضهم، فيشتد لذلك غيظكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا به حاجتكم مع أنه لو استحجيب لكم فيهم لكان شرا لكم أسأل الله أن يعين كلا على كل، وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على أذلاله، وإيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي.¹

- خطبة يزيد بن الوليد:

قال: " والله أيها الناس ما خرجت أشرا ولا بطرا، ولا حرصا على الدنيا، ولا رغبة في الملك، و ما بي إطرء نفسي، وإني لظلوم لها، ولقد خسرت إن لم يرحمني ربي، ويغفر لي ذنبي ولكني خرجت غضبا لله ولدينه، وداعيا إلى الله وسنة نبيه، لما هدمت معالم الهدى، وأطفئ نور التقوى، وظهر الجبار العنيد، وكثرت حوله الحزق والجنود، المستحل لكل حرمة، والراكب لكل بدعة، مع أنه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ولا يصدق بالثواب والعقاب، وإنه لابن عمي في النسب وكفي في الحسب فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره، وسألته ألا يكلني إلى نفسي ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل ولايتي حتى أراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد، بحول الله وقوته لا بحولي وقوتي .

أيها الناس إن لكم علي أن لا أضع حجرا على حجرا ولا لبنة على لبنة، ولا أكرى نhra ولا أكنز مالا ولا أعطيه زوجا ولا ولدا، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله، بما يغنيهم ، فإن فضل نقلته إلى البلد الذي يليه، ممن هو أحوج إليه من . ولا أجمركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهاليكم، ولا أغلق بابي دونكم، فيأكل قويكم ضعيفكم، ولا

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص62، 63، 64، 65

أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم وأقطع نسلهم ولك عندي أعطياتكم في كل سنة، وأرزاقكم في كل شهر، حتى تستدر المعيشة بين المسلمين، فيكون أقصاهم كأدناهم. فإن أنا وفيت فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة والمكانفة، وإن أنا لم أوف لكم فلكم أن تخلعوني إلا أن تستيبوني فإن أنا تبت قبلتم مني، وإن عرفتم أحدا يقوم مقامي مم يعرف بالصلاح، يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم، فأردتم أن تبايعوه فأنا أول من بايعه، ودخل في طاعته.

أيها الناس: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم.¹

- خطبة أبو حمزة الشاري:

يقول: "أيها الناس، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَتَدَمُّ وَلَا يَجْحَمُ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَوَحْيِهِ، أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ، وَبَيَّنَّ لَهُ مَا يَأْتِي وَمَا يَتَّقِي فِيهِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ شُبْهَةً حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، وَقَدْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مَعَالِمَ دِينِهِمْ، وَوَلَّى أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَاتَهُمْ، وَهِيَ عِمَادُ دِينِهِمْ فَوَلَاهُ الْمُسْلِمُونَ أَمْرَ دِيَارِهِمْ، فَقَاتَلَ أَهْلَ الرِّدَّةِ، ثَوَعَمَلَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ حَاسِرًا عَنْ دِرَاعِيهِ، حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

وَوَلَّى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْأَمْرَ بَعْدَهُ، فَسَارَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سِيرَةَ صَاحِبِهِ، وَجَبَى الْفَيْءَ، وَأَعْطَى الْأَعْطِيَةَ، وَمَصَرَ الْأَمْصَارَ، وَدَوَّنَ الدَّوَابِيْنَ، وَجَمَعَ النَّاسَ عَلَى قِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَجَلَدَ فِي الْحُمْرِ ثَمَانِينَ، وَغَزَا الْعَدُوَّ فِي دِيَارِهِمْ ثُمَّ مَضَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِسَبِيلِهِ عَلَى مَنْهَاجِ صَاحِبِهِ، وَقَدْ جَعَلَهَا شُورَى، فَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

ثُمَّ وَلَّى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْأَمْرَ عَلَى النَّاسِ مِنْ بَعْدِهِ، فَسَارَ سِتَّ سِنِينَ

بِدُونِ سِيرَةِ صَاحِبِيهِ، ثُمَّ حَبِطَ فِيهَا مَضَى لَهُ وَمَضَى لِسَبِيلِهِ.

ثم ولي علي بن أبي طالب، فكان على سداد، حتى حكم في كتاب الله، وشك في دينه،

فلم يبلغ من الحق قصدا، ولم يرفع له منارة

¹ - الجاحظ: البان والتبيين: ج2، ص141، 142

ثم ولي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن لعينه، فاتخذ عباد الله حولا، ومال الله دولا، ودين الله دغلا، ثم مضى إلى سبيله ناكبا عن الحق، مداهنا في الدين.

ثم ولي يزيد بن معاوية، فضض لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاسق في بطنه وفرجه فمضى على منهج أبيه، لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.

ثم ولي يزيد بن عبد الملك فاسق لم يؤنس منه رشدا، مأبون في بطنه، وفرجه، حيك له بردان فارتدى بأحدهما واتزر بالآخر، ثم أقعد حباية عن يمينه وسلامة عن يساره، وأخذت الخمر مأخذها منه شق ثوبيه، وقد اتخذ بألف دينار، بعد أن ضربت فيهما الأبخار وحلقت الأشعار، وهتكت الأستار، وأخذ ماء في قعرهما من غير حله، ووضع في غير حقه، وقد حصرت كتابا كتبها إليك هشام في حطمة كانت، أرضاكم به، وأسخط الله عز وجل ذكر فيه أنه قد ترك لكم صدقاتكم في عامكم هذا، فزاد فقيركم الذي جعل الله عز وجل له ذلك فقرا، وزاد غنيكم غنى، فقلتم: جزاه الله خيرا، فلا جزاه الله خيرا، ولا أثابكم خيرا.

أما هذه الشيع فشيعة جهلت بكتاب الله عز وجل، وأعظمت الفرية على الله تعالى، لم يبارها الناس بعمل بالغ في الدين، ولا علم نافع في القرآن، ينكرون المعصية على أهلها، ويعملون إذا ولوا بها، ينصرون الفتنة، ولا يحرجون منها جفاة عن الدين، أتباع كهان، يؤملون الدولة في بعث الموتى، ويوقنون ببعث إلى الدنيا قبل يوم القيامة، جفاة عن الدين أتباع الكهن قلدوا دينهم من لا ينظر إليهم قاتلهم الله أنى يؤفكون، يا أهل الحجاز قد بلغني أنكم تعيرونني بأصحابي وتزعمون أنهم شباب، وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شبابا؟ شباب والله يكتهلون في شبابهم، غائبة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة، وقد نظر الله عز وجل إليهم في خوف الليل، مخيئة أصلابهم على أجزاء القرآن، إذا مر أحدهم بالآية فيها ذكر الجنة دعا شوقا إليها، وإذا مر بالآية فيها ذكر النار شفق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه، موصول كلالهم بكلالهم، كلال الليل بكلال النهار، قد أكلت الأرض ركبهم

وَأَيْدِيَهُمْ وَجِبَاهَهُمْ، فَاسْتَقَلُّوا ذَلِكَ فِي جَنْبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى إِذَا رَأَوْا السَّهَامَ قَدْ فُوقَتْ وَالرِّمَاحَ قَدْ أَشْرَعَتْ وَالسُّيُوفَ قَدْ انْتَضَيْتْ وَأَرْعَدَتْ الْكَتِيبَةُ بِصَوَاعِقِ الْمَوْتِ اسْتَحْفُوا رَعْدَ الْكَتِيبَةِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَضَى الشَّبَابُ مِنْهُمْ قُدَمَا حَتَّى اخْتَلَفَتْ رِجْلَاهُ عَلَى عُنُقِ فَرَسِهِ ، وَتَحَضَّبَتْ بِالدَّمَاءِ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ، وَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ سِبَاعُ الْأَرْضِ وَانْحَطَّتْ عَلَيْهِ طَيْرُ السَّمَاءِ، فَكَمْ مِنْ عَيْنٍ فِي مَنْقَارِ طَيْرٍ طَالَمَا بَكَى صَاحِبُهَا فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فِي سُجُودِهِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَكَمْ مِنْ كَفٍّ زَالَتْ عَنْ مِعْصِمِهَا وَكَمْ مِنْ خَدِ رَقِيقٍ وَجِبِينِ عَتِيقٍ قَدْ فُلِقَ بَعْدَ الْحَدِيدِ. رحمة الله على تلك الأبدان، وأدخل أرواحها الجنان¹.

خطبة الحسن البصري:

قال: "يا ابن آدم: بع دنياك بأخرتك ترجهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتحسرهما جميعاً، يا ابن آدم: إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم به. الثواء ها هنا قليل، والبقاء هناك طويل. أمتكم آخر الأمم، وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم فماذا تنتظرون؟ آلمعابنة؟ فكأن قد هيئات هيئات، ذهب الدنيا بحاليها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم، فيالها موعظة لو وافقت من القلوب حياة. أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم، ولا نبي بعد نبيكم ولا كتاب بعد كتابكم. أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحق آخركم. من رأى محمداً صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا رائحا، لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة. رفع له علم فبشر إليه. فالوحاء الوحاء، والنجاء النجاء. علام تعرجون. أتيتم ورب الكعبة. قد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون، فماذا تنتظرون. إن الله تعالى بعث محمداً عليه السلام على علم منه، اختاره لنفسه، وبعثه برسالته، وأنزل عليه كتابه، وكان صفوته من خلقه، ورسوله إلى عباده، ثم وضعه من الدنيا موضعاً ينظر إليه أهل الأرض، وأتاه منها قوتا وبلغة، ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾، فرغب أقوام من عيشه، وسخطوا ما رضى له ربه، فأبعدهم الله وأسحقهم.

¹ - حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، ص 491، 492، 493، 494، 495، 496.

يا ابن آدم: طأ الأرض بقدمك، فإنها عن قليل قبرك، واعلم أنك لم تنزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك. رحم الله رجلاً نظر ففتكر، وتفكر فاعتبر، وأبصر فبصر، فقد أبصر أقوام فلم يصبروا، فذهب الجزع بقلوبهم، ولم يدركوا ما طلبوا، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا. عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك، خذوا صفا الدنيا، وذروا كدرها، فليس الصفو ما عاد كدار، ولا الكدر ما عاد صفوا، دعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم، ظهر الجفاء وقلت العلماء، وعفت السنة، وشاعت البدعة، لقد صحبت أقواماً ما كانت صحبتهم إلا قرّة العين، وجلاء الصدور، ولقد رأيت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق من ترد عليهم من كم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم الله عليكم منها. ما لي أسمع حسيباً ولا أرى أنيساً، ذهب الناس وبقي النسناس، لو تكاشفتهم ما تدافنتهم، تهاديتهم الأطباق، ولم تتهادوا النصائح.

قال ابن الخطاب: رحم الله امرأً أهدى إلينا مساوينا. أعدوا الجواب فإنكم مسؤولون.

المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أخذه من قبل ربه، إن هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم وبين شهواتهم، وما يصبر عليه إلا من عرف فضله، ورجا عاقبته فمن حمد الدنيا ذم الآخرة، وليس يكره لقاء الله مقيم على سخطه.

يا ابن آدم: الإيمان ليس بالتخلي ولا بالتمني، ولكم ما وقر في القلوب، وصدقه العمل.¹

- خطبة عمر بن عبد العزيز:

قال "أيها الناس، إنكم لم تُخلقوا عبثاً، ولم تُتركوا سُدىً، وإنَّ لكم معاداً يحكم الله بينكم فيه، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم جنة عرضها السماوات والأرض. واعلموا أن الأمان غداً لمن يخاف اليوم، وباع قليلاً بكثير، وفانيًا بباقي، ألا ترؤن أنكم في أصلاب الهالكين، وسيخلفها من بعدكم الباقون، كذلك حتى تُردُّوا إلى خير الوارثين.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج3، ص132، 133، 134.

ثم إنكم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله، قد قضى نخبه، وبلغ أجله، ثم تغيّبونه في صدع من الأرض، ثم تدعون غير مؤسّد ولا مُمهد، قد خلّع الأسباب، وفارق الأحاب، وياشر التراب وواجه الحساب، غنياً عما ترك، فقيراً إلى ما قدّم.

وايم الله، إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي؛ فأستغفر الله لي ولكم، وما تبّلغنا حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدّدناها، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدي ولحمي الذين يلونني، حتى يستوي عيشنا وعيشكم. وايم الله، إني لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقاً ذلولاً عالماً بأسبابه، لكنّه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة، دلّ فيهم على طاعته، وهى فيها عن معصيته. " ... ثم بكى رحمة الله، فتلقى دموع عينيه بطرف رداءه، ثم نزل، فلم ير على تلك الأعواد حتى قبضه الله إلى رحمته.¹

- خطبة واصل بن عطاء:

الحمد لله القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية، الذي علا في دُئوه، ودنا في علوه؛ فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خلق، ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه، وعدّله اصطناعاً، فأحسن كل شيء خلقه، وتمم مشيئته، وأوضح حكمته؛ فدّل على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه، تواضع كل شيء لعظمته، ودلّ كل شيء لسلطانه، ووسع كل شيء فضله، لا يعزّب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا مثيل له إلهاً تقدست أسماؤه، وعظمت آلؤه، وعلا عن صفات كل مخلوق، وتنزه عن شبه كل مصنوع؛ فلا تبّلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يعصى فيحلم، ويدعى فيسمع، ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون .
وأشهد شهادة حق، وقول صدق بإخلاص نية وصدق طوية أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه وخالصته وصفيه، ابتعثه إلى خلقه بالبينّة والهدى ودين الحق فبّلغ مآلكته، ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا يصدّه عنه زعم زاعم، ماضياً على سنته، موفياً على قصده حتى أتاه اليقين ف صلى الله على محمد وعلى آل محمد أفضل وأزكى وأتم وأتمى وأجل وأعلى

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص121، 120

صَلَاةٍ صَلَّاهَا عَلَى صَفْوَةِ أَنْبِيَائِهِ، وَخَالِصَةِ مَلَائِكَتِهِ، وَأَضْعَافَ ذَلِكَ إِنَّهُ حَمِيدٌ بِحَيْدٍ
 أُوصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ مَعَ نَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَالْمَجَانِبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، وَأَحْضُكُمْ عَلَى مَا
 يُدْنِيكُمْ مِنْهُ، وَيُزِيلُكُمْ لَدَيْهِ؛ فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ زَادٍ، وَأَحْسَنُ عَاقِبَةٍ فِي مَعَادٍ، وَلَا تُلْهِيَنَّكُمْ الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا بِرَبَّنَتِهَا وَخَدَعِهَا، وَفَوَاتِنِ لِدَائِحِهَا، وَشَهَوَاتِ آمَالِهَا؛ فَإِنَّهَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ، وَمُدَّةٌ إِلَى حِينٍ، وَكُلُّ
 شَيْءٍ مِنْهَا يَزُولُ فَكَمْ عَايَنْتُمْ مِنْ أَعَاجِبِهَا، وَكَمْ نَصَبْتُمْ لَكُمْ مِنْ حَبَائِلِهَا، وَأَهْلَكْتُمْ مَنْ جَنَحَ
 إِلَيْهَا، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهَا، أَذَاقْتُمْ حُلُومًا، وَمَزَجْتُمْ لَهُمْ سُمًّا، أَيْنَ الْمُلُوكُ الَّذِينَ بَنَوْا الْمَدَائِنَ، وَشَيَّدُوا
 الْمَصَانِعَ وَأَوْثَقُوا الْأَبْوَابَ، وَكَاتَبُوا الْحِجَابَ، وَأَعَدُّوا الْجِيَادَ، وَمَلَكَوا الْبِلَادَ، وَاسْتَخَدَمُوا التَّلَادَ؟ !
 قَبَضْتُمْ بِمِخْلَبِهَا، وَطَخَنْتُمْ بِكُلْكَلِهَا، وَعَصَّيْتُمْ بِأَنْبِيَائِهَا، وَعَاضْتُمْ مِنَ السَّعَةِ ضَيْقًا، وَمِنَ الْعِزَّةِ
 ذُلًّا، وَمِنَ الْحَيَاةِ فَنَاءً؛ فَسَكُنُوا اللَّحُودَ، وَأَكَلْتُمْ الدُّودَ، وَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ، وَلَا بَجْدٌ إِلَّا
 مَعَالِمُهُمْ، وَلَا تُحْسِبُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ، وَلَا تَسْمَعُ لَهُمْ نَبْسًا، فَتَزَوَّدُوا عَافَاكُمْ اللَّهُ؛ فَإِنَّ أَفْضَلَ الزَّادِ
 التَّقْوَى، وَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، جَعَلْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَنْتَفِعُ بِمَوَاعِظِهِ، وَيَعْمَلُ
 لِحِظِهِ وَسَعَادَتِهِ، وَمَنْ يَسْتَمِعِ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعْ أَحْسَنَهُ، أَوْلَيْكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَوْلَيْكَ هُمْ أَوْلُوا
 الْأَلْبَابِ، إِنَّ أَحْسَنَ قَصَصِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْلَغَ مَوَاعِظِ الْمُتَّقِينَ كِتَابُ اللَّهِ الرَّكِيَّةُ آيَاتُهُ، الْوَاضِحَةُ بَيِّنَاتُهُ؛
 فَإِذَا تَلَّى عَلَيْكُمْ فَأَنْصِتُوا لَهُ وَاسْمِعُوا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .

أَعُوذُ بِاللَّهِ الْقَوِيِّ مِنَ الشَّيْطَانِ الْعَوِيِّ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، بِسْمِ اللَّهِ الْفَاتِحِ الْمَنَّانِ (قل هو
 اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) :

نَفَعَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْكِتَابِ الْحَكِيمِ، وَالْوَحْيِ الْمُبِينِ، وَأَعَادَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَأَدْخَلَنَا
 وَإِيَّاكُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ¹ .

- خطبة عبد الله بن الزبير:

قال: "الحمد لله الذي له الخلق والأمر، وملك الدنيا والآخرة، يؤتى الملك من يشاء وينزع
 الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير، أما بعد:
 فإنه لم يعز الله من كان الباطل معه، وإن كان معه الأنام طرا، ولم يذل من كان الحق معه وإن كان
 مفردا ضعيفا، ألا وإنه أتانا من العراق بلد الغدر والشقاق، فساءنا وسرنا، أتانا ان مصعبا قتل
 رحمة الله عليه ومغفرته، فأما الذي أحزننا من ذلك فان لفراق الحميم لذعة ولوعة يجدها حميمه

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 482، 483، 484

عند المصيبة، ثم يرعوى من بعد ذو الرأي والدين، إلى جميل الصبر، وكرم العزاء، وأما الذي سرنا منه فإننا قد علمنا أن قتله شهادة له، وأنه عزوجل جاعل لنا وله في ذلك الخيرة إن شاء الله تعالى. أسلمه الطعام، الصم الآذان، أهل العراق إسلام النعم المخطمة، وباعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه فإن يقتل فقد قتل أبوه وعمه وأخوه، وكانوا الخيار الصالحين، إنا والله لا نموت حتف آنا، ولكن قمصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف، وليس كما يموت بنوا مروان، والله ما قتل منهم رجل في زحف في جاهلية ولا إسلام قط، ألا وإنما الدنيا عارية من الملك القهار، الذي لا يزول سلطانه، ولا يبید ملكه، فإن تقبل الدنيا علي لم أخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر عني لم أبك عليها بكاء الحرق المهين. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.¹

- خطبة أم سنان في حضرة معاوية:

سعيد بن أبي حذافة قال: حبس مروان بن الحكم وهو والي المدينة غلاماً من بني ليث في جناية جناها فاتته جدة الغلام أم أبيه وهي أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية فكلمته في الغلام فأغلظ مروان " فخرجت إلى معاوية فدخلت عليه فانتسب فعرفها فقال لها: مرحباً يا بنت خيثمة ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تشتمينا وتحضين علينا عدونا قالت: إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة وأحلاماً وافرة لا يجهلون بعد علم ولا يسفهبون بعد حلم ولا ينتقمون بعد عفو وإن أولى الناس باتباع ما سن آباؤه لأنت قال: صدقت نحن كذلك. فكيف قولك:

هذا علي كالهلال، تحفه وسط الماء من الكواكب أسعد

خير الخلائق، وابن عم محمد إن يهدكم بالنور منه تهتدوا؟

قالت: كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو أن تكون لنا خلفاً بعده.

فقال رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة:

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص166، ص167

فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت فوق الغصون حمامة قمريا

قد كنت بعد محمد خلفاً كما أوصى إليك بنا فكنت وفيا

فالיום لا خلف يؤمل بعده هيهات نأمل بعده إنسيا

قالت: يا أمير المؤمنين لسان نطق ، وقول صدق ولئن تحقق فيك ما ظننا هرفحظك الأوفر والله ما ورثك الشنآن في قلوب المسلمين إلا هؤلأء فأدحض مقالتهم وأبعد منزلتهم فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قربا ومن المؤمنين حبا قال: وإنك لتقولين ذلك قالت: ياسبحان الله! والله ما مثلك من مدح بباطل، ولا اعتذر إليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا كان والله علي أحب إلينا منك وأنت أحب إلينا من غيرك قال: ممن؟ قالت: من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص . قال: وبم استحققت ذلك عندك قالت: بسعة حلمك وكريم عفوك قال: فإنهما يطمعان في ذلك قالت: هما والله لك من الرأي على مثل ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله تعالى. قال: والله لقد قاربت فما حاجتك؟ قالت: يا أمير المؤمنين إن مروان تبنك بالمدينة تبنك من لا يريد منها البراح. لا يحكم بعدل ولا يقضي بسنة يتتبع عشرات المسلمين ويكشف عورات المؤمنين حبس ابن ابني فأتيته فقال: كيت وكيت فألقمته أحشن من الحجر وألعتته أمر من الصرير ثم رجعت إلى نفس باللائمة وقلت: لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى بالعمو منه فأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظراً وعليه معديا قال: صدقت لا أسألك عن ذنبه ولا عن القيام بحجته اكتبوا لها بإطلاقه قالت: يا أمير المؤمنين وأنى لي بالرجعة وقد نفذ زادي وكلت راحلتي.

فأمر لها براحلة موطأة وخمسة آلاف درهم¹.

¹ - أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ص 359، 360، 361

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

❖ أولاً: مصادر المدونة:

1. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، تحقيق، عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج4، ط1، 1983.
2. أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، في عصور العربية الزاهرة، مطبعة مصطفى الباني الحلبي، مصر، ج2، ط1، 1933.
3. حسين أحمد عطوان: نصوص من الأدب الأموي، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط2، 2011.
4. أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ج1، ج2، ج3.

❖ ثانياً : المراجع :

أ - العربية:

1. أحمد الريسوني: نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، تقديم طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط4 ، 1995.
2. أحمد كروم : مقاصد اللغة وأثرها في فهم الخطاب الشرعي ، كنوز المعرفة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2015.
3. أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.
4. أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006.

5. أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، 1995.
6. أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة، البيان، المعاني، البديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993.
7. أحمد مطلوب: فنون بلاغية، البيان - البديع، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1985.
8. إدريس مقبول: نظرية المعرفة والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.
9. أرسطو طاليس: الخطابة، تحقيق، عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979.
10. الأزهر الزناد: دروس البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، العربية للنشر، صفاقس، تونس، ط1، 1992.
11. أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات في أصول الشريعة، شرحه وخرج أحاديثه، عبد الله دراز، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية مج 1، ج1، مج2، ج2، مج3، ج3.
12. أمير بن محمد المدري: الحجاج بن يوسف الثقفي مواقف من حياته (دماء وعطاء).
13. أمينة الدهري: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2011.
14. بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق، أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، 2006.

15. بشرى البستاني: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والترجمة، لندن، ط1، 2012.
16. أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط3، 1988.
17. أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
18. أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2009.
19. أبو بكر العزاوي: اللغة والمنطق مدخل نظري، مطبعة طوب بريس، المغرب، 2014.
20. بلولة مصطفى: لودفيغ فتجنشتين من لغة الكون إلى لغة الإنسان، ورد في كتاب: اللغة والمعنى مقارنة في فلسفة اللغة، تقديم مخلوف سيد أحمد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
21. بنعيسى عسو أزييط: الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري (من التجريد إلى التوليد) مستويات البنية الإضمارية وإشكالاتها الأساسية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ج2، ط1، 2012.
22. بنعيسى أزييط: مداخلات لسانية، مناهج ونماذج، شركة الطباعة مكناس، المغرب، 2008.
23. تاج الدين السبكي: جمع الجوامع في أصول الفقه، علق عليه، عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2003.
24. جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق، مركز الدراسات القومية، ج2.

25. جلال الدين السيوطي: المزهري في علوم اللغة، تحقيق، محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج1.
26. جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط2، 2013.
27. جمال الدين ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ج2، ط1، 1964.
28. جميل حمداوي: من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
29. الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
30. حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية.
31. حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2004.
32. حسان الباهي: فلسفة الفعل، اقتران العقل النظري بالعقل العملي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2016.
33. الحسان شهيد: الخطاب المقاصدي المعاصر، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2013.
34. حسن بدوح: المحاورة مقارنة تداولية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.
35. الحسن بن قاسم المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق، فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 199.

36. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني: النكت في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3.
37. أبي الحسن علي بن عيسى الرماني: معاني الحروف، تحقيق عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005.
38. أبي الحسين إسحاق بن وهب الكاتب: البرهان في وجوه البيان، تحقيق، جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة.
39. حمزة العيدية: وسائل معرفة قصد الشارع، دراسة تأصيلية تطبيقية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2014.
40. حميد آدم تويني: فن الأسلوب، دراسة وتطبيق عبر العصور الأدبية، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، ط2006، 1.
41. حميد حميداني: القراءة وتوليد الدلالة، تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2007.
42. أبو حيان التوحيدى: الإمتاع والمؤانسة، تحقيق، محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.
43. خليفة الميساوي: القصيدة في الخطاب السجالي، ورد ضمن: التداوليات وتحليل الخطاب إشراف حافظ إسماعيل علوي، منتصر أمين عبد الرحيم، كنوز المعرفة، الأردن، 2013.
44. خليفة الميساوي: سلطة الوسائل البراغمية في فهم الخطاب وتأويله، ورد في كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، تقديم حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.
45. خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس القديم، بيت الحكمة ط1 2009.

46. ذهبية حمو الحاج: التداولية واستراتيجية التواصل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015.
47. الراضي رشيد : مظاهر الحجاج اللغوي، ، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014.
48. رانية فوزي عيسى: علم اللغة النصي، رسائل الجاحظ نموذجاً، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2014.
49. سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني : المطول، شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق، عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ط3، 2013.
50. سميح عبد الوهاب الجندي : أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية ، وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 2008.
51. السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ضبط وتدقيق ، يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 1999.
52. شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ورد في كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، إشراف حمادي صمود، منشورات كلية الآداب، منوبة، 1998.
53. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق مأمون الصاغرجي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج4 ، ط2 ، 1982.
54. شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، دار المعارف، مصر، ط7.
55. صابر الحباشة: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسة والنشر، دمشق، ط1، 2008.

56. صابر الحباشة: دائرة التأويل ورهانات القراءة، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ط1، 2008.
57. صفاء عبد السلام جعفر : الهرمينوطيقا تفسير الأصل في العمل الفني، دراسة في الأنطولوجيا المعاصرة، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2000.
58. صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
59. ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، علق عليه، أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ج1.
60. طه عبد الرحمان : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب ط1، 1998.
61. طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 2 ، 2000.
62. عادل فاخوري :محاضرات في فلسفة اللغة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
63. عادل مصطفى فهم الفهم ، مدخل إلى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى كادامر، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007.
64. أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي : الأمنية في إدراك النية، تحقيق ودراسة، مساعد بن قاسم الفالح، مكتبة الحرمين، الرياض، ط1، 1988.
65. عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط 1، 1981.
66. عبد الرحمان ابن خلدون : المقدمة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان، 2007.

67. عبد الرحمان الحاج صالح : الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال ، سلسلة علوم اللسان عند العرب 3 ، Enag الجزائر.
68. عبد الرحيم وهابي : القوة الإنجازية للأفعال الكلامية في نظرية النظم عند الجرجاني ، ورد في كتاب البلاغة والخطاب : إعداد وتنسيق محمد مشبال ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2014.
69. عبد السلام إسماعيل علوي : تداوليات التأويل ، ورد في كتاب : التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.
70. عبد السلام المسدي : التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط 2 ، 1986.
71. عبد السلام عشير : عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، ط 1 ، 2005.
72. عبد الغاني بارة: الهرمينوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقلي تأويلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2008.
73. عبد الفتاح أحمد الحموز: التأويل النحوي في القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض، ج 1، ط 1، 1984.
74. عبد القادر فيدوح: نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، ط 1، 2005.
75. عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح وتعليق، محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1988.
76. عبد الكريم شرفي : من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات العربية الحديثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2007.

77. عبد الله الخليفة : نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي الإسلامي ، مكتبة لبنان ناشرون، ط1.
78. عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطقاته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكا ، ورد ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، 1998.
79. عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
80. عبد المجيد محمد علي الغيلي: المعاني النحوية أساليبها وألفاظها عند العرب، منشورات رحي الحرف، 2003.
81. عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004.
82. عثمان أبو زنيد ، نحو النص ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1 ، 2010.
83. عز الحكيم بناني: الظاهرية وفلسفة اللغة، تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية، افريقيا الشرق، المغرب، 2003 .
84. عزالدين الناجح: العوامل المحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2011.
85. علي أبو المكارم: أصول التفكير النحوي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007.
86. علي آيت أوشان : السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 2000 .

87. علي بن محمد الآمدي : الإحكام في أصول الأحكام، علق عليه وصححه: عبد الرزاق عفيفي، دار الصمعي للنشر، المملكة العربية السعودية ج1، ط 1 ، 2003.
88. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق ودراسة، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة ، القاهرة.
89. عمارة ناصر: الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجة للخطاب الفلسفي ، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط 1 ، 2009.
90. عمارة ناصر: الهرمينوطيقا والحجاج مقارنة لتأويلية بول ريكور ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1 ، 2014.
91. العياشي أدراوي: الاستلزام الحواري في التداول اللساني ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.
92. عيسى علي الكاعوب: المفصل في علوم البلاغة العربية، المعاني، البيان، البديع، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، 2000.
93. فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوى للنشر والتوزيع، سوريا، 2011.
94. أبي الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن، دار الغد الجديد، القاهرة، ج3، ط1، 2008.
95. قندسي عبد القادر : التأويل بين رهانات الفلسفة وإكراهات اللغة ،ورد ضمن كتاب: اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة : إعداد وتقديم مخلوف سيد أحمد منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
96. كمال الزماني : حجاجة الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط 1 ، 2012.

97. محروس بريك: التأويل التداولي في كتاب سيبويه، من كتاب المؤتمر الدولي السادس لقسم النحو والصرف، سيبويه إمام العربية، ج 2، 2010.
98. محمد أبو زهرة: الخطابة، أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة.
99. محمد الطاهر بن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، دار السلام، دار سحنون، تونس، ط6، 2014.
100. محمد الطاهر بن عاشور: أصول الإنشاء والخطابة، تحقيق، ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، 1433.
101. محمد العمري: في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية الخطابة في القرن الأول نموذجاً، إفريقيا الشرق، المغرب، 2002.
102. محمد بازي: نظرية التأويل التقابلي، مقدمات لمعرفة بديلة بالنص والخطاب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ضفاف، بيروت، ط1، 2013.
103. محمد بن عبد الله بن الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، صححها وعلق عليها، أحمد عبيد، مكتبة وهبة عابدين، مصر، ط2.
104. محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006.
105. محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
106. محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط7، 2010.

107. محمد شوقي الزين: تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر، منشورات ضفاف، بيروت، 2015.
108. محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم تحقيق لطفي عبد البديع، مراجعة أمين الخولي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1996.
109. محمد فهمي زيدان: في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
110. محمد محمد يونس علي: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، نحو بناء نظرية المسالك والغايات، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 1، 2016.
111. محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1986.
112. محمد مهران رشوان، عصام زكريا جميل : فلسفة اللغة، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط 1، 2012.
113. محمد مهران رشوان: مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2، 1984.
114. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2011.
115. محمود محمد رسلان: الخطابة نشأتها وميادينها، كيف تكون خطيباً مفوها وبرلمانياً ناجحاً، دار التقوى للنشر والتوزيع القاهرة، ط3، 2006.
116. محمود محمد محمد عمارة : الخطابة بين النظرية والتطبيق، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط 1، 1997.

117. مرتضى جبار كاظم: اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين ، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف لبنان، ط1، 2015.
118. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة ، بيروت، لبنان، ط 1 ، 2005.
119. أبو المعالي جلال الدين الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، اعتنى به وراجعته، عماد بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط3.
120. منال محمد هشام سعيد النجار: نظرية المقام عند العرب في ضوء البراغماتية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.
121. المولدي عزديني : النقد الفلسفي للذات المفكرة عند ديكرات ، الوسيطى للنشر ، تونس ، 2008.
122. نبيهة قارة : الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1 ، 1998.
123. نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط7، 2005.
124. نعمان بوقرة: الخطاب الأدبي ورهانات التأويل، قراءة نصية تداولية حجاجية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.
125. أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه، محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

126. أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
127. أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2000.
128. يحيى رمضان: قراءة النص بين موت المؤلف ومقصدية المتكلم ورد في كتاب: النص بين القراءة والتأويل: تحرير إدريس مقبول ويحيى رمضان، عالم الكتب الحديث، ط1، 2013.
129. أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه، نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.
- ب - المترجمة إلى العربية:**
1. أمبرتو أيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2000.
2. آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة، سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، مراجعة لطفي زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
3. بالمر: علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، الجامعة المستنصرية، 1985.
4. براون و يول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي، منير التريكي، جامعة الملك سعود للنشر، السعودية، 1997.
5. بور ريكور: من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة، حسان بورقيبة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2001.
6. بور ريكور: نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2006.

7. جان غروندين: المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا، ترجمة، عمر مهليل، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2007.
8. جورج لايكوف ومارك جونسن: الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط2، 2009.
9. جورج يول: التداولية، ترجمة، قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010.
10. جون سيرل: الأعمال اللغوية بحث في فلسفة اللغة، ترجمة أميرة غنيم، مراجعة محمد الشيباني، دار سيناترا، تونس، ط1، 2015.
11. جون سيرل: بناء الواقع الاجتماعي من الطبيعة إلى الثقافة، ترجمة وتقديم حسنة عبد السميع، مراجعة إسحاق عبيد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط 1، 2012.
12. جون سيرل: العقل مدخل موجز، ترجمة ميشال حنا ميطاس، عالم المعرفة، العدد 343، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سبتمبر 2007.
13. جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2006.
14. جون سيرل: القصيدة بحث في فلسفة العقل، ترجمة أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2009.
15. جون لانكشو أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2008.
16. جون ليونز: اللغة والمعنى والسياق، ترجمة عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، 1987.
17. دافيد جاسبر: مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة وجيه قانصو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

18. زتيسيسلاف وورزنيك: مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، ترجمة، سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003.
19. سيلفان أورو: فلسفة اللغة، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010.
20. فان دايك : النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة، عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، المغرب، 2000.
21. فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة سعيد حسن بحيري ، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1 ، 2001.
22. فرانسواز ريكانتي: فلسفة اللغة والذهن، ترجمة ، الحسين الزاوي ، دار ابن النديم ، الجزائر ، الروافد الثقافية لبنان ، ط1 ، 2016.
23. فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1986.
24. فيليب بروطون: الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال، عبد الواحد التهامي العلمي، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط1، 2013.
25. فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر، سورية، ط1، 2007.
26. كاترين كيربرات أوريكيوني: المضمرة، ترجمة ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008.
27. هانز جورج غادامير: فلسفة التأويل، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر.
28. هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، ترجمة محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 1999.

ج - الأجنبية:

1. Emil benvenist : problem de linguistique,puf,paris,1966.
2. Jhon searl : Speech Act an essay in the philosophy of language ,Combrdge university press ,1969.
3. Pier Paolo Gigilioli : Language And Social Context, penguin group , london , england ,1st published ,1972 .
4. Robert j : The pragmatics of non sentences, in laurence(the hand book of pragmatics, black well, published.

❖ ثالثا: المعاجم :

أ - العربية:

1. جميل صليبييا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ج2، 1994.
2. أبي الحسين أحمد ابن فارس : مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ج5، 1979.
3. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان، مج 3.
4. أبي القاسم جار الله الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1998.

5. محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار المكتبة المصرية، القاهرة، 1364.

6. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد السلام أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ج9، ط2.

7. ياقوت الحموي: معجم الأدياء، راجعته وزارة المعارف العمومية، مطبوعات دار المأمون.

ب - المترجمة إلى العربية:

1. آن روبول، جاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة التونسية، إشراف عزالدين المجذوب، دار سيناترا، تونس، 2010.

2. باتريك شارودو دومنيك مانغونو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري، حمادي صمود، منشورات سيناترا، 2008.

ج - الأجنبية:

1. Oxford Advanced learners Dictionary, Oxford University Press, 7th Edition, 2006.

❖ رابعا : المجلات والدوريات:

1. أحمد كروم: الترجمة والتأويل التداولي، مجلة عالم الفكر، ع 4، مج 41، أفريل 2013

2. إدريس مقبول: البعد التداولي عند سميويه، مجلة عالم الفكر، ع 1، مج 33، سبتمبر 2004.

3. إدريس مقبول: في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، مج 28، 2014.

4. أمبرتو أيكو: التأويل بين بورس ودريدا، ترجمة: سعييد بنكراد، مجلة علامات، المغرب، ع 11، 1999.
5. حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، ع 1، مج 30، 2001
6. رضوان الرقي: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغال ها مجلة عالم الفكر، ع 2، مج 40.
7. عيد بلبع: الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات، ع 23، 2005.
8. محمد فرحة: المنهج الفنومينولوجي للنظرية القصصية عند هسرل، مجلة جامعة شرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج 31، ع 1، 2009.
9. محمد مشبال: صورة الخطيب في الخطابة السياسية، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 6، 2015.

❖ خامسا: الرسائل المخطوطة:

1. دلال وشن: القصصية في الموروث اللساني العربي (دراسة في الأسس النظرية والإجرائية للبلاغة العربية)، أطروحة دكتوراه مخطوطة، نوقشت بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بسكرة، إشراف الدكتور: محمد خان، السنة الجامعية، 2015 - 2016.
2. هشام صويلح: لغة الخطاب الإعلامي، دراسة لسانية تداولية لنصوص من صحف جزائرية، أطروحة دكتوراه مخطوطة، نوقشت بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة، بإشراف أ/د: بشير إبرير، السنة الجامعية، 2016 - 2017.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
- المقدمة	أ - ح
- الباب الأول:	11 - 156
دراسة نظرية لمفاهيم مصطلحات البحث الأساسية: الخطابة، التداولية، القصد، التأويل	
- الفصل الأول:	11 - 62
الخطابة الأموية واللسانيات التداولية : في الجهاز المفاهيمي والخصائص	
- مقدمة الفصل:	11
أولا : الخطابة الأموية	12
1 - الخطابة المفاهيم والمميزات :	12
1.1 - المدلول اللغوي :	12
2.1 - المدلول الإصطلاحي :	13
3.1 - أجزاؤها و أركانها:	14
2 - الخطابة الأموية الدواعي والتقسيمات:	17
1.2- دواعي الخطابة في العصر الأموي:	18
2.2 - تقسيمات الخطب في العصر الأموي :	19
3 - الخطابة الأموية وعناصرها التخاطبية/التواصلية:	21
1.3 - الخطيب :	21
2.3 - الجمهور :	22
3.3 - الخطبة :	24
4.3 - مقام الخطبة :	24
4- الخصائص اللغوية للأسلوب الخطابي، وبعض نماذجه من الخطب الأموية:....	25
1.4 - اللفظ والمعنى ودورهما في نظم الخطب:	27
2.4 - التوكيد :	29

- 3.4 - التكرار : 29.....
- 4.4 - الصور (التصوير) : 30.....
- 5.4 - المحسنات البديعية : 32.....
- 6.4 - الاقتباس : 33.....
- 7.4 - الإيجاز والإطناب : 34.....
- 8.4 - القياس الخطابي : 35.....
- ثانيا : اللسانيات التداولية 37.....
- 1- الأصول الفلسفية واللسانية: 37.....
- 1.1 - التيار الفلسفي : 37.....
- 1.1.1 - الوضعانية المنطقية : 38.....
- 2.1.1 - الظاهرانية : 38.....
- 3.1.1 - فلسفة اللغة العادية : 39.....
- 2.1 - التيار اللساني : 40
- 2 - التداولية ومفاهيمها العامة: 42
- 2.2 - السياق التداولي في العمليات التخاطبية : 46
- 3 - المحاور الكبرى لللسانيات التداولية: 48.....
- 1.3 - نظرية أفعال الكلام الشروط والتصنيفات: 48
- 1.1.3 - شروط الفعل اللغوي عند " أوستن " وتصنيفاته : 51
- 2.1.3 - أفعال الكلام عند " سيرل " : 53
- 2.3 - نظرية الحجاج : 56
- 3.3 - الاستلزام الحواري (التخاطبي ، الخطابي ، التحاوري ...) : 59
- 1.3.3 - أنماط الاستلزام الحواري : 60

62	- تركيب:
119 . 64	- الفصل الثاني
	القصدية المهاده النظري والاشتغال التداولي
64	مقدمة الفصل:
65	1 - القصدية : في المفهوم والمصطلح
65	1.1 - القصدية في السياق المعجمي:
67	2.1 - القصدية رحلة المصطلح واستقرار المفهوم:
70	3.1 - المصطلحات المرادفة لمصطلح القصد:
70	1.3.1 - بين القصد والمعنى:
73	2.3.1 - بين الإرادة والقصد:
74	3.3.1 - بين النية والقصد:
74	4.3.1 - بين الغاية والغرض والقصد:
76	2 - الفكر القصدى عند قدماء العربيه ومميزاته التداولية:
76	1.2 - عند النحاة والبلاغيين:
83	2.2 - مقاصد الشريعة وبعدها التداولي:
83	1.2.2 - مفهومها:
84	2.2.2 - اللغة ودورها في تحديد مقاصد الشريعة :
85	3.2.2 - الخطاب والقرائن المقامية في فهم مقاصد الشارع وأبعادها التداولية:
88	3 - القصدية الفلسفية: تحديدات ورؤى
89	1.3 - القصدية عند هسرل في المنهج الظاهراتي:
92	2.3 - القصدية عند "جون سيرل" من منظور فلسفة اللغة العادية:
92	1.2.3 - القصدية العقلية والوعي:

- 2.2.3 - السمات البارزة للعقل اتجاه الملاءمة: 94
- 2.2.4 - القصديّة الأصليّة والقصديّة المستمدة أية علاقة : 95
- 2.2.5 - القصديّة الفرديّة والجماعيّة: 97
- 4 - القصديّة والاشتغال التداولي: 98
- 1.4 - القصد بين الدلالة والتداول: 100
- 2.4 - القصديّة وقواعد الخطاب: 102
- 3.4 - الأفعال الإنجازية ومقاصدها التداوليّة: 105
- 1.3.4 - الفعل الكلامي وقصديّة التواصل : 106
- 2.3.4 - الملاءمة بين الحالات القصديّة والأفعال الكلامية : 108
- 4.4 - المعنى غير الطبيعي عند غرايس: 111
- 5.4 - القصديّة وتوجهاتها الحجاجية: 113
- 1.5.4 - القصديّة والبلاغة الحجاجية: 115
- 2.5.4 - التفاعل الحجاجي اللغوي وبروز القصديّة فيه: 116
- 3.5.4 - تراتبية الحجج (السلم الحجاجي) وتوجيهها القصدي: 117
- خاتمة الفصل: 119
- الفصل الثالث: 121 . 156
- التأويل : التداخلات المصطلحية والمفهومية ومظاهره التداوليّة
- مقدمة الفصل: 121
- 1 - التأويل في الثقافة العربيّة: 122
- 1.1 - التأويل لغة: 122
- 2.1 - التأويل في القرآن الكريم: 123
- 1.2.1 - بين التفسير والتأويل: 125

- 127 3.1 - التأويل النحوي:
- 128 2 - مصطلح التأويل عند الغربيين:
- 130 1.2 - التأويل والنص المقدس:
- 131 2.2 - التأويل عند المحدثين:
- 132 1.2.2 - التأويل اللغوي والسيكولوجي لفهم النص:
- 134 2.2.2 - التأويل والكينونة (الوجود):
- 135 3.2.2 - حدود التأويل:
- 136 3 - التأويل التداولي مفهومه ومظاهره:
- 138 1.3 - دور السياق في تأويل المقاصد:
- 140 2.3 - التوافق بين القاصد والمؤول:
- 142 3.3 - المخاطب واختيار التأويل الأنسب:
- 144 4.3 - كفاءات المؤول:
- 144 1.4.3 - الكفاءة اللسانية :
- 144 2.4.3 - الكفاءة التداولية :
- 145 3.4.3 - الكفاءة الموسوعية :
- 145 4.4.3 - الكفاءة الاستدلالية :
- 146 5.3 - الإضمار التداولي وبعده التأويلي:
- 148 1.5.3 - أسباب الإضمار:
- 148 2.5.3 - مميزات الإضمار التداولي :
- 149 3.5.3 - أقسام الإضمار :
- 149 1.3.5.3 - المضمرات المفهومية:

151	2.3.5.3 - المضمرات الاقتضائية:
153	3.3.5.3 - المضمرات القضاية:
153	4.3.5.3 - التكميل:
154	5.3.5.3 - التوسيع:
154	6.3.5.3 - التضمنين:
156	- خلاصة الفصل:
320 . 159	- الباب الثاني:
	مظاهر وآليات القصد والتأويل التداولية في الخطب الأموية
222 . 159	- الفصل الأول:
	مظاهر القصد والتأويل التداولية في الخطب السياسية
159	- مقدمة الفصل:
161	1 - الحالات القصدية في الخطب السياسية:
161	1.1 - الصمت:
164	2.1 - الرغبة:
165	3.1 - الرؤية ومقاصدها السببية:
166	4.1 - الأفعال القصدية العقلية وتأويلاتها الممكنة:
170	2 - قصدية الافتتاح في الخطبة:
174	3 - الأداء اللفظي وغرض الخطيب:
180	4 - قصدية التكرار وتأويله التداولي:
180	1.4 - التكرار التام:
184	2.4 - التكرار الجزئي:
186	5 - إنجاز القصد في الرابط " الواو ":

- 6 - مقاصد الفعل الكلامي وتأويله في الخطب:.....193
- 1.6 . الأفعال الإخبارية ، مقاصدها وتأويلاتها:.....193
- 1.1.6 - فعل القول:.....194
- 2.1.6 - الفعل القضوي:.....195
- 3.1.6 - مقاصد الفعل الإنجازي:.....196
- 4.1.6 - الفعل التأثيري:.....197
- 5.1.6 - الحالة القصدية للملفوظ الإنجازي:.....198
- 2.6 - الأفعال التوجيهية بين القصد والتأويل:.....205
- 1.2.6 - إنجاز القصد في النداء:.....205
- 2.2.6 - الاستفهام قصديته وتأويله:.....212
- 3.2.6 - إنجاز القصد في الأمر:.....217
- 3.6 - إنجاز القصد وتأويله في الوعد:.....219
- خلاصة الفصل:.....222
- الفصل الثاني:.....224 - 278
- القصد والتأويل في الخطب الدينية، دراسة تداولية حجاجية
- مقدمة الفصل:.....224
- 1 - مقاصد الصور البيانية وتأويلاتها وأهدافها الحجاجية:.....226
- 1.1 - الاستعارة:.....227
- 2.1 - التشبيه:.....236
- 3.1 - الكناية:.....243
- 2 - المحسنات البديعية وأغراضها التداولية وتأثيراتها على الجمهور:.....250
- 1.2 - المقابلة:.....251

253.....	2.2 - الطباق:
256.....	3.2 - السجع:
259.....	3 - الخبر والإنشاء بين الغرض والقصد والغاية:
259.....	1.3 - الخبر:
264.....	2.3 - الإنشاء:
265.....	1.2.3 - الأمر:
271.....	2.2.3 - النداء:
273.....	3.2.3 - الاستفهام:
275.....	4.2.3 - النهي:
276.....	5.2.3 - الترجي:
278.....	- خلاصة الفصل.
320 - 280.....	- الفصل الثالث.
	آليات الإضمار التداولي وبعده التأويلي في الخطب الاجتماعية
280.....	- مقدمة الفصل.
282.....	1- المضمرات الاقتضائية وتأويلاتها في الخطب:
283.....	1.1 - الاقتضاء الدلالي:
284.....	2.1 - الاقتضاء المنطقي:
286.....	2.1- الاقتضاء التداولي:
293.....	2 - المضمرات الإنجازية وتأويلها في الخطب:
293.....	1.2 - الإعلانات:
295.....	2.2 - التعبيرات:
305.....	3 - المضمرات الاستلزامية في الخطب:

305.....	1.3- مبدأ التعاون ومبادئه الفرعية في الخطب:
306.....	1.1.3- قاعدة الكم:
306.....	2.1.3 - قاعدة الكيف:
307.....	3.1.3- قاعدة الملاءمة أو الورود:
307.....	4.1.3- قاعدة الجهة أو الكيفية:
308.....	2.3 - خرق القوانين الخطائية ينتج تعاوناً مضمراً:
308.....	1.2.3 - خرق قانون الكم:
313.....	2.2.3 - خرق قانون الكيف:
316.....	3.2.3 - خرق مبدأ الورود:
317.....	4.2.3 - خرق مبدأ الجهة:
320	- خلاصة الفصل:
322.....	- خاتمة البحث:
326.....	- الملحق:
340.....	- فهرس المراجع:
360.....	- فهرس الموضوعات:
369	- ملخص البحث باللغتين (العربية والإنجليزية)

يتناول هذا البحث بالدراسة أهم مظاهر وآليات القصد والتأويل التداولية في الخطب

الأموية، وذلك من خلال تطبيق بعض النماذج من الخطب.

وقد استهل البحث بالتأسيس لأهم مصطلحاته المحورية، كالخطابة والتداولية، والقصد والتأويل، حيث بدأ بتناول أهم مفاهيم وخصائص الخطابة الأموية، وأهم المحاور التداولية، ومدى علاقتها بالخطبة. ومن ثم رصد أهم المفاهيم النظرية لمفهوم القصدية واشتغالها التداولي. كما أبرز مفاهيم التأويل العامة، ومظاهره التداولية.

ولما كانت التداولية تتضمن آليتي القصد والتأويل، فقد طبق هاذين الآليتين على بعض

النماذج من الخطب الأموية.

طبق مظاهر القصد والتأويل التداولية في الخطب السياسية، كالمقاصد العقلية، والمقاصد

اللغوية وتأويلاتها، مثل: التكرار، والروابط، ثم ركز على نظرية الأفعال الكلامية، حيث تم اختيار تصنيف "سيرل" و "أوستين" وبعض ما جاء به التراث العربي، واستخرج أنواع المقاصد المختلفة، كالقصد الإخباري، والتواصلي، والضمني، والثانوي، والرئيسي...، ومدى تأويلات الجمهور لها،

باعتمادهم على التأويل التداولي. ثم طبق آليتي القصد والتأويل في الخطب الدينية في بعدها

التداولي والحجاجي، حيث اهتم بالظواهر البلاغية بشتى ضروبها مستخرجا مقاصدها وتأويلات الجمهور لها. ثم عرض آليات الإضمار التداولي وبعده التأويلي في الخطب الاجتماعية، حيث ركز

على المضمرات الإقتضائية مثل المضمرة الدلالي والمنطقي والتداولي، والمضمرات الإنجازية حيث

وردت السلوكيات بكثرة لأنها تعبر حالة نفسية واجتماعية، و المضمرات الاستلزامية التي اعتمدت

على الخروقات الغاريسية.

Abstract:

This research deals with the study of the main pragmatic aspects and mechanisms of intention and interpretation in The Umayyad speeches by applying some models of them.

The research begins with the establishment of its core terms like: elocution and pragmatics, intention and interpretation. The research begins by dealing with the main concepts and characteristics of Umayyad elocution, the main pragmatic topics, and their relationship with the speech. Then, allocating the main theoretical concepts of intentionality and its pragmatic functioning. It also shows the general concepts of interpretation and its pragmatic aspects.

Since pragmatics includes the mechanisms of intention and interpretation; the research applies these mechanisms on some models from Umayyad speeches.

The research applies the pragmatic aspects of intention and interpretation in political speeches; such as rational and linguistic intentions and their interpretations like: repetition and links. Then, it focuses on the speech act theory by choosing the categorization of “Searle” and “Austin” and some of the Arab heritage; and deriving the various types of intentions like: the informative intention, the communicative, the implicit, the secondary, and the main one ...and their interpretation by the public using the pragmatic interpretation. Then, it applies both of intention and interpretation mechanisms in religious

speeches in their pragmatic and argumentative dimensions; it focuses on rhetorical phenomena deriving their intentions and interpretations by the public. It shows the mechanisms of pragmatic implication and its interpretational dimension in social speeches; it focused on occasional implications such as: semantic , logical and pragmatic implication, performative implications where behaviors are strongly mentioned because they refer to a psychological and social status, and implicatures which depends on Grice's maxim violations .